

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والستون

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م

(شروط النشر وضوابطه)

1. تنشر المجلة البحوث العلمية ذات الصفة الفكرية [illegible] التي تسهم في تحقيق أهداف المجمع
2. لغة المجلة هي اللغة العربية [illegible] الباحثون [illegible] في [illegible]
3. يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى [illegible] أو انه مسروق .
4. تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .
5. هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .
6. لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .
7. لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة
8. لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من المؤسسات
9. لاتنشر المجلة بحوث مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها
10. يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :
    - أ- ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومحزونا على قرص CD ومرفق (٢) نسخة ورقية – وينضد على word 2007 (واستخراج الهوامش من **word** مراجع نافذة حواشي سفلية) ويتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل (١) (٢)...... الخ .
    - ب- ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .
    - ت- يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .
    - ث- أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .
    - ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى . على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .
    - ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص
    - خ. ان تستخدم في البحث المصطلحات المعربة عربيا .
11. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلة مع خمس مستلات من بحثه .

البحوث لا تعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا . iraqacademy@yahoo.com

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا . journalacademy@yahoo.com

الهيئة الاستشارية

محتويات

الجزء الرابع / المجلد الخامس والستون

افتتاحية العدد

صدر هذا العددُ الجديدُ من مجلة المجمع العلمي، وقد غاب عنهُ اسم الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (رحمهُ الله) رئيس المجمع العلميّ العراقيّ السابق ورئيس تحرير المجلة الذي لبّى نداء ربّه؛ ليلتحق بالرّفيق الأعلى يوم الحادي والعشرين من شهر تمّوز سنة ٢٠١٨م ، وبفقده فقد العراق والعالَم العربي ، والمجمعُ العلمي واحدًا من أبرز علمائه الّذين خدموا قضاياه وقضايا اللّغة العربيّة منافحًا عنها ومُدافعًا بوجه تيّارات النّيل منها والعضاء عليها. وقد كانَ طوالَ عمله رئيسًا لتحرير المجلّة يُدقّقُ بنفسه البحوث الّتي ترِدُ إلى المجلّة تدقيقًا علميًّا ولُغويًّا من دون أن يُكلّف الآخرين مشقّةَ هذا الأمر، ولم تتوقّف المجلّةُ في عهده عن الصّدور على الرّغم من الأزمةِ الماليّة الّتي مرّ بها البلدُ ومؤسّساتُهُ بعد سنة ٢٠١٤م؛ لأنّه كان حريصًا على أنْ تستمر في الظّهور بوصفِها الواجهة المضيئة والجوهريّة للمجْمَع العلمي، وبغيابها لا يبقى لهُ أيُّ خيطِ صلةٍ بجمهوره . وبعد وفاته (رحمهُ الله) تسلّمَ الأستاذ الدّكتور عبد الحميد حمّادي النّاصر ، وهو عالمٌ فاضلٌ من علماء العراقِ في مجالِ تخصُّصه ، ولهُ حضورٌ جليٌّ في العمل الإداري الأكاديمي - رئاسة المجمَع العلمي وكالةً خلفًا للراحل ، ومن أولى الخطواتِ الّتي قام بها الاهتمام بالمجلّة ، إذ عمد إلى تشكيل هيئة تحريرٍ جديدة لها ، فضلاً عن تشكيل هيئةٍ استشاريّة بموجب الأمر المجمعيّ ذي العدد (٨٥) والمؤرخ في (٢٠ /٩ /٢٠١٨م) ؛ لكي تستمر هيئةُ التّحرير الجديدة ما بدأهُ الرّاحلُ الكبيرُ الدّكتور أحمد مطلوب وتسير على نَهجِهِ القويم ، فباشرت - بعد عدّة اجتماعاتٍ لها - استقبال البحوث الجديدةِ الّتي وصلت المجلّةَ بعد وفاته .

ومن ثمّ أحالتها إلى خبراء من ذوي التخصّص الدقيق به يتناسب وموضوع كلّ بحث ، فضلًا عن المكانة العلميّة العالية والسمعة المتميّزة لكلّ خبير ؛ لتعود بعدها البحوث إلى هيئة التحرير من الخبراء مدوّنة عليها ملاحظاتهم العلميّة السّديدة وآراؤهم النهائيّة بكلّ بحث على وفق معايير المجلّة المعتمدة .

وها نحنُ نضعُ بين يدي القُرّاءِ الأكارم – هذا العدد من المجلّة الذي ضمّ بينَ طيّاته مجموعة من البحوثِ الإنسانيّةِ والعلميّة التي أجازها الخبراء ، آملينَ أن تنال رضا القرّاء ، وأن نرقى بها إلى مصاف المجلات العالميّة المتميّزة ، وكلّ ذلك لا يتأتّى إلّا عبر الجهود الحثيثة والتواصل العلميّ ورفدها بالبحوث الرّصينة من العلماء والباحثين داخل العراق وخارجه ، ومن الله التّوفيق والسّداد .

مدير التحرير

الأنساب العربيّة ... مقاربة تاريخية

الأستاذ الدكتور(*)

جواد مطر الموسوي

الملخص :

تدخل دراسة الأنساب (Genealogy) ضمن حيز التاريخ الاجتماعي (SOCIAL HISTORY) الذي يبحث في ماضي التشكيلات السكانية المتغيرة وحركاتها في مجتمع الدول أو الرقعة الجغرافية ، وبيان التحولات والبناء الثقافي بشكل عام واستظهار القوى الأساسية والثانوية والهامشية ، والبحث عن الشخص الاعتيادي (Layman) وإسهامه في تطوير المجتمع . فهو حقل بيني حيوي سريع النمو له تداخل مع علم الاجتماع – سوسيولوجي (Sociology) غايته صياغة تعميمات للعقل الجمعي (Collective Mind) في مرحلة تاريخية محددة بشكل دقيق ، وتناول البحث مجموعة من المحاور ، منها :

١. تجذير لفظة الأنساب Genealogy)) في المعاجم العربية .
٢. أهمية علم الأنساب عند المؤرخين والكتّاب العرب .
٣. علاقة (القيافة) بالأنساب .
٤. أسس ومبادئ علم الأنساب العربية
٥. هل الأنساب العربية علم او فن ، ولها (منهج) (method) واضح ؟

(*) رئيس اللجنة العلمية في المجمع النسبي العراقي

٦. من هم قضاة النسب ، صفاتهم ، وكيف تكون قراراتهم ؟

٧. من هم أشهر النسابة قبل الاسلام ؟

٨. ما أهمية النسب عند المسلمين ؟

من هذا كله توصل البحث إلى نتائج ، أهمها :

أ- ان الانساب العربية علم يدخل ضمن التاريخ الاجتماعي ، ويبحث في ماضي التشكلات السكانية ، لبيان نسبة الأولاد إلى ابائهم وأجدادهم ، وهو من العلوم التي اعتنى بها العرب وضبطوها ، وخص بهم دون غيرهم من الأمم .

ب- المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمع قبلي ، تمثل القبيلة الوحدة السياسية ، وأصل القبائل العربية ، جذمان : (عدنان) و(قحطان) وهناك من يضيف (قضاعة) ، ومنهم تفرعت القبائل العربية .

ت- عندما جاء الإسلام ، اهتم اهتماما كبيرا بقضية الأنساب العربية ، وألفت الكتب فيه ، وأول من ألف بالنسب العلوي هو العبيدلي وكتابه (المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين) ، ومن أشهر كتاب انساب العامة : ابن الكلبي والزبيري والبلاذري

ث- وضع النسابون العرب ضوابط تضاهي ما اشترط للقضاة ، منها : الإيمان بالله والنزاهة والحياد والتجرد والصدق والنظرة الثاقبة للأمور... ومائدة النسب تضم حفظة أنساب ومشجريها ، وورثة كتبها ، ورواة سلاسل أعمدتها ، ومحققي النسب وقضاته .

ج- والأنساب العربية عند ئه منهج خاص به يستطيع الباحث أن يكون مجموعة منظمة ومنتظمة من الحقائق النسبية والمعطيات الآثارية والوثائق المتنوعة والتحري بما فيها .

المقدمـة :

تدخل دراسة الأنساب (Genealogy) ضمن حيز التاريخ الاجتماعي (SOCIAL HISTORY) الذي يبحث في ماضي التشكيلات السكانية المتغيرة وحركاتها في مجتمع الدول أو الرقعة الجغرافيّة ، وبيان التحولات والبناء الثقافيّ بشكل عام واستظهار القوى الأساسيّة والثانويّة والهامشيّة ، والبحث عن الشخص الاعتياديّ ((Layman)) وإسهامه في تطوير المجتمع ، فهو حقل بينيّ حيويّ سريع النمو لهُ تداخل مع علم الاجتماع -- سوسيولوجي (Sociology) غايته صياغة تعميمات للعقل الجمعيّ (Collective Mind) في مرحلة تاريخيّة محدده بشكل دقيق .

كان للأنساب العربيّة مكانه مهمة في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده ، ومن نافلة القول قبل الخوض في بحثنا هذا ، لابد من تحديد اللفظة العربيّة ، فقد جاء في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت : ١٧٥هـ)[1] : النسب في القرابات ... فلان نسيبي ،

---

[1] كتاب العين ، ج٧ ، ص٢٧١

وهؤلاء أنسبائي ، ورجل نسيب مَنْسوب : ذو حسب ونسب . والنَّيْسَب والنَّيْسبان : الطَّريقُ المُسْتَقيم الواضِحُ ، كَطَريق النَّمْل والحَيَّة ، وطَريق حُمُر الوَحْش إلى المَوْرِد ، وهو طَريقَةٌ واحدةٌ" .

ومنه النَّسَب ، وسُمّي لاتّصاله وللاتّصال به ، والنسيب : الطريقُ المستقيمُ لاتّصال بعضه من بعضٍ ، كما ذكر ابن فارس (ت : ٣٩٥هـ) في معجم مقاييس اللغة [١] . أما أبو بكر الرازي (ت : ٦٦٦هـ) فيذكر في الصحاح[٣] : " النسب ، واحد الأنساب ، ورجل نسّابة أي عالمٌ بالأنساب ، والهاء للمبالغة في المدح ، وفلانٌ يناسبُ فلانا ، فهو نسيبه أي قريبه ، ونسبْتُ الرجلَ إذا ذكرْتَ نسبه . وانْتَسبَ إلى أبيه أي اعْتَزى ، وتنسَّبَ إليكَ أي ادّعى أنّه نسيبك " .

وقد فصّل ابن منظور (ت : ٧١١هـ) في اللفظة كثيرا في كتابه (لسان العرب)[٤] ، فقال : " النَّسَب : نسَبُ القرابات ، وهو واحد الأنساب ... النِّسْبة والنُّسْبة والنَّسَب : القرابة ؛ وقيل : هو في الآباء خاصة ؛ وقيل : النِّسْبة مصدر الانتساب ، والنُّسْبة : الاسم ... النسب يكون بالآباء ، ويكون إلى البلاد ، ويكون في الصناعة ... وانْتَسَب واسْتَنْسَب : ذكر نَسَبَه ... يقال للرجل إذا سُئل عن نسبه : اسْتَنْسِبْ لنا أي انتسِبْ لنا حتى نَعْرِفَكَ ، ونسبه ينسبُهُ نسبا : عزاه ، ونسبه : سأله أن ينتسب ، ونسبْتُ فُلانا إلى أبيه أنسُبُه وأنسِبُهُ نسَبا إذا رفعْتَ في نسبه إلى جده

---

(٢) ج٥ ، ص٤٢٤.

(٣) ج١ ، ص٢٢٤.

(٤) ج١ ، ص٦٩٣ - ٦٩٥ .

الأكبر . وناسبه : شركه في نسبه ، والنَّسيب : المناسب ، والجمع : نُسباء وأنسباء ، وفلانٌ يناسِبُ فلاناً ، فهو نسيبه أي قريبه ، وتنسَّب أي ادّعى أنه نسيبك ، وفي المثل : القريبُ من تقرَّب ، لا مَنْ تنسَّب ، ورجلٌ نسيبٌ منسوبٌ : ذو حَسَبٍ ونسب ، والنسّاب : العالم بالنسب ، وجمعه نسّابون ، وهو النَّسَّابة ... والنسّابة : البليغ العالم بالأنساب ... والنَّيْسَب : طريق النَّمل إذا جاء منها واحدٌ في إثر آخر " .

إنّ علم النسب من العلوم التي حفظها العرب وسطوها وأصّلوها وفرّعوها ، فأما الفرس فلم يطلبوا له تحقيقاً ، ولا ضبطوا منه ما يلحق صريحاً أو ينفي لصيقاً ، وذكر ابن إسحاق الصابئي الكاتب في كتابه (التاجي)[٥] أن سبب عدم اهتمام الفرس بعلم الأنساب يرجع إلى أعتراض الفتن ، وحدوث الحوادث العظام صرفت عنهم بالأنساب ، وقد رد على ذلك السيد الشريف تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني (ت : ٨٧٥٣) نقيب حلب في كتابه (غاية الاختصار في البيوت العلوية المحفوظة من الغبار)[٦] بقوله : " لو كانت الأنساب عندهم مرعية لما شغلتهم عنها الحوادث ، ألا ترى أن العرب اعترضتهم أيضا في زماننا دولة أخملت شرفهم ونقلت المُلك عنهم وشردتهم كل مشرد ، ومزقتهم كل ممزق ، وهم مع ذلك حافظون لأنسابهم ، مراعون لأعقابهم ، وانك لترى البدوي منهم ذاهباً خلف ثلة من الضأن يرعاهم إذا خاطبته حسبته أحمق الناس ، وأجهلهم بكل شيء وهو مع ذلك يعرف قبيلته وبطنه وفخذه وربما رفع نفسه إلى الجد الأعلى " .

---

[٥] ص١٠٩ .

[٦] ص٣١

نطقت بملء فيها " ، وقد فاخر العرب بأنسابهم وأحسابهم من أعلى قمة المجتمع العربي حتى أسفله .

وفي المناظرة التي جرت بين ملك الحيرة النعمان بن المنذر كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٩م) ، ردّ النعمان على كسرى متفاخرا بالعرب مشيرا إلى أسباب اهتمامهم بأنسابهم بقوله : " وليس أحد من العرب ألاّ يسمّ آباءه أبا فأبا ، أحاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولاينتسب إلى غير نسبه ، ولا يُدعى إلى غير أبيه..."[١٠] وهذا طبيب العرب الحارث بن كلدة يقف متفاخرا بلغة العرب ولسانهم البليغ أمام الملك الساساني كسرى أنوشروان رادا على سؤاله اياه عن أخلاق العرب وسجاياهم بقوله : " للعرب لغة فصيحة ، وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرامي ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين "[١١].

كما أنّ الشاعر العربي في القبيلة كان يُعدّ مؤرخ القبيلة والعالم بأنسابهم وأخبارهم ومناقبهم ، فضلا عن انه حكيم القوم ومرشدهم وخطيبهم ونائبهم المتكلّم باسمهم .

اعتمد العرب في حفظ أنسابهم على ذاكرتهم ، واختص قسم منهم بذلك ، يقال للمختص منهم بعلم الأنساب : النسابة . وهؤلاء ألمّوا إلماما

---

(١٠) العمري ، المجدي ، ص ٦.

(١١) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص١٦٢.

والعلم بالأنساب ونسب القبائل والبطون والعشائر وتفرعاتها [illegible] وولائها .

تعد القيافة من معارف العرب التي تدل على قوة الذكاء وحدة الفطنة والفراسة بأخلاق الناس ، والكهانة بعلم الغيب ، والعرافة ، وبها يتم الاستدلال على الأمور الماضية .

والقيافة على نوعين : قيافة الأثر ، وتسمى العيافة ، وتختص بتتبع آثار الأقدام والاستدلال من آثارها على هوية أصحابها . وقد بلغ العرب في هذه المعرفة درجة كبيرة من الدقة وقوة البصيرة إلى حد أنهم كانوا يميزون بين أثر أقدام الشاب والشيخ ، وقدم الرجل والمرأة ، والبكر والمتزوجة .

وقيافة البشر تعني الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما . وبرع العرب في معرفة قيافة البشر حتى أنهم كانوا ينظرون إلى أشخاص مجهولي النسب فيلحقون كلا منهم بعشيرته ، وقد خص الله (سبحانه وتعالى) العرب بهذه المعرفة لتكون ذلك سببا لارتداع نسائهم عما يورث الشك بنسبهم .

ومن القبائل العربية المشهورة بمعرفتها بالقيافة البشرية بنو مرة ، وهم من قبائل كهلان من عرب نجد وبنو مدلج ، وهم من قبائل كنانة النازلة في أطراف مكة ، وبنو لهب بطن من بطون الأزد . وبذلك كان لقيافة البشر علاقة وثيقة بعلم الأنساب ، [illegible] من العلوم المساعدة ، ومع شديد الأسف انه لايوجد أحد اليوم يهتم به .

القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي ارتكز عليها النظام الاجتماعي العربي ، وقد اعتنى العرب عنايةً خاصةً بأنساب القبائل وتفرعاتها ، وألّفوا فيها الكتب الكثيرة ، واعتاد النسابون أن يصنفوا العرب كلها جذمان ، والجذم : الأصل ، فهم عرب الشمال وعرب الجنوب ، فأهل الشمال هم من نسل إسماعيل بن إبراهيم (ع) ، ويطلق عليهم العدنانيون أو النزاريون أو المعديون ، وأهل الجنوب من نسل قحطان ويسمون بالقحطانيين أو اليمنيين ، وإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولايخلو أحد من العرب من أن ينتمي إلى أحدهما ، ولابد أن يقال له : عدناني أو قحطاني .

ويقسم النسابة (عدنان) على فرعين كبيرين مشهورين ، وواحد دونهما في الشهرة هو إياد ، ذكر البتي (ت : ٤٨٨هـ) في كتابه (تذكرة الألباب بأصول الأنساب)[١٢] ويقال : إن إياد حشوة في مضر وربيعة ، وإياد بن معد بن عدنان ولد زهرا ودعميا ونمارة وثعلبة ، ولنزار ابن رابع هو أنمار بن نزار ، يذكر في العادة في آخر نسب عدنان ؛ وقيل : لاعقب له إلا ما يقال في بجيلة وخثعم انهما ابناه ، وبجيلة وخثعم تنكر ذلك ، ويضاف للعدنانيين قضاعة ؛ ويقال : قضاعة ابن معد بن عدنان ، وبعض النسابة مَن يعد قضاعة أحد أجذام العرب الثلاث ، فهو يوازِي عدنان وقحطان .

---

(١٢) ص٤٣.

ولمضر ولدان : إلياس والناس ، وأشهر قبائل إلياس بن مضر كما ذكر ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) في كتابه (جمهرة أنساب العرب)[1] ثماني قبائل :

الأولى : كنانة (تسكن جنوب الحجاز) وأشهرها : قريش (النضر) بن كنانة ، وفيها عشر بطون ، هي : بنو عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو عدي ، وبنو عبد الدار ، وبنو مخزوم ، وبنو جمح ، وبنو سهم ، وبنو الحارث بن فهر ، ويضاف لهم : بنو عامر ، وبنو خزيمة بن لؤي .

والثانية : الهون بن خزيمة ، فمن ولده عضل والديش ابنا محلم .

والثالثة : أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ، وينسب إليه بنو دودان وكاهل وفقعس والصيداء .

والرابعة : بنو هذيل بن مدركة (تسكن الجبال القريبة من مكة) ، ومن بطونها : الحيان ، وجزاعة .

والخامسة : تميم بن مرة بن طابخة بن إلياس ، ومن بطونها : بنو حنظلة وبنو أسد .

والسادسة : عبد مناة بن أد بن طابخة ، فولده المشهورون بالنسبة إليه : تيم ، وثور ، وعكل ، وعدي .

---

[1] ص ٢٨٩.

والسابعة : عمرو بن أد ، وولده عثمان وأوس ، وأمهما مزينة ، [illegible]
فأصبح كل مزني منسوب إليهم .

والثامنة : صوفة بن أد ، وولد سعد ومعد ، والنسبة إليه صوفي .

وأما الناس بن مضر ، فبنو عيلان ، وقبيلته العظمى قيس ، وفيهم أبناء قيس عيلان ، وعشائرهم : غطفان (منهم بنو أشجع) ، وذبيان ، وعبس ، وفزارة ، ومحارب ، وعدوان ، وفهم ، وثقيف ، وكذلك هوازن (من ولد عامر بن صعصعة) سكنوا الجزء الغربي من نجد .

أما ربيعة بن نزار فقبائله المشهورة هي : ضبيعة بن ربيعة ، وعبد القيس ابن أفصى ، والنمر ، وأسد ، وائل من أسد بن ربيعة . هما : تغلب وبكر ، والى بكر ينتسب بنو حنيفة (في اليمامة) ، وعجل ، ويشكر ، وشيبان ، وذهل ، وقيس ، وسدوس ، والى تغلب ينتسب : غنم الأوس وعمران .

ويقسم النسابة قحطان إلى شعبين : حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكهلان بن سبأ .

قبائل حمير المشهورة : عبد شمس (عشنان أبين) ، وضميران ، [illegible] ، وصيفي ، [illegible] منسوبة إليهم : تنوخ ، وكلب ، وجهينة ، وعذرة ، وقضاعة بن مالك بن حمير .

أما كهلان بن سبأ ، فقبائله المشهورة هي : الأزد (مركزها عمان ، ومنهم الغساسنة أسسوا دولة في بلاد الشام) ، وكندة (نجد وحضرموت) ، ولخم (أسست دولة الحيرة في العراق) ، وجذام (تسكن بلاد الشام) ،

[illegible] ، وخولان ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
وجشعم ، ومن ولد [illegible] مالك وطي ، ومن ولد مالك [illegible] جلد ، [illegible]
العشيرة ، ومراد ، [illegible] ، [illegible] طي فتجمعهما عمارتان عظيمتان هي :
جديلة والغوث ، والى مذحج [illegible] بنو الحارث (جدول شرقي [illegible]) .

هذه خلاصة لأصول القبائل العربية وفروعها المشهورة وبعض مواطنها ، التي يليق بالمختص ذكرها ، على الرغم من أن فيها أكثر من وجهة نظر واختلاف ، [illegible] حاولنا قدر المستطاع التوفيق لأنه من أسس العلوم الانسانية — ومنها علم الأنساب — الشك الذي يؤدي إلى الحقيقة .

ان علم الأنساب من العلوم التي اختص بها العرب ، فأسسوا له مبادئ وقوانين ، وقد وضع النسابة ابن زهرة الحسيني في كتابه (غاية الاختصار)[١٤] فصلاً في صفات المشتغل بعلم النسب (النسابة) نلخصها بما يأتي :

١ – يجب أن يكون النسابة ثقة لئلا يرتقي على أنساب الناس ويكذب فيها فينفي الصريح ويثبت الملصق .

٢ – أن يتجنب الرذائل والقدح حتى يكون مهيباً في نفوس الخاصة والعامة ، فإذا نفى أو اثبت لا يُعترض عليه .

٣ – أن يكون قوي النفس (أي قوة الشخصية) لا [illegible] أهل الدنيا فيأمر بباطل ، أو ينهى عن حق ، فإن لم يكن قوي النفس [illegible] .

---

(١٤) ص١٧ .

[illegible] الحسن

وهذا يدلّ على مدى اهتمام العرب بعلم الأنساب وأهميته ، وخطورة العمل فيه ؛ إذ لابد أن يتصف بصفات خاصة به في الجانب الشخصي ولاسيما الأخلاقي ، وقد قال عز من قائل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ [illegible] وفي مكان آخر : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ [illegible] ، وقال الرسول الكريم (ص) : " اعرفوا أنسابكم لتصلوا أرحامكم " [illegible] ، وقال عمر بن الخطاب (رض) : تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السواد ، إذا سئل أحدهم : ممن أنت ؟ قال : من قرية كذا [illegible] . وفي الدعاء يقال : اللهم صل من وصلني ، واقطع من قطعني [illegible] .

وفي وصية الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابنه الحسن (ع) قوله : أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول [illegible] .

[illegible] سورة النساء ، آية ١ .

[illegible] الشورى ، آية ٢٣ .

[illegible] ابن عبد البر ، [illegible] ص [illegible] .

[illegible] الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ، ص١٦١ .

(١٩) الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص١٥١ ، ج٢ ، ص [illegible] .

[illegible] ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ص٤ .

فالنسابة عنده [illegible] مستقلة [illegible]
يجعل علم الأنساب مشابهاً لعلم الجرح والتعديل [illegible] يكون عالماً بالبطون
والأفخاذ والأعقاب ، حاكماً في الفروع والأصول ، يُلحق بها ما تمحص
على الناس إلحاقه ، وينفي منها ما استفاض عندهم اتصاله والتصاقه ، عند
قيام البينات العدول . وهو معروف بالجرح والتعديل ، حاكماً بين قبائل لم تحكم
عليها أطراف الرماح ، فإذا [illegible] في عشائر طالما عمرت عاصية صدور
الصفاح ، ماضياً قلمه [illegible] فكم من سطور دفعت واجب حق إلى
مستحق سطور إذا [illegible] كانت شهود الأصول وخطوط القضاة
واحتاجت إلى العدول على من به شرف علم النسب .

وثمة تساؤل معاصر : هل الأنساب العربية علم أو فن ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لابد لنا من القول : إن الأنساب العربية هي
جزء مهم من التاريخ ، وصنف من أصناف التدوين فيه ، وأهم ميادين
المعرفة التي تهتم بها العرب ، وقد تدارسوها وألفوا فيها إذ كانوا يعتقدون
بأهمية الدم في تقرير حقوق الإنسان ، لذلك ورثت الأنساب العربية الإشكالات
التاريخية ، ومنها العقدية التي سبق وأن ناقشناها في التاريخ ، وبذلك هذه
الإشكالية تتجه نحو النسابة ، بيد أن الاهتمام واسع في هذه الأيام بالأنساب
العربية بعد طرح الأسئلة التي سبق وأن طُرحت عبر التاريخ .

ولعل هذا التساؤل لم يستمر طويلاً طالما أن [illegible] نحو الحسم في
التاريخ . فإذا ثبت [illegible] التاريخ ثبتت [illegible] الأنساب العربية ، وقد [illegible]

[illegible] الذي يركز على التجارب المختبرية (Experiments) بحيث لا يمكن أن ينطبق على التاريخ ، ومن ثم الأنساب العربية ، ويقتصر على العلوم الصرفة فقط ، مثل : الرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، ويحرم الكثير من الموضوعات العلمية التي لا خلاف بين اثنين على أنها علوم مثل علم الأرض (Geology) ، وعلم الفلك (Astronomy) ، وعلم الجغرافية (Geography) ، وغيرها . لذلك ارتأى الباحثون الثقات أن يعرفوا العلم تعريفاً أشمل وأوسع وهو : أنه مجموعة منظمة ومنتظمة من الحقائق أمكن التوصل إليها بمنهج خاص من البحث والتحري والملاحظة والتحقيق ، وأنه يسعى جاهداً في استخراج القواعد العامة أي القوانين التي تحكم الظواهر المبحوث فيها . وبذلك يسعى التاريخ وعلم الأنساب (Genoalogy) جاهدين لاكتشاف القواعد العامة والقوانين التي تحكمهما .

والمشتغل بالأنساب مثل المؤرخ يبحث في الماضي ، إلا أنه يختص بأصول القبائل وأجداد الناس ومستقراتهم مستفيداً من التاريخ وعلم الرجال والجغرافية وعلوم مساعدة أخرى ، بهدف معرفة الحاضر ، أي معرفة أصل الإنسان الحاضر ، وهل هو عربي أو أعجمي ؟ لأن الحاضر وليد الماضي كما أن المستقبل هو وليد الحاضر ، وبذلك تكون الأنساب

[illegible] معدل التقنيات والآثار في وادي الرافدين [illegible] مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة [illegible] مقدمة المجلد الأول [illegible] بغداد .

العربية علماً له منهج (Method) خاص به يستطيع من خلاله أن يقدم مجموعة منظمة ومتناسقة من الحقائق النسبية والمعطيات الأثرية المتمثلة بالنقوش والمخربشات (الكتابات القديمة) عن طريق البحث بين المصادر والوثائق المتنوعة والتحري بما فيها ، والملاحظة التي هي (قيافة البشر) وتعني الاستدلال بهيئات أعضاء الأشخاص على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما ، وبرع العرب في قيافة البشر حتى أنهم كانوا ينظرون إلى أشخاص مجهولي النسب فيلحقون كلاً منهم بعشيرته ، ومن القبائل العربية المشهورة بمعرفتها بقيافة البشر . بنو مرة (من كهلان القحطانية) ، وبنو مدلج (من قبائل كنانة العدنانية).

كذلك يعتمد بالنسب على التحقيق ، ويتمثل بالمتابعة والسؤال عن الأشخاص وخلفيتهم التاريخية ، والتحري عن اتصالهم بالأب والجد ، ثم بعد ذلك يسطر مادته إما عن طريق المبسوط ، أو التشجير ، أو العرض الأدبي . مثل ذلك الديباجات التي يكتبها محققو الأنساب على المشجرات .

ومن ذلك كله يمكن القول : إن الأنساب العربية علم له منهجه الخاص في الوصول إلى الحقائق الخاصة والمنتظمة عن طريق البحث والتحري والملاحظة والتحقيق ، ويعرض مادته إما بصورة النثر الأدبي ، أو التشجير أو المبسوط .

وقد اشتغل بعلم النسب الكثير من العرب المسلمين ، منهم : ابن الكلبي (ت : ٢٠٤هـ) ، وابن حزم (ت : ٤٥٦هـ) ، وكذلك اشتغل القلقشندي (ت : ٨٢١هـ) وغيرهم .

وقد ورد كثير من الأحاديث في الحث على معرفته ، ووضع النسابون ضوابط لها هي مثل ما اشترط للقضاة ، ومما اشترطوه : الإيمان بالله ورسوله وآل بيته (عليهم السلام) والنزاهة والحياد والتجرد والصدق والنظرة الثاقبة للأمور ، وفي الآونة الأخيرة برز من بين الناس مهتمون بالنسب متفاوتون في المنزلة والإمكانية ، والحق يقال بعض المتطفلين الذين أساؤوا إلى علم النسب والنسابين النزيهين حتى صرنا نسمع أن النساب نصاب أو قصاب .. وهؤلاء على اختلاف في الإمكانية ، وعلماء النسب تضم : حفظة النسب ، ومشجريه ، وورثة كتبها ، ورواة سلاسل أعمدتها ، ومحققين ، وقضاة نسب .

من هؤلاء القضاة؟ هم قضاة النسب ونقاده الذين يقرون صحة النسب السلالي أو الانتمائي بعد عرض المشجر وملفه عليهم ، فهم غير المحققين ، لهم نظرة ثاقبة وهم على معرفة ودراية بمدى ارتباط علم التاريخ بعلم الأنساب ، يجيدون النقد الظاهري والباطني ، وعليهم أن يتخذوا قرارات قطعية . ويستخدموا مصطلحات معينة تختلف عن الديباجات التي يكتبها محققو النسب ، وقد أوجد النسابة العرب عددا من المصطلحات بما تلائم مع عصرهم ، أما في الوقت الحاضر فإن على قاضي النسب أن يستعمل عددا من المصطلحات المحددة بعد أن يطلع على المشجر والملفة التي تحتوي على معلومات وافية عن الأسرة من مشجرات قديمة ووثائق رسمية وخطية وغيرها . وتكون قرارات النسب كما يلي :

١- أن نسب أسرة أو عشيرة (...) صحيح ، وهذا يعني أن ادعاءهم في الانتماء إلى هذا العمود النسبي بالنسبة للعلويين صحيح ، أو انتسابهم

في إحدى [illegible] العامة هو صحيح ، [illegible]
مستوفي الشروط .

٢ - إن نسب أسرة أو عشيرة (...) صحيح ، إلا أن مشجرهم يفتقر إلى - مثلاً إلى : التحقيق ، أو التدقيق ، أو المصادر ، أو اضطراب بالعمود بالنسبة للعلويين ، وأخرى ، هذا يعني أن نسبهم صحيح ، وعليهم إجراء التعديلات على مشجرهم لأنه سوف يصبح وثيقة مهمة بعد ذلك .

٣ - إن أسرة أو عشيرة (...) مشهور عنهم انتسابهم للبيت العلوي أو عشيرة (شمر ، أو طيء ، أو غير ذلك) إلا أنهم بحاجة إلى وثائق أصلية أو صحيحة ، فإذا وفروها في الوقت الحاضر تنقل إلى أحد المراتب أعلاه ، وإذا لم يستطيعوا فإن الموثقة التي تملكها سوف ترفعه بعد جيل (أكثر من ثلاثين سنة) إلى أحد المراتب أعلاه . كل القرارات التي ذكرت أعلاه هي قرارات تقر بصحة النسب سواء أكان انتمائياً أم سلالياً ، لكن ضمن درجات متفاوتة .

٤ - إن أسرة أو عشيرة (...) غير مشهور عنهم النسب العلوي (السادة) ، أو الانتماء إلى عشيرة (أحد العشائر العربية) وانتماؤهم متأخر وهم كذلك بحاجة إلى وثائق مسندة أو صحيحة ، هذا القرار ينفي الادعاء الباطل بأسلوب لطيف وغير مثير ، وفي حالة توفر وثائق أصلية وصحيحة ينتقل إلى أحد المراتب الأولى (١ ، ٢ ، ٣) بعد اطلاع قضاة النسب عليها ، وبذلك يكون [illegible] النسب قد أعطى صورة واضحة غير مشوشة ونظم العمل وتوحدت قرارات قضاة النسب في كل البقاع ، كذلك أصبح من السهل إعطاء الإحصائية عن القرارات التي

العهد فأصبح النسب [illegible] من خلال [illegible] في [illegible] القرار والمسؤولية ، وإن [illegible] رقيق [illegible] ، وترك الباب له مفتوحا بحسب الوثائق التي تثبت صحة ادعائه ، هذه هي قرارات قاضي النسب ، وأما صفاته فهي :

١- أن يكون تقيا زاهدا ، لا يرتضي التدخل في اتخاذ القرارات من صاحب الشأن .

٢- أن يكون صادقا لا يكذب [illegible] (التصديق) [illegible] صحيحا أو مشهور النسب .

٣- أن يتجنب مكروهات المجتمع ليكون مهيبا في نفوس الناس ، وتحترم قراراته .

٤- أن يكون ذا شخصية قوية لا يؤثر عليه أهل الشوكة فيأمر بباطل أو ينهى عن حق .

٥- ألا يحابي أو يجامل ، عندما يضع على توقيعات / امضاءات وأختام المحققين وأختامهم على المشجر [illegible] (٢٢).

وقد فاق علم الأنساب على ([illegible] الأبناء) وإن تأخر في الترتيب الزمني عنها بحكم طبيعة نشأتها التاريخية والاجتماعية ، إلا انه شكل معينا [illegible] تاريخية خصبة أغنت الرواة وحتى المؤرخين من بعدهم ، ومع هذا فإن الأنساب [illegible]

---

(٢٢) ابن زهرة ، غاية الاختصار ، ص [illegible]

[illegible] تخلي ... من الأسطورة التي كانت ... بصفحات ... [illegible]
[illegible] كانت الأيام ... إليه [ ] ، وهو خلاف ما ظنه روزنتال [ ] [illegible]
[illegible] الأنساب كانت ذات أهمية من كثير عن أيام الأيام بوصفها شكلاً من
أشكال التعبير التاريخي .

فالنسب عند العرب سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة [ ] ، كما نسمع عن وثائق حميرية تتعلق بالأنساب اليمانية رجع إليها الهمداني واقتبس كثيراً منها وضمها إلى كتابه [ ] ونستنتج من رواية الطبري [ ] بأن أنساب العرب استخرجها ابن الكلبي من بيع الحيرة ، إذ يذكر أنه استخرج أخبار العرب وأنسابها إلى نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها ، وكان قبل الإسلام لكل قبيلة نسابة يحفظ نسبهم شفاهاً ، ونتيجة المصاهرات والتحالفات أصبح النسابة يحفظ أكثر من نسب قبيلة واحدة ، ومن هؤلاء قام مؤلفو الأنساب بالرجوع إليهم لتدوين الأنساب بعد ذلك

( ) يحيى حسن ، مقدمة كتاب ... [illegible] ، ص ٧
( ) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٣٠
( ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٢.
( ) الهمداني ، الإكليل ، ج ١ ، ص ١٠.
( ) تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص ٦٢٠.

[illegible] هؤلاء النسابة قبل الإسلام [illegible]

١- زيد بن الحارث [illegible] الكلبي العمري ، وكان أعلم الناس بالنسب[28].

٢- الأخزن النسابة ، من تغلب[29] ، وهو مالك بن [illegible] .

٣- دغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني ، مخضرم[30].

٤- حنيف بن زيد بن جعونة ، أحد بني المنذر بن جهمة من تميم[31].

٥- أبو الكياس إياس بن أوس [illegible] الكندي ، عالم نسب كندة[32].

٦- ابن لسان الحمرة ، من تيم اللات[33] وهو حصين بن ربيعة.

٧- شهاب بن مذعور ، من بني يشكر بن بكر بن وائل[34].

وقد نشط علم الأنساب بعد ظهور الإسلام ، ولاسيما بعد استقرار القبائل العربية في المناطق المفتوحة ، ومن أجل السيطرة على القبائل ، اتبعت الدولة نظام الأعشار في استقرار القبائل في المدن وتطور بعد ذلك إلى الأسباع ، حدث ذلك سنة (١٧ هـ).

---

(28) ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٣٣٤
(29) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص[illegible].
(30) ابن الأثير ، [illegible] ، ص[illegible]
(31) الآمدي ، [illegible]
(32) ابن الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، ص[illegible].
(33) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج٢ ، ص٢٤١.
(34) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٢٩١

بغرض فرض [illegible] على [illegible] توزيع [illegible] جميع [illegible] عمر بن الخطاب (رض) [illegible] سجل فيه أسماء القبائل، وإن معلوماتنا ضئيلة عن هذا الديوان [illegible] يشير المؤرخون إلى أنهم استقوا منه [illegible] في النسب، لكن هذا لا يعني أن يكون الديوان وضع قواعد علم الأنساب وأصوله[35].

وفي العهد الاموي كان الخلفاء الأمويون يستقدمون النسابة ويسمعون لهم، منهم دغفل النسابة[36].

اول من كتب في الأنساب محمد بن السائب الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وابنه أبو المنذر هشام (ت: ٢٠٤هـ)، ومصعب بن الزبير (ت: ٢٣٦هـ)، والزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)، والبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)[37].

ان السلالة التي ينتمي اليها سيد ولد آدم وفخر العرب وتاج قريش محمد بن عبد الله (ص) تعدّ من السلالات التي حباها الله النقاء والطهارة وسلامة المنبت وصفاء العرق، وإن الاصطفاء بخاتم الأنبياء يؤيده القرآن الكريم[38] والأحاديث النبوية الشريفة[39]، وإن من يطلع على جذور

---

(35) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٣٠.
(36) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠.
(37) [illegible] هذا الكتاب [illegible] [illegible] وضع [illegible] المقدمة [illegible] الإسلامي، ١٤١٥هـ.
(38) آل عمران، الآية ٣٣ – ٣٤.
(39) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١.

النسب الشريف للرسول الكريم (ص) الذي نقرأ صفحات ومعجزاته نتحسس سر عظمة أولئك الصفوة ، وسندرك سر تفرد هؤلاء الذين وضعت فيهم المعجزة الإلهية بقوله تعالى : " وتقلبك في الساجدين "[٤٠] أي من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا ، كما ذكر ابن عباس (رض)[٤١] .

وفي قول للإمام علي بن أبي طالب (ع)[٤٢] في إحدى خطبه يصف فيه تقلب الرسول (ص) في الأصلاب الطاهرة ، فقال :
" فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرهم في خير مستقر ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام ، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد (ص) فأخرجه من أفضل المعادن منبتا ، وأعز الأرومات مغرسا ، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه ، وعترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره ، وزند برق لمعه ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، على حين فترة من الرسل ، وهفوة عن العمل ، وغباوة من الأمم " .

فكان هاشم سيد العرب ، فأصبح أبناؤه من بعده صفوة قريش وسادة العرب وأئمتها وعنوان عزهم وفخرهم في العلو والرفعة لأنه من تلك السلالة

---

(٤٠) الشعراء ، الآية ٢١٩.
(٤١) القندوزي الحنفي ، ينابيع المودة ، ص [illegible]
(٤٢) نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده ، ج١ ، ص ١٨٥.

الطاهرة ، فكانوا القادة والمتقدمين ، ويتدرج هذا العز إلى ابن هاشم (عبد المطلب) ، وهو مطعم طير السماء ، وحليم قريش وحكيمها ، ومطاع وسيد في قومه .

أحسن قريش وجها ، واعده جسما ، وأحلمه حلما ، وأجوده كفا ، وأبعد الناس من كل موبقةٍ تفسد الرجال ، ولم يره ملك قط إلا أكرمه ، وكان سيد قريش من هلك[٤٣].

وتشاء العزة الإلهية أن تضع ما تقلب في الأصلاب الطاهرة بأصغر أبناء عبد المطلب وهو عبد الله _ والد الرسول الكريم (ص) _ فتزوج آمنة بنت وهب بنت عبد مناف وتلقب بسيد الأنام يتيما وفارقته إلى الحياة الأُخرى ، وهو طفل فكفله جده سيد البطحاء (عبد المطلب بن هشام) وأنها نعمة إلهية التي جعلت من الرسول (ص) تحت رعاية سيد قريش مباشرةً ويعتني به ويفضله على أبنائه ، لتنتقل رعايته بعد وفاة جده إلى عبد مناف بن عبد المطلب (أبي طالب) الذي أحاطه برعاية الوالد والعم حاله حال أبنائه ومنه : علي بن أبي طالب (ع) ، وقف أبو طالب بجانبه بكل نفوذه وبذلك انحصرت السيادة والشرف والعزة والرئاسة في بيت بني هاشم وفيهم (هاشم) سيد العرب حتى موته وعبد المطلب شيخ البطحاء وسيدها وحكيمها وأخيرا أبو طالب السيد الحكيم صاحب الموقف الثابت من ابن أخيه محمد (ص) والمدافع عنه وعن رسالته .

---

(٤٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨٥.

[illegible] هذا النور والاصطفاء [illegible]

فكانوا يتجملون بأنهم جميعاً [illegible] من قريش [illegible] ، واتصل بطونهم ، وأطهرهم نسباً ، وأشدهم حسباً ، وأفضلهم شمائل ، وبذلك حظي المنتسبون بالمكانة العلية من أفضل أهل الأرض.

لذلك اهتم النسابة المسلمون بهذا النسب الشريف ، وكان يحفظه نسّابة من أبناء السلالة نفسها أو من غيرها ، وعندما أخذ عددهم يتزايد ببركة الله (سبحانه تعالى) وتعاقب السنين أخذت تدون أنسابهم ، ونعتقد أن أول كتاب نسبي مدون ليوم وصل إلينا هو : كتاب المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين (ع) ، مؤلفه : أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة العبيدلي العلوي (ت : ٢٧٧هـ).

كان العرب أصحاب حفظ ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم[1]، لذلك فلا عجب عندما يفاخر ملك الحيرة النعمان بن المنذر على إمبراطور الدولة الساسانية كسرى أنوشروان عندما يقول : «وليس أحد من العرب لا يسمي آباءه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه»[2] فأمة العرب (أمة نسب)[3] ، وفي الحديث : «من أرخ مؤمناً فكأنما أحياه»[4] ، وصح عن الرسول الكريم (ص) : من انتسب إلى

---

(1) ابن [illegible] الأندلسي ، [illegible] ، ص [illegible].
(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج[illegible] ، ص٣٣٤.
(3) سمير عبد الرزاق القطب ، أنساب العرب ، ص٥.
(4) الموسوي ، [illegible] ، ص٩.

[illegible] أو [illegible] عشر مواقف [illegible] [illegible]
[illegible] [48]. وقوله : " لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فقد كفر "[49]، إن النسب الرفيع لا ينجي صاحبه من العقاب . وورد عن الإمام علي (ع)[50] : " من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه " .

إنّ النسب النبوي الشريف فيه رفعة وعلو فوق الأنساب جميعاً لأنه من معين يرتفع بالطهارة والنقاء ، ومن المعلوم أنّ الرسول (ص) لم يعقب إلا من ابنته فاطمة الزهراء (ع) ولا ذرية له إلا من وجهتها ، إذ قال رسول الله (ص) : " كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم "[51]. وهذا نسب يصح كالانتساب عيسى إلى نوح ، والانتساب إلى شرف النبي (ص) من سبطيه الكريمين الحسن والحسين (ع).

وقد صحّ النقل عن الرسول (ص) أنه قال للحسن : " أنّ ابني هذا سيد "[52] ، وصح قول النبي (ص) إذ قال : " ابناي هذان الحسن والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما "[53] ، وقال (ص) :

---

(48) ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة ، ج1 ، ص186.
(49) البخاري ، الصحيح ، ج[illegible] ، ص194.
(50) نهج البلاغة ، ج2 ، ص56.
(51) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج3 ، ص44.
(52) ابن طلحة الشافعي ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ص[illegible]
(53) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج13 ، ص[illegible] ؛ الشيعي ، القول الجلي في فضائل علي ، ص37.

"إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي"[٥٤]، وقال (ص) : "أنا سيد الناس وعلي سيد العرب"[٥٥]، وقال رسول الله (ص) : "أفضل أمتي علي بن أبي طالب"[٥٦]، وقال (ص) : "إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب"[٥٧].

ومن هذا نستنتج أن الذرية النبوية انحصرت في نسل الصديقة فاطمة الزهراء (ع) من ولديها الحسن والحسين (ع) لا غيرهما، وإن هذا التخصيص شائع ومتواتر لا نزاع فيه، ونقل القلقشندي[٥٨] أن "أشرف الناس في الأمة نسباً الحسن والحسين (ع)، رسول الله جدهما، والقاسم ابن رسول الله خالهما، وعلي بن أبي طالب أبوهما، وفاطمة بنت محمد أمهما، وخديجة بنت خويلد جدتهما، وأشرف النساء في النسب والصهر فاطمة الزهراء (ع)، رسول الله أبوها، وخديجة أمها، وعلي بن أبي طالب زوجها، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداها".

اصطلح على نسل الإمام علي (ع) وزوجته السيدة فاطمة الزهراء (ع) من ولديهما الحسن والحسين (ع) تحديداً (آل البيت أو أهل

---

(٥٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج١، ص١٥٦.

(٥٥) ابن الأثير، [illegible]

(٥٦) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص١٠.

(٥٧) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص١٥٦.

(٥٨) صبح الأعشى، ج١، ص[illegible].

[illegible] فسرت [illegible] ليذهب عنكم الرجس

أهل البيت ويطهركم تطهيرا [59] بأن المقصود بهم أهل الكساء الخمسة :

(الرسول الكريم ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن والحسين)[60] .

وحسب الروايات التاريخية هم أنفسهم (الخمسة) اشتركوا في قصة المباهلة . "**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**"[61] وعندما نزلت آية المباهلة قال رسول الله (ص) : "اللهم هؤلاء أهلي"[62] ولا ريب أن لهؤلاء شرفا لأنهم من آل النبي وأهل بيته ، وأنهم ولده وذريته بالإجماع[63] ، لذلك نجد الناس يسمونهم آل بيت الرسول (ص) ، وآل النبي ، وآل محمد ، وآل طه ، والسادة ، والأشراف ، وعترة النبي ، وأولاد النبي ، وذوي القربى ، وآل ياسين ، وغيرها من الألقاب والأسماء السامية للذين حرمت عليهم الصدقة .

وعليه أصبح لايقبل الشك أن ذرية الرسول الكريم (ص) انحصرت في سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب بن

---

(59) الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

(60) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٣ ، ص٣٠ ؛ الشبلنجي ، نور الأبصار ، ص١٠٧ .

(61) آل عمران ، الآية : ٦١ .

(62) السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٧٠ .

(63) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج١ ، ص٥٢٠ .

عبد المطلب وفاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب [illegible]
لأمه [illegible].

قال ابن زهرة الحسيني في كتابه (غاية الاختصار)[44] (بعد أن ذكر أن العرب كان لهم فن علم النسب غالباً عليهم وفاشياً فيهم) : ووضع النسب على دفتين ينقسم إلى نوعين : مشجر ومبسوط. فالتشجير صنعة مستقلة مهر فيها قوم وتخلف آخرون ؛ فمن الحذاق فيها : الشريف قتادة بن طلحة الزيدي النسابة ، كان فاضلاً يكتب خطاً جيداً ، قال : شجرت المبسوط ، وبسطت المشجر ، وذلك هو النهاية في ملك رقاب هذا الفن ، ومن حذاق المشجرين : عبد الحميد الأصغر بن عبد الله بن أُسامة النسابة الكوفي ، وابن عبد السميع الخطيب النسابة ، صنف الكتاب الحاوي لأنساب الناس ، مشجر في مجلدات تتجاوز العشر.

وأما المبسوط : فقد صنف الناس فيه الكتب الكثيرة المطولة ؛ فممن صنف في النسب العلوي ، يحيى العبيدلي النسابة ، صاحب مبسوط (المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين)[45].

والمبسوطات أكثر من المشجرات ، ووضع المبسوط أن يبدأ بالأب العلي ، ثم يذكر ولده لصلبه ، ثم يبدأ بأحد أولئك الأولاد ، فيذكر ولده إن كان له ولد ، فإذا انتهوا انتقلت إلى ولد أخيه ، ثم إلى ولد واحد واحد من الإخوة حتى يأتي على الإخوة ، ثم يعود إلى ولد ولد الأول ، ثم إلى ولد ولد

---

(44) ص[illegible].

(45) ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ص[illegible].

حيث ، وكذلك ... يعود إلى العائلة التي يريد أن يفصح عنها ، وفي أثناء ذلك أخبار ، وأشعار ... ونوادر ، وتعريفات ، وألقاب ، وأنباء وغيرها .

والفروق الظاهرة المشاهدة بينهما – المشجر والمبسوط – كثيرة ، وإنما الفرق الخفي هو أن المشجر يبتدئ فيه بالبطن الأسفل ، ثم يترقى أباً فأباً إلى البطن العلى ، والمبسوط يبتدئ فيه بالبطن العلى ، ثم ينحط ابناً فابناً إلى البطن الأسفل[..] ، وأن المشجر يقدّم فيه الابن على الأب ، والمبسط عكسه يقدم فيه الأب على الابن .

من هذا كله يمكن القول : إن الأنساب العربية علمٌ ، يدخل ضمن التاريخ الاجتماعي ، ويبحث في ماضي التشكيلات السكانية ، لبيان نسبة الأولاد إلى ابائهم واجدادهم ، وهو من العلوم التي اهتم بها العرب، وضبطوها ، وخص بهم دون غيرهم من الأمم .

المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمع قبلي ، تمثل القبيلة الوحدة السياسية ، واصل القبائل العربية ، جذمان : عدنان وقحطان وهناك من يضيف قضاعة ، ومنهم تفرعت القبائل العربية .

وعندما جاء الإسلام ، أكد الأنساب العربية ، بل نظمت الدولة في ضوئه ، والفت الكتب فيه ، وأول من ألف بالنسب العلوي هو العبيدلي وكتابه (المعقبين من ولد الامام امير المؤمنين) ؛ ومن أشهر كتاب انساب العامة : ابن الكلبي والزبيري والبلاذري .

(..) المصدر نفسه ، ص ..

وصحيح النسب في الامر [illegible] منها الإيمان بالله ورسوله وآل بيته (عليهم السلام) والنزاهة والحياد والتحري والصدق والنظرة الثاقبة للأمور ... ومائدة النسب تضم حفظة انساب ومشجريها ، وورثة كتبها ، ورواة سلاسل أعمدتها ، ومحققي النسب وقصاته .

والأنساب العربية علم ، له منهج خاص به يستطيع الباحث ان يكون مجموعة منظمة ومنتظمة من الحقائق النسبية والمعطيات الأثارية والوثائق المتنوعة والتحري عما فيها .

المصادر :

١- القرآن الكريم .

٢- أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) ، فضائل الصحابة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، لا. ت) .

٣- ابن أبي أصيبعة (ت . ٦٦٨هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت : دار مكتبة الحياة ، لا. ت) .

٤- الآمدي ، أبو القاسم الحسن (ت : ٣٧٠هـ) ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم (القاهرة : مطبعة القدسي ، لا. ت).

٥- البتي ، أبو جعفر أحمد (ت : ٤٨٨هـ) تذكرة الألباب بأصول الأنساب ، تح : علي عمر (الرياض : مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٥م) .

٦- البخاري ، أبو عبد الله محمد (ت : ٢٧٩هـ) ، الصحيح (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ) .

٧- البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت : ٢٧٩هـ) ، أنساب الأشراف ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦م) .

٨- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ) ، الصحاح (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٧٦هـ) .

٩- ابن حجر الهيثمي ، أحمد (ت : ٩٧٤هـ) ، الصواعق المحرقة ، (القاهرة : مكتبة القاهرة ، ١٣٧٥هـ) .

١٠- ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي (ت : ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ).

١١- ابن دريد ، محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ) الاشتقاق (القاهرة : دار السنة المحمدية ، ١٣٧٨هـ) .

١٢- ابن زهرة ، تاج الدين (ت : ٥٨٥هـ) غاية الاختصار في البيوت العلوية المحفوظة من الغبار (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٢هـ).

١٣- ابن سعد ، محمد (ت : ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ، تح : إحسان عباس (بيروت : دار صادر ، ١٣٧٧هـ) .

١٤- السنوسي ، محمد بن علي (ت : ١٢٧٦هـ) ، الدرر السنية في أخبار الإدريسية (القاهرة : ١٣٤٩هـ).

١٥- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١هـ) الدرّ المنثور (بيروت : دار المعرفة ، لا. ت) .

١٦- الشبلنجي ، محمد مؤمن (ت : ١٢٩٠هـ) ، نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (بيروت : دار الفكر ، لا. ت) .

١٧- الشريف الرضي ، محمد بن الحسين (ت : ٤٠٦هـ) ، نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢هـ) .

١٨- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت : ٥٤٨هـ) ، الملل والنحل (بيروت : دار المعرفة ، لا. ت) .

١٩- روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، تر. صالح احمد العلي (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣م) .

٢٠- الصابئي ، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال (ت : ٣٨٤هـ) ، التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم (مخطوط) .

٢١- ابن صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت : ٤٦٢هـ) طبقات الأمم (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢م).

٢٢- الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله (ت : ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين ، تح . مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م) .

٢٣- الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، لا . ت) .

٢٤- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ) ، تاريخ الأمم والملوك (بيروت : دار سويدان ، لا . ت) .

٢٥- ابن طلحة ، كمال الدين محمد (ت : [illegible]) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (النجف الأشرف : دار الكتب التجارية ، لا . ت).

٢٦- ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله (ت : ٤٦٣هـ) الإنباه على قبائل الرواة (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ) .

٢٧- ابن عبد ربه الأندلسي (ت : ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٤هـ) .

٢٨- العصامي ، عبد الملك (ت : ١١١١هـ) ، سمط النجوم العوالي
(القاهرة : المكتبة السلفية ، د. ت).

٢٩- ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت : ٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق
(بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ) .

٣٠- العمري ، علي العلوي (ت : ٧٠٩هـ) المجدي في أنساب الطالبيين
(قم : مكتبة آية الله السيد المرعشي ، ١٤٠٩هـ) .

٣١- ابن عنبة ، جمال الدين (ت : ٨٢٨هـ) ، عمدة الطالب في أنساب
آل أبي طالب (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٠هـ).

٣٢- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) كتاب العين (قم
المقدسة : مؤسسة دار الهجرة ، ١٤٠٩هـ).

٣٣- ابن فارس ، أحمد (ت : ٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام هارون
(بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩م) .

٣٤- القلقشندي ، احمد بن علي (ت : ٨٢١هـ) صبح الأعشى (القاهرة :
دار الكتب المصرية ، ١٣٤٦هـ) .

٣٥- القندوزي ، سليمان بن ابراهيم (ت : ١٢٩٤هـ) ، ينابيع المودة
(النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٤هـ).

٣٦- القطب ، سمير عبد الرزاق ، أنساب العرب (بيروت : مكتبة الحياة ،
١٩٩٢م).

٣٧- الكلبي ، هشام بن محمد (ت : ٢٠٤هـ) ، جمهرة النسب (بيروت :
عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ).

٣٨- الكشي ، محمد بن عمر [illegible] (ت : ٣٤٠هـ) ، [illegible] ([illegible]
الكتب الإسلامية ، [illegible]) .

٣٩- ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ) لسان العرب (بيروت :
دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ) .

٤٠- الميداني ، أبو الفضل احمد (ت : ٥١٨هـ) ، مجمع الامثال
(القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٧٩هـ).

٤١- ناجي حسن ، مقدمة المقتضب من كتاب (جمهرة النسب) لياقوت
الحموي ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، لا. ت).

٤٢- ابن النجار البغدادي ، محمد (ت ٦٤٣هـ) ، ذيل تاريخ بغداد
(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ).

٤٣- ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت : ٣٨٥هـ) الفهرست (القاهرة :
مطبعة الاستقامة ، لا. ت).

٤٤- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٢هـ) ، نهاية الإرب في
فنون الأدب (بيروت : دار الكتب ، ١٣٤٢هـ).

٤٥- الهمداني ، أبو محمد الحسن بن يعقوب (ت : بعد ٣٥٠هـ) ،
الاكليل ، تح : محمد علي الاكوع (بيروت : دار المدينة ، لا. ت) .

كتب عن البحر المحيط وعن البحار المتفرعة عنه ، ووصف الأنهار الكبيرة ومصباتها وما يقع عليها من مدن . تناول التضاريس والصخور وما تحويه من معادن وانتهى الى الكتابة عن الربع المأهول من الأرض .

المقدمة :

نحاول في هذا البحث ان نقدم تعريفا منهجيا بأحد الجغرافيين العرب الذين قدموا إسهاما متميزا في التراث العلمي الجغرافي العربي ، وهو أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب صاحب حماه ، ولد عام ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م وتوفي في عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

وقع اختيارنا على كتاب (تقويم البلدان) بوصفه من المراجع الجغرافية المتأخرة حيث أتم أبو الفدا مسودته عام ١٣٢١م وأعتمد في تأليفه على المراجع السابقة فهو بذلك يمثل موجزا تضمن أهم الأفكار العلمية العربية في حقل المعرفة الجغرافية حينذاك . ركزنا كثيرا على مقدمة الكتاب التي بلغت (٧٥) صفحة من الحجم الكبير .

جدير بالاشارة الى ان الباحث استفاد كثيرا من دراسات استاذنا الفاضل شاكر خصباك في موضوع الجغرافية العربية ، واستفاد من مقالة قصيرة سبق ان نشرها عن الأفكار الجغرافية لأبي الفدا في مجلة البصرة التي تصدر عن المركز الثقافي في جامعة البصرة (العددان ١٥ – ١٦) في عام [illegible]م .

أولاً : الجغرافية العربية

أيضاً ... الأخرى للجغرافية العربية لم يستخدم الجغرافيون العرب مفردة جغرافية بل استخدموا :

البلدان ومعجم البلدان وتقويم البلدان والمسالك والممالك والأقاليم والآفاق وغير ذلك .

وعند مراجعة كتاب (لسان العرب لابن منظور) وهو المرجع اللغوي الذي حفظ ما تداوله العرب من لغتهم ، لا نجد لهذه المفردة مكاناً فيه[1] ، وعندما نقلت اليهم مفردة جغرافية بقي استعمالهم لها نادراً ولعلهم استعملوها لتدل على المفاهيم الجغرافية الاغريقية ، وعلى ما هو فلكي ، نقلت الى العربية بمعنى علم الأطوال والأعراض [2] ، ظلت هذه المفردة عندهم مصطلحاً علمياً لم يحاول العرب أن يجدوا له مقابلاً في العربية يدل على وصف الارض كما أشار الى ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون[3] .

لقد أشار عدد كبير من المستشرقين الى أصالة الفكر الجغرافي لدى العرب والى تحديد ما ورثوه عن اليونان والرومان ، وبهذا الصدد نشير الى الجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور ابراهيم شوكت لجمع الأدلة القاطعة من

---

[1] ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي بن أبي القاسم جمال الدين بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب ، دار صادر – بيروت (١٥ مجلد) .

[2] كراتشكوفسكي ، إغناطيوس يليانوفتش (١٩٦٣) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ص ٢٠

[3] حاجي خليفة (١٩٤١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا ، وكالة المعارف الجليلة – استانبول ، مج١ ، ص ٥٩٠

[illegible] المستشرقين [illegible]

[illegible] بعض الباحثين تاريخ الفكر الجغرافي العربي في مرحلتين هما :

١. مرحلة المدرسة اللغوية وامتدت من القرن الثاني للهجرة الى منتصف القرن الثالث .

إنّ مادة الجغرافية الأولى ، أو نشأة الفكر الجغرافي العربي الأولى كانت على أيدي نفر من علماء اللغة ودارسيها والباحثين فيها ، فقد عني اللغويون الأقدمون بتحديد البقاع والمنازل الكثيرة التي وردت في الشعر الجاهلي وما جاء في أحاديث الرسول الكريم (ص) ، وبعضهم يؤكد أن موضوع الجغرافية دخل في أصله عند العرب من باب الشعر والأدب فقالت الشعراء ما شاءت ثم حمل اللغويون والرواة وزر تعريفها وتحديدها .

وسار على آثار هؤلاء نفر ممن هم أقرب الى الاختصاص هم أهل البلدان والذين تأثروا بترجمة الحضارات ، وأشار الى هذين الاتجاهين في الكتابة الجغرافية (ياقوت الحموي) في مقدمة كتابه (معجم البلدان) ويذكر من بين هؤلاء اللغويين :

• ابن الكلبي المتوفى عام (٢٠٤هـ) ومن مؤلفاته : الأنهار – الأقاليم – والبلدان الكبير – البلدان الصغير – اشتقاق البلدان – وأسماء البلدان .

---

(١) شوكت ، ابراهيم (١٩٦١) تقدير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به وحقيقة كتاب جغرافية لبطليموس ، [illegible] مجلة (الأستاذ) مج : ([illegible]) (بغداد : كلية التربية جامعة بغداد) ص [illegible] .

(٢) الراوي ، حبيب (١٩٦٤) المصادر اللغوية الجغرافية عند العرب ، (مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مج [illegible] ، بغداد : الجمعية الجغرافية العراقية) ص٣٥-٦٨

في الجغرافية العربية - جغرافية الارض عند أبي الفدا

الاستاذ الدكتور عبد علي الخفاف

الملخص :

يقدم البحث تعريفا منهجيا بأحد الجغرافيين العرب المعروفين باسهاماتهم المتميزة في التراث العلمي الجغرافي العربي . استند البحث الى الافكار الواردة في مقدمة كتابه (تقويم البلدان) الذي يعد من المراجع العربية المتأخرة حيث أتم ابو الفدا مسودته في عام ١٣٢١م .

إعتقد ابو الفدا بكروية الأرض وبأنها ذات سطح مستدير وهو بذلك طرح رأيا شجاعا غريبا عن الرأي السائد حينذاك ولربما كان رأيه هذا من بين الافكار التي شجعت البولندي كوبرنيكوس على أن يطرح أفكاره الجريئة مخالفا معتقدات الكنيسة .

كتب عن خطوط الطول وعن دوائر العرض وأشار الى أن خط الاستواء ينصف كرة الأرض الى نصفين شمالي وجنوبي . وكان يرى أن خط الطول الرئيس يمر بجزر الخالدات (جزر كناري) . وبخطوط الطول والعرض حدد الربع المأهول من الأرض .

كتب عن (٥) مناطق حرارية على الارض وهي المنطقة الحارة على خط الاستواء ومنطقتين متجمدتين في الشمال والجنوب وما بينهما وبين المنطقة الحارة منطقتان معتدلتان .

• [illegible] وله كتاب في [illegible] والأرض

• البكري وله كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، علي أن البكري يصنف ضمن الجغرافيين .

• الزمخشري وله كتاب الجبال والأمكنة والمياه .

إنّ هؤلاء اللغويين والمعاجميين وغيرهم حرروا المادة اللغوية الأدبية وهي مادة جغرافية ، ويعد (المخصص لابن سيده) أهم ما كتبه اللغويون ، وهو من علماء القرن الخامس الهجري ، فقد تطرق فيه إلى ظواهر سطح الارض وحاول أن يقدم التفسيرات لتأثير الطبيعة في نشاط الانسان وفي نمو النبات وتوزيع الحيوان [1]

٢. مرحلة المدرسة الجغرافية عند كتاب (المسالك والممالك) ونشأت مع المدرسة اللغوية في أواسط القرن الثالث الهجري واستمرت حتى القرن الرابع ، ثم (أخبار البلدان) فقد بحثت في شؤون البلدان وبلدان العالم الاسلامي على وجه الخصوص [2] ، حتى تحطمت بعد ذلك ميدان [illegible] للظواهر الطبيعية والبشرية التي كانت [illegible] الوصفي

---

[1] ينظر إلى : الساعاتي ، [illegible] (١٩٦٧) الموقف الجغرافي من المادة اللغوية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مج (١) ، [illegible] (١٩٦٣) ، معجم البلدان لياقوت الحموي ، مجلة (الجمعية العراقية الجغرافية) مج [illegible]
[illegible] ، المصدر السابق .

[2] الزوكي ، المصدر السابق .

[illegible] لديهم كما انها كانت للاغريق والرومان ايضا .

زادت هذه الحاجة مع التقدم السياسي وتشكيل الدول لدى الاغريق والرومان ، فقد وظفت الجغرافية لخدمة الواقع السياسي الجديد وتسهيل ادارة المناطق الجديدة ، كذلك الحال بالنسبة الى العرب فقد زادت حاجتهم الى الجغرافية بعد الدعوة الاسلامية ، وخروجهم من شبه الجزيرة العربية شرقا وغربا وتأسيس دولهم ، [illegible] العرب العديد من المصنفات الجغرافية وهي تشكل تراثا علميا تناول القسم الشرقي من الكرة الارضية ، اي من العالم بقاراته اسيا وافريقيا واوربا * ، ان لهذا التراث اهميته الانسانية في معرفة الاجيال القادمة لما كان عليه العالم من الناحية الطبيعية ومن الناحية البشرية (الاقتصادية والاجتماعية) فيفترض ان نعتني به ونستذكر العناية اللازمة باعتباره تراثا انسانيا .

ثانيا : ابو الفدا :

ابو الفداء هو اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ، من سلالة الايوبيين ويطلق عليه صاحب حماه والملك المؤيد ، مؤرخ وجغرافي ، ولد سنة

---

* نرى ان تقسيم العالم الى عالم قديم (اسيا - افريقيا - اوربا) والى عالم جديد (امريكا الشمالية - امريكا الجنوبية) تقسيم غير دقيق من الناحية العلمية [illegible] عالم قديم ثم الآخر [illegible] القسم الشرقي من الارض لا [illegible] بعد ان تعرفنا [illegible] حضاراته .

[illegible] هـ / ١٣٣١م) في دمشق ، [illegible] حرب [illegible] من [illegible] جيوش المغولي ، [illegible] (عماد الدين) بسعة ثقافة واطلاع واسع ، استطاع بحنكته وشجاعته استعادة ملك [illegible] بعد المملكة الأيوبية ..

كان أبو الفداء [illegible] ، وصنف في كل علم تصنيفا ، خلف للمكتبة العربية أكثر من (٣٠) مؤلفا ، من أهم كتبه المحققة والمطبوعة كتاب (تقويم البلدان) وهو كتاب في الجغرافية ، طبع عدة طبعات في أوربا بعنوان (جغرافية أبي الفداء) . (انظر إلى خليفة ، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٩٠) تناول أبو الفدا في مقدمة كتابه (تقويم البلدان) وصفا عاما للكرة الأرضية ، والظواهر الطبيعية من تضاريس وأنهار وبحيرات وبحار ومحيطات ، وقد بدأ بشكل الأرض وموقعها الفلكي وخطوط الطول والعرض .

١. شكل الأرض :

اعتقد أبو الفدا بكروية الأرض ، [illegible] (.... [illegible] جملة الأرض فكروية الشكل حسبما ثبت في علم الهيئة بعد أدلة .....)[١]

على الرغم من أن سطح الأرض مضرس لتشكله الجبال العالية والمنخفضات العميقة فإن درجة التضرس هذه لم تمنع الاعتقاد [illegible]

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، [illegible] ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص٢ [illegible]

... هذا السطح شيء معروف ... لأن كثير ... نتوءات ... نسبيا من كتلة الأرض .

(... وأما ما يحسب حتى نلزمها من جهة الجبال والأغوار فإنه لا تخرجها عن أصل الاستدارة ولا نسبة لها محسوسة إلى جملة الأرض فإنه قد برهن في علم الهيئة أن جبلا يرتفع نصف فرسخ يكون عند جملة الأرض كخمس سبع عرض شعيرة عند كرة قطرها ذراع ...)[٥] .

إنها نصيرة علمية تقترب كثيرا مما وصلت اليه علوم الفلك والجيولوجيا والمساحة وعلم الفضاء اليوم ، إن أبا الفدا قدم فكرة شجاعة غريبة على الرأي السائد حينذاك حول شكل الأرض وربما كانت هذه الفكرة من بين الأفكار التي شجعت البولندي نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus (١٤٧٣-١٥٤٣) أن يطرح أفكاره الجريئة ضد معتقدات الكنيسة ، وصرح نظريته مركزية الشمس وكون الأرض جرما يدور في فلكها .

ب . كروية الأرض

من بين الأدلة التي ذكرها عن كروية الأرض هي : طلوع الشمس والكواكب وغروبها في شرق الأرض قبل غربها ، واختلاف خريطة السماء عند التنقل بين شمال الأرض وجنوبها .

(... بعدة أدلة منها تقدم طلوع الكواكب وتقدم غروبها للمشرقين على طلوعها وغروبها للمغربين ... على ... شرقا وغربا وارتفاع القطب والكواكب الشمالية وانحطاط الجنوبية للواغلين في الشمال وارتفاع القطب

(٥) المصدر نفسه ، ص ...

[illegible] في [illegible]

مراكب الجبلاني للمسافرين على مسافة من السفن ويعتبر ذلك دليل على استدارة على باقي الأرض ... (١) [illegible] نوظف لمشاهد ملكية لإدراك كروية الأرض .

ج. الموقع الفلكي للأرض وحصول الخسوف والكسوف .

تأثر أبو الفدا مثل عدد من الجغرافيين العرب والمسلمين بالنظرية [illegible] التي حددت موقع الأرض وسط الفلك . ولاشك أن هذه النظرية تتفق مع ما اعتقده العرب من مكانة سماوية مقدسة للأرض . [illegible] القدماء انها تحتل مركز الكون [illegible] ظاهرة خسوف القمر اثر في اقناعهم . فكانت هذه الظاهرة الدليل المؤيد لهذا الموقع .

[illegible] (وكما هو معروف) [illegible] الفيزياء قد أثبتت أن الأرض لا تحتل مركز الكون ، بل هي إحدى كواكب المجموعة الشمسية التي تأخذ موقعاً منزوياً من الكون وأن الشمس هي مركز هذه المجموعة .

أما سبب حصول ظاهرتي الخسوف والكسوف فهو وقوع الأرض والقمر والشمس على مستوى واحد [illegible] في وسط الفلك لعدة أدلة منها [illegible] خسوف القمر في محاذاته الحقيقية للشمس يدل على أن الأرض في الوسط [illegible] (٢) ، ولاشك انه تحليل سليم لظاهرة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣

محدودة بعض كتبه من الأفكار التي سادت لعصره [illegible]
تستند الى الخرافة والاسطورة .

د. خطوط الطول ودوائر العرض

استفاد ابو الفداء من تقسيم الأرض الى خطوط طول ودرجات عرض وهمية ، وجاءت (تكوينه الذهني) على اساس تلك الخطوط والدوائر في تحديد مواقع البلدان ومواقعه لمصر وتقدير مساحتها .

كانت خلاصة معرفته لهذه الخطوط والدوائر ووظيفة لها بالاتي :

١. خط الاستواء هو الدائرة الوهمية الرئيسية والعظيمة التي تنصف الارض الى نصفين شمالي وجنوبي ، وتتعامد الشمس عليه فتتسبب في حدوث فصلي الربيع والخريف .

٢. خط الطول الوهمي الأول هو الخط المار بجزر كناري (جزر الخالدات) في المحيط الاطلسي ، أو الخط المار على ساحل افريقيا الغربي كما حدده الرعيل من جغرافي عصره .

٣. ادرك بصورة صحيحة ان نصف الارض يحتوي على (١٨٠) خطا طوليا وقد حسبها على اساس أن نصف الدور (منتصف اليوم) يستغرق (١٢) ساعة وكل ساعة تستغرق مرور اشعة الشمس على (١٥) خطا طوليا .

٤. كان يرى ان الخط الوهمي المار بقطبي الارض والمتعامد على خط الاستواء يقسم الارض الى اربعة اجزاء والمسكون منها جزء في حد الربعين الشماليين .

[illegible]

فاعتقد أن المعمور الاستواء (٣) درجات قريباً من خط الاستواء ويمتد شمالاً الى درجة عرض ٦٦.٥ شمالاً ، حيث اشتداد الحرارة في الجهات الاولى يحد من النشاط البشري وهبوطها الشديد يحد منه في الجهات الثانية

وفعلاً توصلت الدراسات الجغرافية الحديثة التي تناولت موضوع التوزيع الجغرافي للسكان على الكرة الأرضية الى ان معظم سكان العالم يتركزون في عروض المنطقة المعتدلة وبكثافات عالية مما يؤشر لنا سلامة التصور الجغرافي الذي ذكرناه .

٦. لقد استفاد ابو الفدا مثل غيره من الجغرافيين من خطوط الطول ودوائر العرض في تقسيم الارض الى المناطق الخمس المعروفة وهي مناطق حرارية يختلف فيها طول النهار

وهذه المناطق هي :

- المنطقتان القطبيتان الشمالية والجنوبية وهما غير معمورتين من قبل البشر بفعل البرودة الشديدة (الانخفاض الشديد لدرجات الحرارة) .
- المنطقة الحارة (التي ترتفع فيها درجات الحرارة ارتفاعا شديدا) وهي فوق خط الاستواء وهي الاخرى غير معمورة .
- المنطقتان المعتدلتان شمال وجنوب خط الاستواء ، والجنوبية منهما معمورة [illegible] . هذا الوصف لخطوط الطول ودوائر العرض والمناطق الحرارية [illegible] كتب الدراسات الجغرافية

الحبشة ، [illegible] خط الاستواء [illegible] الاستواء هي الدائرة العظيمة المتوهمة التي تمر بنقطتي الاعتدالين الربيعي والخريفي وتفصل الارض بنصفين احدهما شمالي والآخر جنوبي ...)[1]
ثم يصف امتداده عبر قارتي اسيا وافريقيا والمحيط الاطلسي ويتساوي الليل والنهار عليه طوال العام وتتعامد الشمس فوقه مرتين في العام ويفسر تسميته بخط الاستواء لتساوي الليل والنهار عنده ويذكر ان سقوط أشعة الشمس يتباين خلال العام بين التعامد عليه والتعامد على شماله وجنوبه . (... خط الاستواء وهو يمر من بحر الصين الى بحر الهند الى الزنج الى برازي سودان المغرب ينتهي الى البحر المحيط في المغرب فمن سكن في احد الاماكن التي على خط الاستواء لم يختلف عليه الليل والنهار واستويا عليه أبدا ، واجتازت الشمس على رأسه في السنة مرتين عن كون الشمس في رأسي الحمل والميزان ، وبعضهم يرى أنه أعدل المواضع وبعضهم يرى انه حار وانه سمي خط الاستواء لاستواء الليل والنهار فيه ...)[2] .

ويشير عن خط الطول (... عظيمة أخرى تمر بقطبي هذه الدائرة ... انقسمت الارض بهما ارباعا احد الشماليين هو الربع المسكون وثلاثة الارباع غير معلومة الاحوال والاكثر على انها مغمورة بالماء وانما حكم على أن المعمور ربع لأنه لم يوجد في ارصاد الحوادث الفلكية

---

[1] المصدر نفسه ، ص [illegible] .

[2] المصدر نفسه ، ص [illegible] .

بالحسوبات فقد ساعات ... في المشرق اربع على ساعات الموقعين في المغرب ... اثنا على اثنتي عشر ساعة، لكل ساعة خمس عشرة درجة فخمس عشرة في اثنتي عشرة بمائة وثمانين وهو نصف الدور ...)[24]

وقد اشار في موضوع اخر خطوط الطول ودوائر العرض في كتابه الجغرافيا الاستشهاد الا جعرفنة المعمور) (... وانما قيل ان المسكون هو الشمالي لم يوجد انفصال الاعتدال نهار الاعتدالين في شيء من المساكن جنوبا الا في قليل من مساكن على اطراف الزنج والحبشة ولكن لا يزيد عرضه على ثلاث درجات وفي جانب الشمال ايضا لا يمكن ان يسكن فيما جاوز عرضه تمام الميل الكلي لشدة البرودة والمراد بتمام الميل الكلي عرض ست وستين درجة ونصف تقريبا ...)[25] وعن خطوط الطول والخط الاول يذكر (... والجمهور جعلوا مبدأ الاطوال من جانب المغرب ليكون ازدياد عدد الاطوال في جهة توالي البروج ومبدأ العرض خط الاستواء لانه بالطبع متعين وقد ذكروا ان بداة العمارة في المغرب كانت في جزائر تسمى بالخالدات وهي الان غير معمورة فجعل بعضهم الجزائر المذكورة مبدأ الطول وبعض اخرون جعلوا ساحل البحر الغربي مبدأ وبينهما عشر درجات من بدو معدل النهار ...)[26] وعن المناطق الحرارية الخمس يذكر (... ان الارض مقسومة بخمسة اقسام يفصلها دوائر متوازية وموازية لمعدل النهار فمن ذلك ... الا انفصال الخراب عن ... بسبب القرب من القطبين لشدة البرد ...

---

(24) المصدر نفسه، ص ٤.

(25) المصدر نفسه، ص ٤.

(26) المصدر نفسه، ص ٧.

[illegible] الهواء [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] دائرية [illegible] من منطقة [illegible] عن منطقة فيهما معتدلان لكن الجنوبي منهما مغمور بالماء على [illegible] ويستدير من هذا الشكل صورته ...)[1]

الجنوب

جراب لشدة البرد

الجنوب المعتدل

وهو المغمور بالماء السطح المستوي عليه خط الاستواء

الشمالي المعتدل وفيه الأقاليم

جراب لشدة البرد

الشمال

هـ. توزيع اليابسة والماء :

الماء عند [illegible] أحد العناصر الطبيعية المكونة للوجود الطبيعي [illegible] يحيط بالأرض من جميع جهاتها ويغطي (٣/٤) سطح الأرض تقريبا واليابسة لا تشكل سوى (١/٤) فقط ، وان المحيط الأطلسي هو الذي يحيط باليابسة من كافة الجهات حتى تبدو كأنها جزيرة وسط المياه (... [illegible] الماء وموضوعه الطبيعي ان يكون شاملاً للأرض شمولاً الهواء لها الأرض وموضعها الطبيعي ان تكون وسط الكل وان يحيط بها الماء من جميع

---

[1] المصدر نفسه ، ص .

[illegible]

المعمور مكانا للحيوان البري والنبات فالماء والنار المكشوف من الأرض بالغرب ربعها لان ثلاثة أرباع الأرض الباقية بالتقريب مغمور بالبحار ... فأما البحار العظيمة المشهورة خمسة البحر المحيط وبحر الصين وبحر الروم وبحر نيطش وبحر ...[1]

و. جغرافية البحار والمحيطات

تتلخص جغرافية البحار والمحيطات عند ابي الفدا بما يلي :-

١. المحيط الاطلسي وقد سماه البحر المحيط ، فهو البحر العظيم الذي يحيط بالربع المسكون من كافة جهاته فتبدو في وسطه وكأنها جزيرة ومنه تتفرع بحور العالم الاخرى .

٢. من البحر المحيط تتفرع بحار صغيرة تأخذ اسماء جهات اليابسة الواقعة عليها .

٣. يسمى البحر المحيط في جهته الشرقية من العالم بالبحر الشرقي .

٤. يصف ابو الفدا كافة البحار وصفا منقولا من المصادر واكثر البحار وصفا هو البحر المحيط وبحر الروم (البحر المتوسط) وبحار العالم العربي بفعل قربها مما يسر التعرف عليها .

٥. يقدم وصفا جغرافيا للاشكال الهيدروغرافية للبحار الواسعة والبحار الصغيرة واجزائها من الخلجان ووصفا لظواهر المد والجزر فيها .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ...

٧٠ (... وللاصطلاح هذه تسمية إصطلاحية في تعريف البحر اليونان عند
الافلاك والشانون ... والبحر كل خليج يمتد من البحر الى
بحر السودان ... الى ما تقطعه المراكب في سود ونسبة بلاد الزنج
الطيب ...)

يذكر عن البحر المحيط ان ماسمي محيطا لاحاطته بجميع المعمور
المكشوف من الارض ... كان يسمى أوقيانوس الاتلنتي ، انه حول الارض
كالاكليل على الرأس ولنبدأ فنذكره من الجانب الغربي ثم نذكر احاطته من
الجهة الجنوبية ثم من الجهة الشرقية ثم الشمالية ثم الغربية من حيث ابتدأنا
فنقول ان جانب المحيط الغربي الذي على ساحله بلاد الغرب يسمى
أوقيانوس وفيه الجزائر الخالدات وهي ... منه عن ساحله عشر
درجات ... والبحر المحيط المذكور يأخذ في الامتداد من سواحل بلاد
المغرب الاقصى الى جهة الجنوب حتى يتجاوز صحراء (لمتونة) وهي
برارى للبربر بين طرفي بلاد المغرب ... اطراف ... ثم يمتد
جنوبا على اراضي ... حتى يتجاوز خط
الاستواء في الجنوب ... ينعطف الى جهة الشرق وراء جبال القمر التي
منها منابع نيل مصر فيسير البحر المذكور جنوبا عن الارض ثم يمتد
مشرقا الى اراضي خراب وراء بلاد الزنج ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل
ببحر الصين والهند ثم يمتد مشرقا حتى يسامت شرقيه الارض في ...

---

(١) المصدر نفسه ، ص [illegible]

القطبي الى جهة الشمال ثم يمتد ... [illegible] ... بلاد الصين ويسامت منه بحرج ويخرج ثم ينعطف ويستدير على ارض غير معلومة الاحوال ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال من الارض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها وينعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الارض ويصير من جهة المغرب ويمتد على سواحل أمم مختلفة من الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غرب ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية الى مسامتة البلاد التي بين رومية وبين الاندلس حتى يتجاوزها الى بلاد الاندلس ثم يمتد على غربي الاندلس جنوبا حتى يتجاوز الاندلس ويسامت (سبتة) من (بر العدوة) من جهة [illegible] ...)[1]

ومن البحور التي تخرج من البحر المحيط (... ويسمى هذا البحر باسماء البلاد التي يسامتها فمبدأه الشرقي يسمى بحر الصين لان بلاد الصين على ساحله ثم القطعة الغربية من بحر الصين يسمى بحر الهند لمسامتتها بلاد الهند ...)[2]

(... ذكر بحر الصين مما تفصيل حواليه وتحديده فانه مجهول لنا ولم نقف منه على تفصيل محقق ...)[3].

ومن المحيط الهندي (... ذكر البحر الاخضر وهو بحر الهند اما شرقيه فبحر الصين وشماليه بلاد الهند وغربيه بلاد اليمن اما جنوبيه فغير

---

(1) المصدر نفسه، ص١٨.
(2) المصدر نفسه، ص٢٤.
(3) المصدر نفسه، ص[illegible].

[illegible] فانه [illegible] في جنوب [illegible]

[illegible] ...)(١) وجزيرة سرنديب هي جزيرة سيلان اليوم.

بعد ذلك يصل إلى البحر العربي والخليج العربي والسواحل والجزر والأمصار الواقعة عليه، ويصف (باب المندب) بين البحرين العربي والأحمر (... ثم يمتد على سواحل الحبشة جنوبا ويصل إلى رأس جبل المندب وهي نهاية [illegible] القلزم الجنوبية عند فم بحر القلزم من بحر الهند ويتقارب جبل المندب ومن عدن ويبقى البحر بينهما ضيقا حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر وهذا المضيق يسمى باب المندب ...)(٢).

ويصف بحر الظلمات، المحيط الأطلسي، أو البحر الغربي على أوروبا والذي تمشي عليه سواحلها وصفا مفصلا ويسميه أحيانا بحر الظلمات (... وهو قطعة من البحر الغربي المحيط ...)(٣).

ويصف البحر المتوسط (بحر الروم) وصفا دقيقا لجزره وسواحله ومدنه (... وهو البحر الخارج من أوقيانوس في جهة الشرق وابتداؤه من طنجة وهو يخرج بين طنجة وسبتة وعرضها من بر العدوة وبين الأندلس يسمى هناك بحر الزقاق [illegible] مضيق هناك ...)(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص [illegible]

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢

(٤) المصدر نفسه، ص [illegible]

وعن بحر ... [illegible] ... معروف عند ... [illegible]

وبالبحر الاسود ويسمى ايضاً بحر ... في القسطنطينية، ويمتد حتى يتصل ب بحر الروم ...)[32]. ويحدد موقع الجزر البريطانية في بحر الشمال (... بحر ... وهو بحر ... من البحر المحيط الغربي في شمالي الاندلس ... ويبحر فيه جزر بريطانيه...)[33]

وعن بحر الخزر (... هو بحر مالح لا يتصل بالبحر المحيط ولا بغيره من البحار ... بل هو بحر منفرد قريب من الاستدارة...)[34]

ز. جغرافية البحيرات

اشار ابو الفدا الى البحيرات في الجوانب الآتية .

١. تحديد مفهوم البحيرة نجده في (... البحيرة والبطيحة بمعنى واحد وهي المياه المجتمعة التي هي دون البحار ...)[35]

٢. عرف ان البحيرات في العالم كثيرة وما هو معروف منها ومدون هو بعض منها (... والبحيرات من الكثرة على وجه لا ينحصر ولم ننقل في الكتب الا بعضها ...)[36]

---

(٣٢) المصدر نفسه، ص٣٤

(٣٣) المصدر نفسه، ص٣٥

(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٥

(٣٥) المصدر نفسه، ص٣٧

(٣٦) المصدر نفسه، ص٣٧ .

٣. فقد وصفنا [illegible] البحيرات المعروفة [illegible]
[illegible] والتي تصب فيها، ووصف سواحلها ومدى توقعها عليها، ومن البحيرات التي ذكرها (... ومنها البطيحتان اللتان هما على جنوبي خط الاستواء، ومنها نيل مصر، وهما بطيحة غربية ويدخل إليها خمسة أنهار تنحدر من جبل القمر، وهي أصل نيل مصر ... وبطيحة شرقية في حد [illegible] خط الاستواء... وهي شرقي البطيحة الغربية ...)[٣١]

وبحيرة فيكتوريا يسميها (كوري) فينقل عن أبي سعيد (... وهي بحيرة على خط الاستواء ويخرج منها نيل مصر [illegible] لا يزال مقدشو شرقاً [illegible] غرباً...)[٣٢]

ويذكر البحيرات في السودان والمغرب ومصر فيصف بحيرة الفيوم (... وهي بحيرة [illegible] الفيوم تصب فيها فضلات ماء الفيوم ولا تخرج منها وفيها سمك كثير [illegible] وهي حلوة ...)[٣٣] وعن بحيرة دمياط وتنيس (... هما بحيرتان متصلة إحداهما بالأخرى ومتصلتان بالبحر المالح فبحيرة تنيس هي [illegible] وبحيرة دمياط هي الغربية [illegible] فيهما بحر أشمون وهو [illegible] الشرقي ... وبحيرة تنيس ودمياط متسعة للغاية وهي متصلة بالبحر [illegible] في زيادة النيل ويملح إذا نقص النيل وهي قليلة العمق يسار فيها بالمراكب ...)[٣٤]

---

(٣١) المصدر نفسه، ص [illegible]
(٣٢) المصدر نفسه، ص [illegible]
(٣٣) المصدر نفسه، ص [illegible]
(٣٤) المصدر نفسه، ص [illegible]

ويصف [illegible] في [illegible]
ودمشق وانطاكيا وغيرها .

وعن طبرية يذكر (... وهي في أول الغور تدخل إليها الشريعة المنصبة من بحيرة بانياس إلى بحيرة طبرية ... وهي قرية ليس فيها معدن ...)[36] . وعن [illegible] وهي بضيعة [illegible] وتغلب عليها عدة أنهار من جبال هناك ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبرية ...)[37] ، وعن البقاع (... هي مستنقعات [illegible] وقصب في جهة الغرب من بعلبك ...)[38] . وعن بحيرة دمشق (... في الغرب غوطة دمشق ... يصب إليها فضلة نهر بردا وغيره ...)[39] .

يتناول بعد ذلك البحيرات المعروفة في تركيا وإيران ، أما عن العراق فيصف الأهوار في وسط جنوبه (... منها بطائح البصرة ... ومنها بطائح واسط ... والمتوقفة بطائح تصير من فضلات الفرات ، وأما بطائح واسط فهي من مياه دجلة... وتسمى البطيحة والبحيرة عندهم الهور ثم بعد انتهاء البطائح المذكورة يخرج نهر دجلة ويسمى بعد خروجها من البطائح دجلة العوراء ثم بعد ذلك يتفرع منها أنهار البصرة ...)[40]

---

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٣٩ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص٤٠ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ص٤٠ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص٤٠ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ص٤١ .

ح. جغرافية الأنهار

تناول أبو الفداء جغرافية الأنهار عبر الموضوعات الآتية :

١. الاهتمام بوصف الأنهار الكبيرة والمشهورة وصفا تفصيليا من المنبع حتى المصب مع ذكر المدن المعروفة الواقعة عليها وذكر أطوال الأنهار أحيانا .

١. ذكر أنواع الصخور والمعادن الموجودة في شواطئها والشلالات والجنادل فيها وأنواع النباتات والحيوانات التي تعيش في مياهها .

٣. ذكر الروافد والفروع المتفرعة عن الأنهار لاسيما الكبيرة منها والمعروفة منها .

٤. تحديد مواعيد الفيضانات والصيهود لكل منها .

٥. ذكر أهميتها الاقتصادية في معرفة تأثيرها في النشاط الزراعي .

٦. ذكر أحيانا أساليب الري التي تتم بالاعتماد على الأنهار سواء أكانت سيحا أم بالواسطة (الدواليب) .

٧. أشار إلى بعض الظواهر الهيدرولوجية ومنها أن منابع الأنهار تتغذى من الأمطار والثلوج وأن طبيعة المجرى الصخرية ذات علاقة في خصائص مياه النهر في حملها ذرات الرمال أو الغرين أو جريانها صافية ... وأشار إلى أثر سرعة الجريان وكميات المياه الجارية في عذوبتها .

[illegible] كل [illegible] الأ[illegible] [illegible]

[illegible] الإحاطة بجميعها وإنما نذكر بعضها ...)[1] وعن النيل (... هو النهر العظيم المشهور الذي ليس له نظير في الوجود من سائر أنهار الأرض حالاً ؛ إنه أطول أنهار الأرض من مبتداه إلى منتهاه وذلك يستلزم لطافته بسبب كثرة التحريك [illegible] تجري في رمال وصخور فيسلم عن الأرض الخضرة والحمأة والوحل الذي لا يمكنه [illegible] نهر [illegible] أن الحجر فيه لا يحصر كما يحصر في غيره وهو يزيد في أيام نقص الأنهار وزيادته إنما هي من الأمطار التي تقع في تلك البلاد ومبتداه وأوله الخراب الذي هو جنوب خط الاستواء..

ونسبه بطليموس أنه يخرج من جبال القمر من عشرة مسيلات منه ... وتصب هذه المسيلات عشرة في بطحتين كل خمسة أنهار في بطيحة... .

ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار وينصب منها نهران في الأنهار الأخرى فتصير منه نهر وتسير الأنهار الستة إلى جهة الشمال حتى تنصب في بحيرة مدورة [illegible] خط الاستواء هي بحيرة كورا ... ويخرج منها نيل مصر شمالاً ويمر على بلاد السودان.

وعن المغرب يذكر عدة أنهار وجداول ومنها : نهر السوس الأقصى ونهر [illegible] وكلاهما يصب في بحر الروم (البحر المتوسط) ويذكر أنهار الأندلس بشيء من التفصيل فيذكر عن نهر إشبيلية (.. قال عن

---

(١) المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] وهو في [illegible] وهو اعظم [illegible] من [illegible]

البحر الاعظم... ويصب فيه عدة أنهار منها نهر قباقب الذي يمر على ملطية ونهر سوس الذي عليه مدينة إسفنجة..)[42] ويتناول الانهار في تركيا وايران والهند ويذكر من انهار بلاد الشام نهر الاردن بتفصيل و(.. هو نهر الغور ويسمى الشريعة أيضا ...)[43] ونهر حماة ويسمى نهر الأرنط ونهر العاصي وسبب هذه التسمية (... لان غالب الانهر تسقي الاراضي بغير دواليب ولا نواعير بل بأنفسها ونهر حماة لايسقي الا بنواعير تنتزع منه الماء...)[44] وعن العراق يصف نهري دجلة والفرات بالتفصيل من منبعهما وحتى المصب في البطائح (الاهوار) . الفرات (... اوله من شمال مدينة ارزن الروم وشرقيها وارزن في آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق ... وتسير الى عانة.. ثم تسير الى هيت ... ثم تمر الى الكوفة ... ثم تسير مشرقا وتصب في البطائح ... وعن سليمان بن مهنا ان يحاذي الفرات سعة الى قلعة نجم وفي قائم عنقا تدخل في وادي الى عانه الى حديثة الى هيت الى الانبار ومن هيت تخرج الى فضاء العراق والسيول ... ويصب في الفرات ويخرج منها انهر كثيرة... ويصب الفرات ايضا نهر البليخ وأول البليخ من ارض حران من عين يقال لها الذهبانية ... ويصب في الفرات ايضا نهر الخابور ... ويحمل من الفرات عدة انهار فمنها نهر عيسى ... واخبر سليمان بن مهنا ان مخرج نهر عيسى تحت الانبار بالقرب

---

(42) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(43) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(44) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

[illegible]

نهر عيسى ونهر الصراة ... [illegible] ... البحر ... فأما ... تخرج منه عدة انهر ... ومنها نهر

صرصر ومخرجه من الفرات [illegible] مخرج نهر عيسى ويصب في سواد

العراق ... [illegible] صرصر ، ومنها نهر كوثى

ومخرجه من تحت نهر الملك ، كذلك يسقي سواد العراق ... وإذا جاوزت

الفرات نهر كوثى سمته فرسخ ، انقسمت قسمين ومر أحدهما وهو الجنوبي

الى الكوفة ويتجاوزها ويصب في البطائح ويمر الآخر وهو أعظمها بإزاء

قصر ابن هبيرة ... ويعرف هذا القسم الأعظم الثاني بنهر سورا ويتجاوز

قصر ابن هبيرة ونهر جنوب ... مدينة بابل القديمة ويتفرع من نهر سورا

المذكور بعد ان يتجاوز [illegible])[1] وعن نهر دجلة (... دجلة

بكسر الدال المهملة وسكون الجيم ... وهي نهر عظيم مشهور مخرجه من

بلاد الروم ثم يمر على آمد وحصن كيفا وجزيرة ابن عمر والموصل وتكريت

وبغداد وواسط والبصرة ... ويصب في دجلة عدة انهار فمنها نهر الزاب

ونهر الخابور ... ويصب ايضا في دجلة الزاب الأعلى ومخرجه من [illegible]

الموصل واربل ... [illegible] الزاب الأصغر ... ويصب [illegible] اربل

ودقوقا ...)[2] .

ويذكر بعد ذلك القيروان والمدينة وأنهار البصرة وهي كثيرة العدد ، كالمعقل والابلة والنهر والقتل .

---

(1) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(2) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

ط. جغرافية التضاريس

اقتصر وصف تضاريس العالم عند أبي الفداء كما اقتصر عند غيره من الجغرافيين العرب على وصف الجبال ، فكانت عندهم التضاريس هي الجبال وهي فعلا تمثل حالة التضرس على سطح الارض .

عند مراجعة ما كتبه أبي الفداء عن جبال العالم أمكننا أن نستخلص اهتماماته بها في الآتي :

١ . تحديد مواقع الجبال ومواضعها الفلكية وأحيانا بالأطوال (الفرسخ) أو من خلال خطوط الطول ودوائر العرض

٢ . ذكر ما تحتويه من أنواع الصخور والمعادن .

٣ . وصف الغابات الموجودة عليها .

٤ . وصف حالاتها المناخية من حيث الرطوبة وسقوط المطر والثلج أوحالات الجفاف .

٥ . وصف حالاتها كحواجز مانعة وحواجز فاصلة وذكر ما تتوافر فيها من وديان وممرات .

٦ . وصف الجماعات البشرية التي تعيش عليها والاشارة الى ما كانت اطرافها معمورة أم غير معمورة .

من الجبال التي شد نظرنا واهتم بها كثيرا جبل القمر (...) جبل القمر قد اختلف في ضبطه فبعضهم يجعله مضافا الى القمر الذي في السماء ويفتح القاف والميم وقد رأيته في كتاب ياقوت الذي سماه المختلف وضعا والمفترق

[illegible] مخصوصة [illegible] سكون [illegible] في [illegible]

[illegible] المغربي بمصر القلعة [illegible] ذكر ابن مطرف في ترتيب [illegible] بمنسطه من قال هو مشتق [illegible] قمر الطرف وهو متصل في الخراب الجنوبي وعرضه إحدى عشرة درجة [illegible] خط الاستواء ومنه منابع نيل مصر من عشر مسيلات تنحدر منه [illegible] أحد الذين شاهدوه من بعد وقال النصير الطوسي في [illegible] التذكرة (إنهم شاهدوه من بعد وهو أبيض من القاع الذي عليه وهو عندي مستبعد لأن عرض إحدى عشرة درجة في غاية الحرارة ويعتبر من عرضي إحدى عشرة الشمالي وهو عرض عدن من اليمن عليه وقوع الثلج في مثل [illegible] لم يسمع به في زمن من الأزمان والجانب الجنوبي مثل الشمالي [illegible] شدة حرارة لحصول الشمس ...)[37].

ويصف جبال المغرب [illegible] الأطلسي الشمالي والأطلسي الجنوبي فيذكر عن جبل درن (... وهو جبل عظيم مشهور ببلاد المغرب قال ابن سعيد وهو جبل شاهق لا يزال عليه الثلج ...)[38].

ويذكر جبل (كزونه) [illegible] (الذي يصفه بقوله : (... وهذا جبل بين العدوة فيه من الأمم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى وهو [illegible] على البحر فإن بحر الزقاق [illegible] مشرقا آخذا جنوبا إلى جبال غمارة ...)[39].

---

(37) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(38) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(39) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

ثم جبل (طنوبة) [illegible] موضعه [illegible] [illegible] [illegible]
شرقي مدينة فاس ...)

ثم جبل يسمر وشذيب وجبل طارق (... ويسمى جبل الفتح لان المسلمين التجوا اليه لما عبروا الى الاندلس وهو جبل بجزيرة الاندلس في جنوبه الجنوبي ومنه ابتداء الاندلس وهذا الجبل يطلع في البحر من [illegible] تقع الجزيرة الخضراء بالقرب من هذا الجبل وهي ثلاثة [illegible] ...)[illegible] ويتناول جبل (البرت) بشيء من التفصيل ([illegible] الفاصل بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة لان الاندلس من جميع الجهات قد احاطتها البحار ولم يبق لها الا هذا المدخل... ولذا الى الاندلس طريق في البر الا من هذا الجبل ولم يكن يسلك وانما [illegible] فتحوا فيه ابواب بالحديد والنار والخل ...)[illegible] ويصف جبال مصر [illegible] المقطم وجبل اللازورد ويقول عنه (... وهو جبل في الجنوب عن جبل جالوت قيل انه فيه معدن اللازورد وامتنع استخراجه لانقطاع العمارة هناك ...)[illegible] وجبل جالوت والجبل الطيلمون .

وفي شبه الجزيرة العربية يذكر جبلا طي (... وهما اجا وسلمى وهذان الجبلان مشهوران وهما في شرقي مدينة الرسول وبينهما [illegible] الكوفة ...)[illegible] ثم يذكر جبل العارض .

[illegible] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible]

ومنها [illegible] وهو جبل العروج [illegible] جبل بيستون [illegible] وهو جبل في [illegible] الجبل المعروفة بعراق العجم [illegible] حرقن وهو جبل ممتنع لا يرتقى الى ذروته... وعلى ظهر غار وفي الغار عين ماء ...)[1].

بعد ذلك ينتقل الى [illegible] ليصف بعض جبالها المشهورة مثل جبل طبرستان (... وهو [illegible] الجنوب والشرق عن بحر الخزر ...)[2] وجبل كرمان وجبل الفيق [illegible] وجبل الحرث (... وهو جبل عند [illegible] لا يرتقى الى [illegible] لارتفاعه ... ولا يزال عليه الثلج دائما [illegible] جبل صغير يسمى [illegible] ... ويخرج من [illegible] ومقصديهم فيه [illegible] لا يعرف جبل اعلى [illegible] المدن..)[3]

ي. الجغرافية السكانية

تاكد لابي الفدا ان العالم غير مأهول بأجمعه وان الجزء الذي يعيش فوقه البشر قليل المساحة [illegible] معظم الجزء المأهول [illegible] عرض ([illegible] ٥٠) شمال خط الاستواء [illegible] المنطقة المعتدلة [illegible] المعتدلة مناخيا.

---

(1) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(2) المصدر نفسه ، ص [illegible] .

(3) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

عند محمد ابو [illegible] من المعرفيين [illegible]

والانبار [illegible] (... [illegible] التي [illegible] بعض خصائص سطح الارض ،
وهذا تحديد جغرافي [illegible] وتمتد هذه الاقاليم بصورة متوازية يختلف الاقليم
عما يليه بنهار أطول من نصف ساعة ...)

(... ان معظم [illegible] يقع ما بين [illegible] عشر درجة في العروض التي
حدود الخمسين قسمي [illegible] الاقاليم السبعة ليكون كل اقليم بحسب
[illegible] تتشابه به احوال [illegible] التي تليه وكل اقليم منها يمتد مابين الخافقين
طولا ويكون عرضا [illegible] وهو ما يوجب التفاضل نصف ساعة في مقادير
النهار الاطول ...)[1]

وعن بداية ونهاية كل اقليم [illegible] الاختلاف الذي وقع فيه المعرفيون
[illegible] منهم رتب الاقاليم بالشكل الآتي :

مبدأ الاقليم الاول خط الاستواء واخر الاقليم السابع منتهى العمارة ،
وهو يرجح التحديد الاتي ويعد ما اتفق عليه المحققون وهو ... بداية
الاقاليم الاول خط عرض ([illegible]) واخر الاقليم السابع حسب العرض
(٣/١ ٥٥) [illegible] التحديد بحسب كثير من تفاصيل [illegible] الاقاليم
الفلكية والمساحية ويؤكد بعد ذلك ان النهار يبلغ (٢٤ ساعة) [illegible] خط
عرض ٥٦٦,٥ (... وقد اختلفوا ايضا في ترتيب الاقاليم بحسب العرض
فقوم جعلوا مبدأ الاقليم الاول خط الاستواء واخر السابع منتهى العمارة ، واما
[illegible] الذي عليه المحقق فانهم جعلوا أول الاقليم الاول حيث العرض [illegible]

---

[1] المصدر نفسه ، ص [illegible]

[illegible] ... [illegible]
درجة .... [illegible][1].

يتناول بعد ذلك كل بلد فيحدد موقعه بخطوط الطول ودرجات العرض ويحسب مساحته وهو بذلك اعتمد على ما توصل اليه ابو الريحان البيروني (٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) [illegible]

الاقليم الأول بطوله ٣٠٢٣ فرسخ عرضه ١٤٧ فرسخ ، والاقليم الثاني بطوله ٣٠٤٤ فرسخ عرضه ١٣٤ فرسخ ، والاقليم الثالث بطوله ٢٩٢٤ فرسخ عرضه ١١٥.٥ فرسخ ، والاقليم الرابع بطوله ٢٧٢٥ فرسخ عرضه ٩٩.٦ فرسخ ، والاقليم الخامس طوله ٢٥٥٧ فرسخ عرضه ٨٢.٥ فرسخ ، والاقليم السادس بطوله ٢٣٩٠.٥ فرسخ عرضه ٧٢ فرسخ ، والاقليم السابع بطوله ٢٢٥٤ فرسخ عرضه ٦٢ فرسخ .

ك. الجغرافية الاقليمية .

تعد المقدمة التي وضعها الكاتب والتي تضمنت وصفا لاهم خصائص جغرافية الارض تناول بعد ذلك دراسته وبحثه فكان اسلوبه ان اخذ كل دولة فحدد مواضع اهم الدول الواقعة فيه فيحدد موقعها من حيث الاقليم الحقيقي والاقليم العرفي والفرق بينهما ... والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة ... وقد يكون الاقليم العرفي بعضا من الاقليم الحقيقي وقد يكون

---

[1] المصدر نفسه ص [illegible]

بعضه من القليمين ... [illegible] . وتشاهد [illegible] [illegible] شرقي بيت الله
الحرام وقبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فيها ...

أخيرا لا بد من الإشارة الى ان (ابو الفدا) قد ألف كتابه وصنفه [illegible] التي الافتخار [illegible] [illegible] [illegible] وان أهم أعماله التاريخية : المختصر في تاريخ البشر ، وتقويم البلدان ، والكناش وهو كتاب في الطب

المصدر نفسه ، ص [illegible]

المصدر نفسه ، ص [illegible]

الاطفال والعابهم في الشعر العربي القديم

الأستاذ الدكتور عبد الرزاق خليفة محمود

جامعة بغداد / كلية الآداب

الملخص :

لا يمكن تحديد زمان او مكان لوجود الطفولة فهي موجودة بوجود الخليقة ، بل ان الخليقة ما كانت لتستمر من دون وجود الطفولة ، ومنذ القديم تلازمت الطفولة مع السبب المباشر لوجودها وهي الامومة تلازما وثيقا ، ولكن التعامل مع هذه الطفولة ومصدرها (الامومة) اختلفت من حضارة الى اخرى ، فكانت لكل حضارة قوانينها وافكارها ومعتقداتها المتعلقة بهذا الجانب الاجتماعي والانساني الذي شغل حيزا مهما في حياة هذه المجتمعات المختلفة ، واعني بالجانب الاجتماعي – الالعاب المتصلة بالطفولة عند الشعوب المختلفة وعند العرب قديما ثم كيف تناول الشعراء هذه الالعاب في اشعارهم ، وهذا ما تتيحه لهذه الدراسة فرصة رصده ، واستجلائه واستخلاص بعض النتائج منه .

المقدمـة :

لايمكن تحديد زمان أو مكان لوجود الطفولة فهي موجودة بوجود الخليقة . بل ان الخليقة ما كانت لتستمر من دون وجود الطفولة ، ومنذ القديم تلازمت الطفولة مع السبب المباشر لوجودها وهي الأمومة تلازما

[illegible] ، ويمكن [illegible] من
متمدنة الى اخرى ، فكان للأطفال حضورا في ألعابهم وتحاورها ومعتقداتها المختلفة
بينما الجانب الاجتماعي والانساني الذي شغل حيزا مهما في حياة هذه
المجتمعات المختلفة ، نعني بالجانب الاجتماعي : الالعاب المتصلة
بالطفولة عند الشعوب المختلفة وعند العرب قديما ثم كيف تناول الشعراء هذه
الالعاب في اشعارهم

وردت لفظة الطفل في المعاجم اللغوية بمعان مختلفة فهي مصدر للفعل (طَفَلَ يطفُلُ)[1]

والطِفل – بكسر الطاء المشددة – الولد حتى البلوغ[2] والطفل (الولد من الانسان والدواب ، ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع)[3] أطفال . وفي حديث الاستسقاء (وقد شغلت أم الصبي عن الطفل ، أي شغلت عن ولدها بما هي فيه من الجدب)[4] .

والطفل والصبي ، مترادفان في اللغة اذ يقال : رأيته في صباه اي صغره ، والصبي من لدن يولد الى ان يفطم[5].

---

(1) العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٢ مادة (طفل) .

(2) ينظر : المعجم الوسيط [illegible]

(3) المصباح المنير : احمد بن محمد الفيومي ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ١٩٧٨ ، مادة (طفل) .

(4) لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر [illegible] للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ [illegible] (طفل)

(5) ينظر : لسان العرب [illegible]

ويؤكد هذا التقارب في مفهومي الطفل والصبي ما جاء في القرآن الكريم ، قال تعالى ((يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا))[١] .

وقال جل جلاله في سورة مريم عن عيسى (عليه السلام) ، ((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا))[٢] .

وعلى شاكلة هذا التوارد والتوافق والترادف ، وردت لفظة الطفل في كتاب الله وكتب التراث الشعري واللغوي بخاصة ، والنتاج الفكري بعامة ، وإن اختلف المسمى من طفل إلى صبي أو من ولد إلى غلام ، وقد أقسم الله عز وجل بالولد في سورة البلد وقال : ((ووالد وما ولد))[٣] .

والولد هو الصبي ، والصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم[٤] .

اما الغلام لغة : فهو الابن الصغير ، وجمع القلة غلمة (بالكسر) ، وجمع الكثرة غلمان ، ويطلق الغلام على الرجل مجازا[٥] .

اما الطفولة اصطلاحا : فهي مدة الحياة التي تبدأ منذ الميلاد وحتى الرشد ، وهي تختلف من ثقافة إلى أخرى ، فقد تنتهي عند البلوغ ، أو عند الزواج ، أو بمصطلح عند من حددها[٦] .

---

[١] سورة مريم الآية ١٢ .

[٢] سورة مريم الآية ٢٩ .

[٣] سورة البلد الآية ٣ .

[٤] ينظر : لسان العرب مادة (ولد) .

[٥] ينظر : المصباح المنير ، ٥٧٠ .

[٦] ينظر : أدب الأطفال ، أسسه ومفاهيمه ، الدكتور أحمد زلط ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ ، ١٦ .

والطفولة عند العرب تعاقب ، التشكل ، عرضة من الزيادة والنقصان ، ضعيفة والأحلام[12].

إذ اتفق المعنى المعجمي مع المعنى القرآني لمفهوم الطفل منذ ان يولد الى ان يبلغ الحُلُم ، ولا يكاد الحديث النبوي الشريف يندُّ عن هذه الدائرة حيث يحث النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) في رعاية الابن وتربيته بقوله : (إذا بلغ اولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم ، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة)[13] . ومن الجدير بالذكر ان النبي (صلى الله عليه وسلم) عدَّ السنين السبع الاولى من حياة الطفل للتكوين والرعاية التي لا يتحمل فيها الطفل مسؤولية ، أو يؤاخذ على تربية أو تعليم . اما إذا بلغ عشر سنين فهو جدير بالتعليم والتوجيه .

وقد سار العرب الأوائل على هذا المنهج وأُثرت عنهم أقوال تؤكد هذا وتأخذ به ، فقالوا (لاعب ابنك سبعا ، وعلّمه سبعا ، وجالس به إخوانك سبعا ، يتبين لك أخَلَفٌ بعدك أم خَلْفٌ)[14] .

ألعاب الاطفال في الحضارات القديمة :

تُعدُّ حضارة وادي النيل من أقدم الحضارات التي اهتمت بألعاب الاطفال وزينتهم ، اذ كان المصريون (يقدمون اللعب والدمى لأطفالهم

---

[12] ينظر : ادب الاطفال ، 11 .

[13] سنن الدار قطني : للحافظ علي الدار قطني ، ت: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، 1/ .

[14] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الاصفهاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1961 ، 1/328 .

كالبلي والكرة النطاطة والخذروف)[١٥] ، فضلا عن (الدوارة وبكرات الجلد المحشوة وكرات من الخشب ، وأخرى من الجوارب القديمة المحشوة)[١٦].

وكانت تربية النشء لإعدادهم لدخول الحياة العامة يعتمد على أسلوب اللعب ، وكان الاطفال يملكون اللُعب ، فضلا عن ذلك انهم يحتفظون بالحيوانات التي كانوا يحبونها ، وكان الكلب هو الرفيق المخلص لصاحبه ، فضلا عن القطط المدللة ، والقردة المعروفة بمرحها وقدرتها على التقليد والمحاكاة[١٧].

وقد شاع لديهم أيضا (استخدام الطيور كحيوانات مدللة ، ففي مقبرة نفر ، وكاحاي بسقارة – من الأُسرة الخامسة – توجد صورة لطفلة عارية لها ظفيرة طويلة تحمل طائر الزقزاق المائي من جناحيه)[١٨].

ألعاب الأطفال عند العرب :

اما عند العرب فكانت الفروسية والرماية من أهم أنواع الرياضة الجسمانية التي لابُد للطفل العربي ان يتعلمها ، لانهما تعده صحيا ،

---

(١٥) قصة الحضارة : ول وايرل ديوارنت ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ١٠١/٢.

(١٦) الحياة الاجتماعية في مصر القديمة : سيرو . م فلندرز بتري ، ترجمة حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم ، (د. ط).

(١٧) ينظر الطفل المصري القديم : روز اليندم وجاك ، ج يانس ، ترجمة الدكتور احمد زهير امين ، مطبوعات دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ٤٥.

(١٨) الطفل المصري القديم ، ٤٥.

وتسلية وقت فراغه ، فضلاً عن أنها تمنحه القوة والحيوية والخشونة[١٩] ، كما كانت العرب تعوّد الطفل على الاعتماد على نفسه ؛ ليتحمل أعباء الحياة ، ويكون قادرا على مجابهة مصاعبها[٢٠].

وكان الاطفال يلعبون معاً ذكورا واناثا ، أخوة وأخوات ، مع أطفال الجيران ، وكانت ألعابهم مستمدة من نتاج مجتمعهم وبيئتهم ، فهمهم الوحيد اللعب ، مهما كانت الظروف الجوية قاسية[٢١] ، وكانت ألعابهم مختلفة قادرة على إرضاء رغباتهم .

وكان من الطبيعي ان ينتقل حب اللعب عند الاطفال من عالم الواقع الى عالم الفن ، فكان الشعر أن يستقبل اثاره ويتفاعل معه وينقل تفاصيله ، وذلك ما تترك لهذه الدراسة فرصة رصده ، واستجلائه واستخلاص بعض النتائج منه .

ألعاب الطفولة في لوحات القصيدة العربية وموضوعاتها :

إنّ معالم الطفولة وألعابها ارتبطت ببعض لوحات الافتتاح في القصيدة العربية في العصر الجاهلي وصدر الاسلام والعصر الاموي ، إنّ وجود عوالم الطفولة في لوحة الطلل يمنح اللوحة رقة وجمالاً ، ويبعث في النفس

---

(١٩) ينظر : الفروسية في الشعر الجاهلي ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ١٥٦ – ١٥٨ .

(٢٠) ينظر الطفولة في الاسلام مكانتها وأسس تربية الطفل ، حسن ملا عثمان ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٢ ، ٧٣.

(٢١) ينظر المفصل في تاريخ العرب ، الدكتور جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ٢/ [illegible] .

احساسا بتجدد الحياة والخصوبة [٢٢] . وهذا مايبدو واضحا في الصورة التي رسمها بشر بن أبي خازم ، فهي تنبض بالحياة والخصوبة لأن النعاج التي سكنت في تلك الديار تعيش فيها وتتكاثر ، وإن اولادها تنتشر وتلعب في ساحات الدار فرادى وتوائم ، كما في قوله :

تناهيتُ عن ذكر الصَّبابةِ فاحكُم ... وما ذكري ذكرا لرسم بسمسَم

منازل في حيّ عفتْ بعد منعب ... ونؤي كحوض الجرية المتهدِّم

تظلُّ النعاجُ العين في عرصاتها ... وأولادها من بين فذٍ وتوءَم[٢٣]

فالشاعر لجأ الى الطباق في قوله (فذ وتوأم) وبذلك عمّق معنى النص من خلال الجمع بين الضدين ؛ ليدل بالضرورة على كثرة الاطفال الذين يلعبون وتنوعهم في هذا الطلل المهجور الدارس .

وهناك لوحة أخرى ذكر فيها عمرو بن شأس لفظة (الوليدين) الدالة على الطفولة الانسانية لفظا ومعنى ، حيث عنى بالوليدين الشاعر وحبيبته ليلى ، فالشاعر بعد ان يقف على ديارها يشير الى حبه لها ؛ والى قدم عهد هذا الحب ، حيث ولد بينهما مذ كانا وليدين يلعبان معا حتى وصلا الى مرحلة متقدمة من العمر ، إنّ هذه الوقفة تعيد للشاعر ذكرياته من جديد ؛ فهذه الوقفة تختزل الزمن من جديد تعيده الى طفولته وملاعب صباه فالديار

---

(٢٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي : الدكتور نوري حمودي القيسي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ٢٧٠.

(٢٣) ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ١٩٢ – ١٩٣ ، الجرية : المزرعة ، الفذ : الفرد .

... تعني للشاعر ... وصباه وطفولته ومدلالته ... تعني ... حيث يقول :

متى تعرفُ العينان اطلال دِمنـة ... تبلى بأعلى ذي معـارك ممعـا

على النحر والسِّربال حتى تبلّه ... سجُومٌ ولم تجزع الى الدار مجزعا

....

تجودا لليلى بالكـرامة منكمـا ... وما شئتما أن تمنعا بعدُ فامنعـا

ومازال يُزجي حُبُّ ليلى امامهُ ... وليدين حتى عُمرنا قد تسعسعا[٢٤]

ويقدم لنا الكميت لوحة طللية مستخدماً فيها لفظة (الولدة) مصوراً لنا قدر الديار ودوران الرياح على تلك الاطلال ، ونراه يعمد الى تشبيه ما حلّ بتلك الديار بآثار أراجيح الصبيان التي تكنس الحصى حتى تبدو الأرض نظيفة منه ، ويصوّر حركتهم حيث يجرّ بعضهم بعضاً في لعبهم ، فملأ الشاعر المكان بمشاهد البهجة والفرح من خلال وجود آثار الطفولة المنتشرة في هذه الديار ، وهو يؤكد ... كل هذه الاشياء ، وكل هذه المشاهد لم تمحه بعد رحيل ساكنيها كما يقول :

ولا كمذري الصنف أنقـى ... ي القمنة ولا مصفح ولا حنـ[illegible]

ولا دوادٍ أذلّ مذيـ[illegible] لـ ... ولـدة ما [illegible] وما سحبـوا

---

[٢٤] ينظر مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠ ، ١٧٥ .

[٢٥] شعر عمرو بن شأس الاسدي : تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٧٦ ، ٣٣-٣٥ .

مالي في الدار بعد ساكنها ولو تذكرت أهلها أرب

وفي جانب آخر عمد بعض الشعراء إلى توظيف معالم الطفولة في تشبيهاتهم التي لونوا بها لوحة المطر ، ومن معالم الطفولة (ألعاب الأطفال) الطاغية على الطفولة الإنسانية ، ومن هذه الألعاب (الخذروف) وهي عبارة عن قطعة مستديرة تتخذ من الخشب أو من الطين أو غيرها ، تثقب في الوسط من موضعين متقاربين ، ثم يمرر خيط من الثقبين ، فتترك القطعة لتدور ، وبدورانها السريع يأنس الطفل[27] ، وهذا ما نجده في قول امرئ القيس الذي جعل من سكائب المطر السريعة السيلان كخذروف الوليد السريع الحركة :

إذا ما جذا في حجرتيه تبادرتْ سكائبُ قطرٍ مُستفيضٍ نُخذرفُ[28]

وشبه أوس بن حجر المطر في قوته وسرعة نزوله التي يزيح من خلالها كل ما يعترضه بحركة الطفل السريعة وخفة يديه وهو يلعب بالمسحاة التي تمر على وجه الأرض فتزيح ما أمامها :

ينزعُ جلد الحصى أجشّ مُبتركٌ كأنّهُ فاحِصٌ أو لاعبٌ داحي[29]

---

[26] ديوان الكميت : ٥٥٧ - ٥٥٨ ، المدوّن : الأرجوحة ، الدوادي : آثار أراجيح الصبيان .

[27] ينظر الطفولة ومشاهدها المتغيرة في التراث والأدب : الدكتور عادل جاسم البياتي ، مجلة آفاق عربية ، العدد الرابع ، ١٩٧٩ ، ٤٢.

[28] ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٤، ٣٢٦.

[29] ديوان أوس بن حجر : تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ١٣ ، أجش : صفة صوت الرعد ، الفاحص : الذي يقلب وجه ←

، بينما يتبادر الى الذهن ماهي المسحاة ؟ يقول شارح الديوان : هي خشبة يدحي بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء الا اجتحفته فكأن هذا المطر يسوق أمامه كل ما يعترضه على وجه الارض فهو يعمل عمل المسحاة .

وتعّد العاب الاطفال من أكثر متعلقات الطفولة حضورا في موقع المشّبه به ، إذا كان وجه الشبه سرعة الحركة والخفة ؛ لأن حركة الطفل تكون سريعة خفيفة ، مما يثري اللوحة ، ويمنحها العمق والقرب ، وهذا ما نجده عند أبي ذؤيب الهذلي إذ شّبه حركة البرق السريعة في ظهوره واختفائه بحركة المخاريق التي يلعب بها الأطفال بخفة وسرعة .

صبا صبوةً بل لجَّ وهو لجوجُ   وزالت له بالأنعمين حدوجُ

....

أرقتُ له ذات العشاء كأنهُ   مخاريقُ يُدعى تحتهُنَّ خريجُ[30]

ونجد في مقطع الرحلة تفنن الشعراء في ايراد الصور من عالم الطفولة الواسعة ، وتوظيفها في وصفهم لحركة ذراعي الناقة ، ولاسيما تلك الصور المستقاة من عالم ألعاب الاطفال ، من ذلك ما صوره لنا المسيب بن علس حين شبه ذراعي ناقته لسرعتها بحركة يدي لاعب الكرة بالصولجان :

التراب ، والداحي هو الذي يلعب بالمدحاة وهي خشبة يدحى بها الصبي .

(30) شرح اشعار الهذليين : تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، مصر ، (د. ت) ، 1/130 ، مخاريق الصبيان التي يلعبون بها ، خريج : لعبة لهم يقال لها الخراج .

مرحت يداها للنجاء كأنما   تكرو بكفي لاعب في صاع [31]

أما المرقش الأكبر فقد شبّه ناقته في عدم شعورها بالتعب بعد طول السير بالأرجوحة التي تلعب بها الجواري :

وتُصْبِحُ كالدَّوْداةِ ناطَ زِمامها   إلى شُعَبٍ فيها الجواري العوانسُ [32]

أما الشاعر جران العود فيلجأ هو الآخر الى سرعة حركة ذراعي الناقة ، فيشبهها بسرعة مرور الصبي على الزحلوقة :

من كُلِّ قرواء معقودٍ فقارتها   على سيف كُركنِ الطَوْد والصَفَرِ

يَمُرُّ مرفقُها بالدَّف معترضاً   من الوليد على الزحلوقة الأشرِ [33]

ووظّف النابغة الذبياني ألعاب الاطفال ، ومنها (الخذروف) في وصف قوائم الثور الوحشي اثناء مطاردة كلاب الصيد الضارية له ، فقوائمه تدور بسرعة هائلة للخلاص من هذه الكلاب المفترسة:

---

(31) المسيب بن علس حياته وشعره : تحقيق الدكتور ابتهم عباس حمودي ، مجلة المورد المجلد العشرون العدد الاول ، ١٩٩٢ ، ٦٦ النجاء : السرعة ، الصاع : منبسط من الارض وقيل هو الصولجان .

(32) ديوان المرقشين : تحقيق كارين صادر ، دار صادر بيروت ، ١٩٩٨ ، ٥٢ ، الدوداة : الأرجوحة .

(33) ديوان جران العود النميري : تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ٩١ ، القرواء : الطويلة الظهر ، الفقار : مابين المفاصل ، كركن الطود : كناحية الجبل ، الدف : الجنب ، الأشر : النشيط ، معترضاً : مائلاً

فسدّده كلابُ بني قُعْد   يحسب الريم من جند ذلك

فلمـا أن تبيّن ضاريـات   وكَلابا يَعـن بهنّ شـاحا

وأعنَ للنّجاء مُحذرفات   قوائمَ أُرْدِفتْ زمعا صحاحا[٣٤]

اما زُهير بن أبي سُلمى فإنّه (يُعايش حزن البقرة بمشاعره الانسانية ، فكان تصوير ما حدث للفرقد أمر مقصود لذاته ، وليس عنصرا مكملا لصورة البقرة الوحشية)[٣٥] حيث بدا المشهد برسم صورة لهذه البقرة التي شبّه بها ناقته فهي متنقلة من مكان الى آخر فزعة مع ولدها :

كنخساء سفعاءِ الملاطم حُــرَّةٍ   مُســافرةٍ مزؤودةٍ أُم فرْقدِ

....

طباها ضحاءٌ او خلاءٌ فخالفتْ   إليــه السِّباعُ في كِناس ومرقَد

أضاعتْ فلم تُغفر لها غفلاتُها   فلاقت بيانا عنـد آخرِ معهد

دما عند شلوٍ تحجُلُ الطيرُ حولَهُ   وبضع لحام في إهاب مُقـدّد

....

وَجَـدَّت فألفت بينهـن وبينــها   غُبارا كما فـارت دواخنُ عرقـد

---

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٥ ، ٢١٥ ، الرده : مكان ، شاح : حذر وهرب ، يعن : يعترض ، الخذاريف : الخزارات التي يلعب بها الصبيان .

(٣٥) الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري : الدكتور علي البطل ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٣٥ .

مُلَثَّماتٍ كالخذاريفِ قوبِّ ... الى جُوشنٍ خاظي الطريقة مِسْنَدِ [٣٦]

فالشاعر هنا يؤكد الحالة التي لازمتها وهي الذعر ، ولكن ليس بسببها ولكن بسبب مشاعر الأُمومة التي تفيض من وجدان الأم خوفا على ابنها ، ولم يكتفِ الشاعر بذلك بل اضاف تفاصيل اخرى من عالم الطفولة فتشبه قوائم البقرة الثكلى في سرعة هروبها من الصيادين بعد أن فقدت ابنها ، بالخذاريف التي يلعب بها الصبيان .

ولم يغفل الشعراء ألعاب الأطفال في لوحة حمار الوحش ، فها هو امرؤ القيس يلجأ الى تشبيه الحمر او الأُتن بمقلاء الصبي ، والمقلاء هو العود الذي يضرب به الغلام القلة ، وهي لعبة لصبية الاعراب ، وانما شبه ضمر الحمار بهذه القلة في خفتها :

فأصدرها تعلو النجاد عشية ... أقبُّ كمقلاء الوليد شخيصُ [٣٧]

ونجد التشبيه نفسه عند شاعر الصحراء ذي الرمة في قوله :

مِصكٌّ كمقلاء الفتى ذاد نفسهُ ... عن الورد حتّى انثخَّ فيها غليلُها [٣٨]

أما ابو ذؤيب الهذلي فنجده يشبه لنا الحمار الوحشي الذي يتقدم الأُتن ويقودهم وقد انتصب فوق نشز من الأرض رافعا رأسه ، فاحصا المكان بحثا

---

[٣٦] شرح شعر زهير بن ابي سلمى ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ١٦٣ - ١٦٦ .

[٣٧] ديوان امرىء القيس : ١٩٣ ، شخيص : مرتفع .

[٣٨] ديوان شعر ذي الرمة : عني بتصحيحه وتنقيحه ، كارليل هنري مكارتني ، عالم الكتب ، (د.ت) ، ٥٥٧ .

عن مكان آمن ، بالأرجوحة (الدوّارة) التي تنصب في نشز من الأرض ، يلعب بها الصبيان ، حيث يكنسون بلعبهم ما في الأرض من حصى وحجارة ، وإن الدور الذي أعطاه الشاعر للحمار يشبه دور الأرجوحة في إخلاء المكان وتنظيفه :

تالله يبقى على الأيام مبتقلٌ   جون السراة رباع سنّه غردُ

....

يقضي لبانته بالليل ثم إذا   أضحى تيمم حزماً حوله جردُ

فامتد فيه كما أرسى الطراف بدوٌ   داة القرارة سقبُ البيت والوتدُ[39]

واختار ذو الرمة من ألعاب الأطفال (الخذروف) ، لتشبيه سرعة قوائم الحمار الوحشي في عدوه :

إذا واضخ التقريب واضخن مثله   وإن سحّ سحّاً خذرفتْ بالأكارع[40]

ولم ينس الشعراء ألعاب الأطفال في وصفهم للفرس وربطه بمعالم الطفولة ومظاهرها ، فهذا الطفيل الغنوي اختار من تلك الألعاب

---

[39] شرح أشعار الهذليين : ١ / ٥٦ – ٥٧ ، المبتقل : الحمار يأكل البقل ، جون : أسود ، غرد : كثير النهاق ، اللبانة : الحاجة ، الحزم : ما غلظ من الأرض ، امتد : رفع رأسه ، الطراف : بيت من أدم ، السقب : العمود في البيت ، الدوداة : خشبة قصيرة وسطها على مكان مشرف ، يركب طرفيها اثنان ، فيحط الحسبة هذا مرة وهذا مرة .

[40] ديوان ذي الرمة : ٣٦٥ ، واضخ : يعني الحمار والمواضخة : العدو ، وإن سح السح : الصب سح العدو صباً ، خذرفت : أسرعة كل محذرف مسرع .

(الزحاليف) ووظفها في وصف متون الخيل ، حين جعلها صامرة ملساء ، تشبه مواضع تزلج الصبيان في ملاستها وانحنائها . ولكنه عمد الى جعل هذه دارسة لكثرة ركوب الخيل وخوضها المعارك :

وفينا رباط الخيل كُلُّ مُطهَّم رجيل كسرحان العضا المتأوّب

ينيق الذي يعْلُو على ملبَر متنه ظلالَ خَذاريف من الشدِّ مُلْهِب

....

كأن يبيس الماء فوق مُتونها أشاريز ملْح في مباءة مُجرِب

من الغَزْو واقورت كأن متونها زحاليفُ ولدان عَفتْ بَعْدَ ملعب[41]

ويبرز لنا الشاعر الطُفيل الغنوي في هذا النص سرعة فرسه من خلال تشبيهه بالخذروف ، لكي يبين وجه الشبه وهو السرعة والدوران من دون مشقة ، أو تعب ، وبلا توقف . وهذا ما يبدو واضحا في بيت آخر من هذه القصيدة ، حيث يقول:

أذا قيل نهنِهْهَا وقد جَدَّ جدُّها ترامت كخذروف الوليد المثقب[42]

ولا شك أن كثرة وصف الخيل في شعر الطُفيل الغنوي نابعة من حب الطُفيل الغنوي للخيل ، وكان يلقب بطُفيل الخيل لكثرة وصفه لها[43].

---

(41) ديوان الطفيل الغنوي : تحقيق محمد عبد القادر احمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨، ٢٠ – ٢٤ .

(42) ديوان الطفيل الغنوي : ٢٢ ، نهنهت : كففتها ، جد جدها : عزم جريها ، ترامت : تتابعت .

(43) ينظر الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، طبعة دار الشعب ، ١٩٦٩ ، ٥٧٠٢\١٦ .

ووظف علقمة بن عبدة لعبة الأطفال (الزحلوقة) في وصف سعة الجوف وضخامة المتن في فرسه الذي شبهه بزحلوق الصبيان :

وجوفٌ هواءٌ تحت متنٍ كأنّهُ   من الهضبةِ الخلقاءِ زُحلوقُ ملعبِ[44]

ويعود الطُّفيل الغنوي مرة أخرى ويرسم لنا صورة وظّف من خلالها لعبة (البقري) . حيث لم يجد أفضل من اللجوء الى هذه اللعبة الطفولية ، لتوضيح آثار الخيل الصغار وتقريبها ، وكأنه جعل طفل الحيوان وآثاره التي يتركها ، كما يترك الانسان الآثار بعد لعبة ، حين شبه (آثار جياد قومه حول ديار الاعداء بآثار لاعب البقري)[45] :

فرُدنا بأسراهم مع النّهب بعدما   صبَحناهُمْ ملمومةً لا تُكذِّبُ

أبنّتْ فما تنفكُّ حولَ متالعٍ   لها مثل آثار المَبقّر مَلْعبُ[46]

ولا شك ان للسابق من الشعراء الاثر في تقليد اللاحق لما ذكره من صور . فقد وظف امرؤ القيس في بيتين مختلفين اللعبة الطفولية (الخذروف) . لبيان سرعة جري الفرس من دون تعب أو كلال أو توقف فقال في الأولى :

---

[44] ديوان علقمة الفحل : تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي ، حلب ، ١٩٦٩ ، ٩٠ ، وجوف هواء : اي واسع ، الخلقاء : الملساء

[45] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي : نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الاردن ، ١٩٨٢ ، ٦٣ .

[46] ديوان الطفيل الغنوي : ٤٤ - ٤٥ ، ملمومة : كتيبة ، أبنت : أقامت ، متالع : جبل ، المبقر : لعبة يلعبها الصبيان يقال لها البقيرى .

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه   يمر كخذروف الوليد المثقب[٤٧]

فقريسه سريعه نشطة تدرك الوحش من دون مشقة وقد شبهها لخفتها وسرعتها بالخذروف المثقب بيد الوليد .

اما الصورة الثانية فنجدها في معلقته حيث يصف فرس الصيد الذي يطارد به البقر الوحشية ، فهي سرعته لا يثبت عليه الغلام الخفيف ، لشدة عدوه ، فضلاً عن ذلك شبه هذه السرعة بلعبة الأطفال المعروفة (بالخذروف) ، فيقول :

يطير الغلام الخفّ عن صهواته   ويلوي بأثواب العنيف المثقّل

درير كخذروف الوليد أمرّه   تقلّب كفيه بخيط موصّل[٤٨]

لقد استقى هؤلاء الشعراء من عالم الطفولة الرحب بعض الجوانب المرتبطة بوصف شدة وسرعة الفرس مركزين على الحركة لانها من الاسس المهمة في عرض المناظر في القصيدة العربية ، لقد كانت لرحلة الفارس على فرسه الاثر الواضح في اضفاء صور مقتبسة من عالم الطفولة ، لما لهذا المخلوق من طاقات خلاّبة في إثراء النصوص الشعرية بتفاصيل داخلية تمنحها القدرة على الاداء واسناد الخيال والمشاركة الوجدانية ، من خلال التفاعل المشترك بين الشاعر والمتلقي .

---

(٤٧) ديوان امرئ القيس : ٥١ .

(٤٨) ديوان امرئ القيس : ٢٠ - ٢١ .

اما في الموضوعات الشعرية . فلم ينس الشعراء اللعب والعاب الأطفال ، فقد وظّفوها في شعرهم جاعلين منها ميدانا يبنون عليها صورهم الشعرية .

فهذا لبيد بن ربيعة العامري يجعل من اكتاف ذوي قرباه وحجورهم مسرحا للعب عندما كان صغيرا ، وهو يفتخر بطفولته التي قضاها معهم ، لذلك لا يحاول ان يسب اعداءهم فيسبوهم ،

لما دعاني عامرٌ لأسُبَّهُمْ	أبيْتُ وان كان ابن عيساء ظالما
لكيما يكون السنديُّ نديدتي	وأجعل أقواما عموما عماعما
وأنبش من تحت القبور أبوّة	كراما هم شدُّوا عليّ التّمائما
لعبت على اكتافهمْ وحُجُورهم	وليدا وسمّوني مُفيدا وعاصما[49]

ويوصف ضمرة بن ضمرة لعبة (الكعب) وهو عظم يرميه الأطفال ليلا في تشبيهه لسقوط عدوه بسقوط هذا العظم ، فالشاعر ينقل لنا صورةً من صور لعب الاطفال يستذكرها ويوظّفها مفتخرا بشجاعته بالانتصار على قرينه بالشجاعة والفروسية :

وقرن تركت الطير تحجل حوله	عليه نجيعٌ من دم الجوف جاسدُ
حشاه السّنانُ ثم خرّ لانفه	كما قطر الكعب المورّب ناهدُ[50]

---

(49) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق الدكتور أحسان عباس ، وزارة الثقافة والارشاد ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ٢٨٣-٢٨٧ .

(50) شرح اختيارات المفضل : الخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ ، ٣ /١٣٧٠ . النجيع : الشديد الحمرة ، الجاسد . اللازق ، قطر الكعب : رماه على أحد قطريه ، الناهد : المنتبر المرتفع .

يقول التبريزي في شرحه إن ... الذي قرينة على حسد عذري ، ثم يخطر الغلام الناهد الكعب المحرف ، إذا أحاله في القمار .

وهكذا وجدنا أن الشعراء اتخذوا من عالم الطفولة ومظاهرها المختلفة أرضية ينطلقون منها الى ميدان شعرهم ، جاعلين صورهم الشعرية رمزا لخدمة هدفهم ، مستغلين هذا الميدان في التعبير عما يجيش في نفوسهم من أحاسيس وأشواق وحنين الى عالم الطفولة البريئة . ففي ذلك تجسيد لكوامن النفس للحنين الى الماضي الى عالم الطفولة الجميل .

ولكي تكتمل الصورة نختار من عالم الغزل العذري في العصر الأموي أنموذجا طفوليا ، يتمثل بصورة عصفور صغير بيد طفل صغير ، اتخذه لعبة وهو لا يعي ما يسببه من ألم للعصفور ، فهو يضغطه بشدة ، فيذوق على يديه حياض الموت ، ونجهل هذا الطفل بالمعاناة التي سببها للعصفور ، أو العصفورة كما ورد في شعر مجنون ليلى – فإنه لا يرقّ لها ، فيتركها وهي لا تستطيع التخلص من قبضة يديه ، فصار حال مجنون ليلى مع محبوبته كحال هذه العصفورة ، فهو يلاقي من التعب والوجد والاشتياق ما لاقته من ألم وحسرة ، لكن لمحبوبة لاتدرك ما فعلت به لترق لحاله ، كما يقول :

كعصفورةٍ في كفّ طفلٍ يُزمّها تذوق حياض الموت والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقلٍ يرقُّ لما بها ولا الطير ذو ريش يطيرُ فيذهبُ

ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٤٠ ، يزمّها : يشدها .

لقد كشفت هذه الدراسة المختصرة عن معالم الطفولة المختلفة موزعة على نصوص لوحات الافتتاح الرئيسة والثانوية ، فضلا عن الرحلة وبعض الموضوعات التي جسد من خلالها الشعراء العاب الاطفال ، وقد وجدنا ان اغلب هذه الالعاب ارتبطت بالسرعة ، لانها جاءت مادة يشّبه بها الشاعر فرسا أو برقا أو سيلا أو حمار وحش ، فكانت سرعة هذه الالعاب مرتبطة بالضرورة بسرعة هذه العناصر الطبيعية ، التي بدت ساحة رحبة يتسلل اليها عالم الطفولة والعابه البريئة .

أثر بغداد في تطور الخط العربي

الدكتور خالد خليل حمودي

الملخص :

القراءة والكتابة مظهران من المظاهر الحضارية المهمة للإنسانية ، وقد عني الإسلام بالقراءة والكتابة وتعلمهما وتعليمهما ، وحثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على الاهتمام بذلك ، لأن القراءة والكتابة تحققان الأهداف الدينية ، وتسجلان التطور الثقافي والعلمي ، وتحفظان للأمة تاريخها وتراثها ومنجزاتها الحضارية .

كانت الكتابة والخط العربي غير منتشرة في بداية الإسلام ، كما كانت أشكال الحروف غير منتظمة في الغالب ، ولما انتشر الإسلام ورسخت أركان الدولة الاسلامية ظهرت الحاجة الى كتابة المصحف ونشره و تجويد حروفه وتنسيقها ، مما أدى الى ظهور عدة أقلام تحمل صفات متميزة مثل قلم الطومار ، وقلم الثلث وقلم الجليل وقلم النسخ ، وهكذا ظهرت بوادر الاهتمام بالخط العربي وحروفه في العصر الاموي ومن أبرز ملامح هذا الاهتمام مراعاة المسافات بين الكلمات والحروف وتنسيق سطور الكتابة . وبدأ المصحف يكتب بخطوط تنسب إلى المدن الاسلامية الاولى مثل الخط المكي والخط المدني والخط البصري والخط الكوفي . وكانت الكتابة العربية في صدر الإسلام والعصر الاموي في معظم الأحيان خالية من الشكل (الحركات) والاعجام (النقط) . وعندما دخل غير العرب في الإسلام

ظهر اللحن والخطأ في تلاوة القرآن الكريم مما اضطر العلماء الى البحث عن وسيلة لحفظ كتاب الله من ذلك فوضعت الحركات من لدن أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ /٦٨٨ م) وتلميذيه نصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ / ٧٠٧ م) ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ / ٧٤٦ م) . أما النقط فقد وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦ م) . وهكذا ظهرت الحروف العربية المنقوطة والحروف غير المنقوطة .

وفي العصر العباسي بدأ الخط العربي بالتطور السريع من حيث حروفه وأشكالها وتنسيقها ، وعندما شيدت بغداد في سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢ م) وازدهرت فيها الحضارة أصبح الخط فيها ينافس خطوط البصرة والكوفة وعرف الخط البغدادي وظهر خطاطون مثل : الضحاك بن عجلان في خلافة ابي العباس السفاح وإسحاق بن حماد في خلافة ابي جعفر المنصور . وفي أواخر القرن الثالث للهجرة (القرن التاسع الميلادي) ظهر الخطاط محمد بن مُقلة (٢٧٢ـ ٣٢٨هـ / ٨٨٥ ـ ٩٣٩ م) وهو الذي ولد ببغداد وأصبح وزيرا لثلاثة خلفاء هم المقتدر والقاهر والراضي بفضل اهتمامه بالأدب وخطه الجيد ، ومن أهم أعمال ابن مُقلة هندسة الحروف العربية ووضعه للخط الجيد قواعد مهمة منها حسن تشكيل حروفه ، وحسن أوضاعها وكيفية تركيب كل حرف منها . وجاء بعد ذلك الخطاط علي بن هلال المعروف بابن البوّاب (ت ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢ م) الذي انماز بحسن الخط والتفريق بين الحروف المنقوطة وغير المنقوطة بعلامات ، فهو هذب طريقة ابن مقلة في الخط ونقحها وضبط الخط وبرع في قلم الثلث وابدع في خط الرقاع وخط الريحان وخط المحقق وكتب في صناعة

مداد الكتابة ، ومن أعماله إنه أرسى خط المصحف ووضع لذلك قواعد جديدة ، ووضع المقومات الفنية للخط العربي واهتم بالتنسب بين الحروف وإتقانها ، كما كان له أثر كبير في زيادة اهتمام الخطّاطين بالمصحف خطا وزخرفة وتذهيبا .

وجاء بعد ابن البوّاب كثير من الخطّاطين الذين ساروا على منواله حتى ظهر الخطاط المشهور ياقوت المستعصمي (٦١٨ ـ ٦٩٨ هـ / ١٢٢١ ـ ١٢٩٨م) وارتفعت منزلته في الخط فكان يعلمه لأبناء الأكابر ، ثم تفوق في تجويد الخط ، وكان بارعا في الادب وعالما فاضلا وخطاطا ماهرا كتب الناس على يديه في بغداد . ومما قيل : إنّ أول من نقل الخط الكوفي الى الطريقة العراقية (خط اللين) هو الخطاط محمد بن مُقلَةَ ، ثم جاء ابن البوّاب فزاد في تعريب الخط وابداعه ، ثم جاء ياقوت فختم في الخط واكمله . وقد وصلتنا بعض المخطوطات والمصاحف بخط ياقوت ، وانتشرت طريقته في الخط التي عرفت بالطريقة البغدادية ذات الخصائص الفنية المتميزة . وجاء بعده عدد من الخطاطين المشهورين في بغداد ساروا على نهجه وطريقته في الخط كان اخرهم الخطاط المشهور هاشم محمد البغدادي .

القراءة والكتابة رمزان من رموز التطور الفكري والتقدم الحضاري للإنسانية وهما أساس فهم الحقيقة وحفظها ، وقد عني الإسلام بالقراءة والكتابة وتعلّمهما وتعليمهما وحثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على الاهتمام بذلك وبيّنت فضل العلم والتعلّم والمكانة العليا للعلماء ، وفي أول سورة من القرآن الكريم أنزلت على النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم يخاطبه الله تعالى بقوله : إقرأ باسم ربّك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربّك الأكرم . الذي علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم)[1] ، وفي سورة الرحمن يقول سبحانه وتعالى : ((الرحمن علم القرآن خلق الأنسان علمه البيان))[2] . ونظرا لأهمية القلم والكتابة فقد أقسم الله جل جلاله بالقلم في آية أخرى : نّ والقلم وما يسطرون)[3] . وفي السيرة النبوية نجد حثّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) على تعلم القراءة والكتابة وطلب العلم . حيث ذكرت الروايات أنه طلب من أسرىٰ قريش في معركة بدر أن يفتدوا أنفسهم بأن يُعلّم كل واحد من الأسرىٰ القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين[4] . كما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم قوله : (قيّدوا العلم بالكتاب)[5] . وتشير

---

(1) القرآن الكريم : ٩٦ العلق/ آية ١ ـ ٥ .

(2) القرآن الكريم : ٥٥ الرحمن/ آية ١ ـ ٤

(3) القرآن الكريم : ٦٨ القلم/ آية ١ .

(4) ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ/ ٨٣٢ م) : الطبقات الكبرى ، مطبعة بريل ، ١٣٢٥ ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(5) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٣ ، ج ١ ، ص ٣٦ .

الأحاديث النبوية والمصادر التاريخية الى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة لما لهما من اهمية في كتابة القرآن الكريم وحفظه وفي نشر المعرفة وتثبيت الحقوق والواجبات الدينية والشرعية وتثبيت المعاهدات والوثائق وأموال الزكاة والمغانم والديون والحقوق العامة والخاصة[6] .

وفي الواقع تعد الكتابة خير وسيلة لحفظ الثقافة والفكر والحضارة ، وان الاهتمام بها يهدف الى تحقيق الأغراض الدينية والقانونية والتوثيقية والتسجيلية والتذكارية والعلمية والفنية والأعلامية ، فضلا عن كونها حفظت تراث الإسلام وسجلت تاريخ الأمة ودونت التطور العلمي والمعارف المتنوعة في مجالات الحياة المختلفة ، وقد توضحت الأهمية الكبرى للكتابة في العصر الإسلامي من حرص النبيّ (صلّىٰ الله عليه وسلّم) على نشر العلم والقراءة والكتابة بين الناس والحاجة الماسة الى تدوين آيات الذكر الحكيم ومبادئ الدين الإسلامي ، فضلا عن أهمية ذلك في الحياة العامة للناس ، وورد في المصادر التاريخية ان النبيّ (صلّىٰ الله عليه وسلّم) كان عنده عدد غير قليل من الكتّاب من أبرزهم عليّ بن أبي طالب (رض) ، وعثمان بن عفان (رض) ، وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وكثير

---

[6] ورد في الآية الكريمة . بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (البقرة / آية ٢٨٢) . وحول الزكاة والمغانم . ينظر : المسعودي ، أبوالحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م) : التنبيه والإشراف ، تصحيح الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

غيرهم [٦] . ونجدر الإشارة إلى أن الكتابة العربية لم تظهر وتنشأ فجأة من دون تمهيد وإعداد ، ثم وصولا إلى تطورها بمرور الزمن ، إذ بدأ تحسين أشكال الحروف ، وتضافرت الجهود من أجل تجويد الخط العربي ، وهكذا ظهرت أنواع متعددة منه ، وترقت الكتابة والخط العربي بمرور العصور والأزمان .

وفي زمن الدولة الأموية (٤٠ ـ ١٣٢ هـ / ٦٦٠ ـ ٧٤٩ م) اشتهر عدد غير قليل من الكتّاب والخطاطين الذين كان بعضهم يعمل لدى الخلفاء والحكام منهم : خالد بن أبي الهياج الذي كان يكتب المصاحف ويذهبها وقيل : إنّهُ كتب على جدار القبلة في المسجد النبوي في المدينة سوَرا من القرآن الكريم[٧]، ومالك بن دينار (ت ١٣٠ هـ /٧٤٧ م) الذي كان يكتب المصاحف[٨] ، وسعيد بن حمزة الكاتب (١٦٢ هـ / ٧٧٨ م) الذي اشتهر بخطه الأنيق وكان يكتب للخليفة هشام بن عبد الملك[١٠]، ثم قطبة المحرر

---

(٧) المسعودي : م . ن ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

الجهشياري : محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) : الوزراء والكتّاب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣١ ، ص ٢٤ ـ ٧٢ .

(٨) ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) : الفهرست ، مطبعة مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٦ .

(٩) ابن النديم : م . ن ، ص٦ . الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م) : تذكرة الحفاظ ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ج١ ، ص ١٥٩ .

(١٠) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م) : تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ط١ ، ١٩٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٥١ .

(ت ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م) الذي كان يكتب للخليفة الوليد بن عبد الملك وهو خطاط مشهور قيل إنه استخرج أربعة أقلام منها قلم الطومار وقلم الجليل[١١]، والطومار هو الصحيفة الكبيرة ، وعرض قلم الطومار (٢٤) شعرة من شعر البرذون[١٢]، وقيل ان قلم الطومار هو أصل لما دوّنه من الأقلام مثل قلم الثلثين وعرضه (١٦) شعرة وقلم النصف وعرضه (١٢) وقلم الثلث وعرضه (٨) شعرات[١٣] ، وكذلك اشتقت من قلم الطومار أقلام أخرى منها قلم النسخ ويسمّى خط التحرير ، أو خط النقل .

أما قلم الجليل فهو كبير أيضا وقيل هو صعب الأداء لا يقوى عليه أحد الا بالتعلم الشديد ، وأنه أضخم خط استعمله خلفاء بني أمية[١٤] ، وقد انتهت الاجادة بالخط العربي الى إبراهيم الشجري في أواخر القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي) وقيل ، إنّ هذا الخطاط هو الذي ابتكر من قلم الجليل عدة أقلام منها قلم الثلث وقلم الثلثين وقلم النصف وغيرها[١٥] .

ونلمس في العصر الأموي تطور الخط العربي الذي تمثل في مراعاة الكاتب للمسافات بين الكلمات والحرف والحرف الآخر الذي يليه مع منح كل حرف نصيبه من الطول أو القصر ومن الغلظ أو الدقة كما اصبحت السطور منتظمة ، وظهرت مدّات في بعض الحروف المتصلة أضافت الى الكتابة حسنا وفخامة وكذلك استعملت مدّات في نهاية بعض

---

(١١) ابن النديم : م . ن ، ص ٧ ، ١٠ .

(١٢) الجهشياري : م . ن ، ص ٤٥ . القلقشندي : م . ن ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

(١٣) القلقشندي : م . ن ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(١٤) ابن النديم : م . ن ، ص ٧ ، ٨ .

(١٥) ابن النديم : م . ن ، ص ١١ . القلقشندي : م . ن ، ج ٣ ، ص ١٦ ، ٢٠ .

الكلمات لسد الفراغ[16] وهي ظاهرة أطلق عليها في المصادر العربية اسم ((المشق))[17] ، وكانت غير مرغوبٌ فيها عند بعض الكتاب[18] ، لكنها اصبحت مقبولة ولها أصول وقواعد فيما بعد . والجدير بالذكر أن الخط العربي كان منذ فجر الإسلام على نوعين : نوع يمتاز بالتربيع ومنه الخط الكوفي وتظهر فيه الحروف يابسة ذات زوايا عالية ، ونوع آخر يمتاز بالتدوير فهو خط لين ومنه خط النسخ وتظهر حروفه ذات انحناءات وأقواس . ويبدو أن كل واحد منهما كان مفضلا في بعض انواع الكتابة وهما يعدان أصلين للخط العربي وهذا ما أيدته الأدلة الأثرية والشواهد التي وصلت إلينا عنهما[19] . وفي الواقع ان الناس استمروا بكتابة المصاحف على مثال الخطوط القديمة الى أوائل الدولة العباسية ولاسيما الخط الكوفي حين بدأت بالظهور خطوط المصاحف التي تنوعت تسمياتها بحسب المدن المنسوبة

---

[16] القلقشندي : م . ن ، ص ج ٣ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٩ .

[17] ابن منظور : محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ ، م ١٠ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ . الزبيدي : محب الدين محمد مرتضى الحسني الواسطي (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م) : تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الوهبية ، مصر ، ١٨٦٩ ، ج ٧ ، ص ٧٠ .

[18] القلقشندي : م . ن ، ج ٣ ، ص ١٤٤ . الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧ م) : أدب الكتاب ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٩٢٢ ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

[19] جمعة ، الدكتور ابراهيم : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر ، دار الفكر العربي ، المطبعة الثالثية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥١ ـ ٥٩ .

اليها كالخط المكي والخط المدني ثم الخط الكوفي والخط البصري .
أو بحسب الشكل العام للخط مثل خط المحقق وخط المشق والخط المائل وغير ذلك واستمرت كتابة المصحف بالخط الكوفي هي الشائعة الى أوائل القرن الرابع للهجرة (العاشر الميلادي)[٢٠]، وهكذا أنتجت اللغة العربية أدبا وفنا وحُفظت الثقافة العربية الإسلامية بفضل الخط العربي الذي خدم الدين والفكر الإسلامي والذوق الفني .

الشكل والاعجام (الحركات وتنقيط الحروف)

كانت الكتابة العربية قبل الإسلام في الغالب خالية من الحركات ومن النقط شأنها في ذلك شأن الكتابة النبطية التي اشتقت منها ، ولم يكن العرب في زمن الجاهلية بهم حاجة الى ضوابط للحروف والكلمات لمعرفتهم بلغتهم العربية التي يتكلمون بها يقرؤونها صحيحة بطبعهم وسليقتهم .

ويقصد بالشكل تقييد الحروف بالحركات[٢١] ، وذكرت معجمات اللغة العربية أن معنى شكل الدابة هو شدّ قوائمها بحبل ، والشكال هو العقال أي الحبل الذي تشدّ به قوائم الدواب لضبطها ومنعها من الهروب[٢٢] .
أما الأعجام فالمقصود به تنقيط الحروف بنقاط تميزها من مثيلاتها المشابهة لها في الرسم ، أي وضع نقطة أو اكثر فوق بعض الحروف أو تحتها التي تتشابه بالرسم لمنع اللبس في قراءتها ، وقال العالم النحوي أبو الفتح عثمان

---

(٢٠) جمعة : م . ن ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .
(٢١) ابن منظور : م . ن ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ .
(٢٢) الزبيدي : م . ن ، ج ٧ ، ص ٣٩٣ ، ج ٨ ، ص ٢٧ .

ابن جني (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) : كتاب معجم اذا اعجمه كاتبه بالنقط[٢٣] .

ويبدو أن الشكل والإعجام انتشر في الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام ، فقد أنزل القرآن الكريم بلغة العرب دُوّن بحروف كتابتهم ، لكن المسلمين من غير العرب اصبحوا يقعون في أخطاء عند قراءتهم المصحف فوُضع الشكل والاعجام حرصا على كلام الله المقدّس من التصحيف واللحن ، ومن المُرجح أن وضع النقط على الحروف العربية كان معروفا كما عُرف في عصر الرسالة لكنه شاع استعماله بعد حدوث التصحيف واللحن في قراءة المصحف ولاسيما في زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وانتشار الإسلام وامتداد الفتوحات ودخول أقوام غير عربية في الإسلام ، وهكذا أصبح الشكل والإعجام معروفا في الكتابة العربية في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة (القرن السابع الميلادي)[٢٤].

---

(٢٣) ابن منظور : م . س ، ج ١٢ ، ص ٣٨٩ ، القلقشندي : م . س ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

(٢٤) ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) . وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي (ت ١١٢٢ هـ/ ١٧١٠ م) : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار احياء الكتب العربية ، ط ٣ ، ١٩٥٢ ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ . جمعة : م . س ، ص ٢٧٤ . الجبوري ، سهيلة ياسين : أصل الخط العربي وتطوره ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٥١ .

تروي المصادر العربية أن العالم النحوي البصري أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م) قال :

(استأذنت عليا بن أبي طالب أن أضع نحو ما وضع فسمي بذلك نحوا)[25] ، كما ذكرت المصادر أن الوالي الأموي على العراق زياد بن أبيه وافق على طلب أبي الأسود الدؤلي على شكل كلمات القرآن الكريم وأحضر مدادا (حبرا) مخالفا للون مداد كتابة المصحف وأمر من يمسك المصحف أن يضع نقطة فوق الحرف اذا فتح ابو الأسود فمه ، وأن يضع نقطة تحت الحرف اذا كسره ، وأن يضع نقطة أمام الحرف اذا ضمه ، وأن يجعل نقطتين اذا أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة ، واستمر حتى انتهى من قراءة المصحف كله[26] . على أنه توجد رواية أخرى ذكرت أن أول من فعل ذلك ونقط المصحف انما هو نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ / ٧٠٧ م)[27] ، بينما ذكرت رواية ثالثة ان اول من فعل ذلك هو يحيى بن يعمر العدواني (ت ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م) ، والمعروف ان كلا من نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر هما من البصرة ومن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي

---

[25] ابن خلكان : م . س ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

[26] الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م) : كتاب النقط ، مطبعة الدولة ، اسطنبول ، ١٩٣٢ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ . الداني : كتاب المقنع ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٤٠ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ . الداني : كتاب المحكم ، ص٤ . ابن خلكان : م . س ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

[27] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ/ ١٣٩١ م) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٢٥١

لذلك كان من المرجح أن أول من ابتدأ بنقط المصحف هو العالم النحوي أبو الأسود الدؤلي الذي جعل الحركات والتنوين على شكل نقاط [28] . ولاشك في أن المحاولات الأولى كانت تيسيرية ثم جعل لها التابعون نظاما له قواعد وأصول متبعة[29].

وفي الواقع أن المصاحف بقيت مجردة من الإعجام إلى أيام خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) ثم كثر التصحيف في العراق مما حمل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق على أن يأمر كتّابه بوضع علامات على الحروف المتشابهة[30] ، فأصبحت الحروف فوقيا نقطة واحدة مثل الخاء والذال والزاي والنون . وجُعلَ فوق حرف الشين ثلاث نقط أخذت شكل مثلث ، وكذلك فوق حرف الثاء ، ووُضعت نقطة واحدة أسفل حرف الباء ، ووُضعت نقطتان أسفل حرف الياء إحداهما بجانب الأخرى ، ووضع لحرف الفاء نقطة واحدة فوقه ووُضِعَ لحرف القاف نقطتان

---

(28) الداني : كتاب المحكم ، ص ٥ ، ٦ . الداني : كتاب النقط ، ص ١٣٢ . القلقشندي : م ، ن ، ج ٣ ، ص ١٦١ .

(29) الداني : كتاب المحكم ، ص ٣٠ (من المقدمة) .

(30) السجستاني ، ابو بكر عبد الله بن ابي داود سليمان (ت ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م) : كتاب المصاحف ، تحقيق آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط ١ ، ١٩٣٦ ، ج ٤ ، ص ١٤١ . القلقشندي : م . ن ، ج ٣ . ص ١٥٦ . طاش كبري زاده ، احمد بن مصطفى (ت ٩٦٢ هـ/ ١٥٥٤ م) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٩١٠ ، ج١ ، ص ٨١ . ابن درستويه ، ابو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) : كتاب الكتّاب ، تحقيق الأب شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٢٧ ، ص ٥٤ .

في أعلاه على أن أهل المغرب العربي جعلوا لحرف الفاء نقطة في أسفله ولحرف القاف نقطة في أعلاه واستمروا في ذلك حتى يومنا الحالي .

ولما تشابهت علامات أو نقاط الحركات مع نقاط الحروف (الشكل والإعجام) تمّ تمييزها بأن جعلت النقط التي تميز الحرف من مداد (حبر) الكتابة نفسه ، بينما جعلت نقط الحركات من مداد مخالف في اللون لمداد كتابة الكلمات ، مع ملاحظة أن تكون نقط الحروف فوق الحرف أو تحته ، ومواضع نقط الحركات تكون منحرفة قليلا عن الحرف ومع ذلك حدث اللبس والخطأ في القراءة أيضا مما اضطر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) وهو من علماء اللغة العربية البارزين في البصرة الى اتباع طريقه جديدة هي تغيير علامات الشكل أو الحركات وجعلها خطوطا صغيرة ترسم بسن القلم[٣١] . فاصبح الخط الأفقي أو الشرطة المضطجعة المرسومة في أعلى الحرف تدل على الفتحة واذا كانت بأسفل الحرف تدل على الكسرة ، ووضع حرف واو صغيرة فوق الحرف دلالة على الضمة واذا كررت هذه الواو فتدل على التنوين ، وجعل للسكون دائرة صغيرة توضع فوق الحرف الساكن ، وجعل للهمزة علامة هي رأس حرف عين صغير ، وجعل للشدة علامة هي رأس حرف سين صغير .

ويوضح القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) بصورة مفصلة رسم

---

[٣١] الداني : كتاب النقط ، ص١٣٣ ، الزرقاني : م . ن ، ج ١ ، ص ٤٠١ ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) : الاتقان في علوم القرآن ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ١٢١ .

علامات الشكل والاعجام ، نذكرها باختصار ، فيقول [٣٢] :

إن حروف الأبجدية العربية عددها ثمانية وعشرون حرفا منها حروف منقوطة ، ومنها حروف مهملة غير منقوطة ، وهي :

الحروف المنقوطة وعددها خمسة عشر حرفا هي ـ الباء ، التاء ، الثاء ، الجيم ، الخاء ، الذال ، الزاي ، الشين ، الضاد ، الظاء ، الغين ، الفاء ، القاف ، النون ، الياء .

الحروف المهملة أو غير المنقوطة وعددها ثلاثة عشر حرفا هي ـ الألف ، الحاء ، الدال ، الراء ، السين ، الصاد الطاء ، العين ، الكاف ، اللام ، الميم ، الهاء ، الواو .

والمعروف أن الشكل (الحركات) جاء مع الاعراب ، اذ هو ينقسم الى : السكون (أو الجزم) ، والفتح (أو النصب) ، والضم (أو الرفع) ، والجر (أو الخفض أو الكسر) .

وكان الشكل في بداية أمره يجعل نقطا بمداد (حبر) مخالف للون مداد الكتابة . وكان اللون الأحمر يستعمل للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد ، وكان اللون الأصفر للهمزة خاصة ورخص في رسمها بالسواد عندما اختلفت الصور وتباينت أشكالها فيما بعد . واستعمل اللون الأخضر أحيانا للابتداء بألفات الوصل ولكن لم يستحب النقط بالسواد .

---

[٣٢] القلقشندي : م . ن ، ج ٣ ، ص ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .

الضمّ ـ كان المتقدّمون يجعلون علامة الضمّة نقطة بالّلون الأحمر وسط الحرف أو أمامه ، فإن لحق حركة الضمّة تنوين رسموا لذلك نقطتين أمام الحرف ، الأولى للحركة والثانية للتنوين . ثم تطور ذلك وأصبح المتأخرون يجعلون علامة الضمّة واوا صغيرة بأعلى الحرف لما هو معروف من أن الواو علامة الرفع في الأسماء الخمسة .فإن لحق حركة الضمّ تنوين رسموا لذلك واوا صغيرة مردودة الآخر .

الفتح ـ كان المتقدمون يجعلون الفتحة نقطة باللون الأحمر فوق الحرف . فإن تبع حركة الفتح تنوين جعلوها نقطتين الأولى للحركة والثانية للتنوين ، ثم جعل المتأخرون علامتها ألفا مضطجعة أو شرطة ويسمونها نصبة ، وجعلوا التنوين ألفا مضطجعة مكررة (شرطتين) فوق الحرف .

الكسر ـ وهي علامة الجرّ وكانت نقطة باللون الأحمر تحت الحرف ، فإن لحقها تنوين رسمت نقطتان أسفل الحرف . ثم تطورت العلامة فأصبح الكسر على هيئة شظية أو شرطة أسفل الحرف ، فإن لحق حركة الكسر تنوين رسمت شرطتان أسفل الحرف إحداهما للحركة والأخرى للتنوين .

السكون ـ وكان جزة باللون الأحمر فوق الحرف سواءً أكان الحرف المسكّن همزة أم غيره ، ثم جعلت فيما بعد على صورة دائرة صغيرة تشبه الميم وسمّيت جزمة أي سكونا ، وقد تكون بشكل جيم لطيفة ربما بسبب طبيعة رأس القلم الذي رسمت به .

التشديد ـ وهو من مبتكرات كتّاب المدينة ، وكان في أول الأمر بشكل قوس محدّب أو مقعّر يكون فوق الحرف المضعّف وأحيانًا تحته ، ثم تطور وأصبح يرسم بهيئة السين من غير عراقة .

الهمزة ـ وكانت في أول الأمر ترسم بصورة نقطة صفراء ، لكي تخالف لون نقط الإعراب ، توضع فوق الحرف ، وجعلت بعد ذلك على هيئة رأس حرف عين صغير ، فإن كانت ساكنة جعلت بأعلى الحرف عليها شرطة صغيرة ، وإن كانت مضمومة جعلت بأعلى الحرف وفوقها ضمّة . وإن كانت مكسورة جعلت بأسفل الحرف مع شرطة بأسفلها وقد توضع أحيانًا بأعلى الحرف مع شرطة بأسفلها .

علامة الوصل في حرف الألف ـ رسمت في أول الأمر جرّة باللون الأحمر في سائر أحوالها ، ثم جعلوا محلّها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل ، ثم تطورت وأصبحت ترسم بما يشبه حرف الصاد[٣٣] .

الكتابة والخط العربيّ في العصر العباسيّ

بعد قيام الدولة العباسية في سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) بدأ الخط العربي بالتطور السريع ، عندما شيدت بغداد مدينة السلام من قبل الخليفة المنصور في سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) وأصبحت عاصمة الدولة وحاضرة العالم الإسلامي انتقل إليها العلماء والأدباء وأرباب المهن والصناعات

---

[٣٣] توجد أمثلة عن ذلك مذكورة في كتاب ـ جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، مع صور اللوحات المرفقة : ١ ـ ١٠ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

والفنون فازدهرت فيها الحضارة وتقدمت العلوم والمعارف المتنوعة وأصبح الخط في بغداد ينافس ما كان معروفاً في البصرة والكوفة حتى صار الخط البغدادي معروف الرسم[34]. وفي الواقع ظهر خطاطون رواد منذ أوائل العصر العباسي من أمثال: الضحاك بن عجلان في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢ – ١٣٦ هـ/٧٤٩ – ٧٥٤ م)، والخطاط إسحق بن حماد في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ/٧٥٤ – ٧٧٤ م). ثم الأحول المحرر وهو من تلاميذ ابراهيم الشجري (عاش في القرن الثاني للهجرة / القرن الثامن الميلادي) وهو الذي ابتدع قلم النساخ[35].

وبعد ذلك انتهت جودة الخط الى الخطاط المشهور الوزير أبي علي محمد بن الحسن بن عبد الله الملقب (ابن مقلة) (٢٧٢ – ٣٢٨ هـ/ ٨٨٥ – ٩٣٩م)[36]، وهو الذي ولد في بغداد وعاش فيها وأصبح وزيراً

---

[34] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م): مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤١٩ – ٤٢٠.

[35] ابن النديم: م. س، ص ١١. القلقشندي: م. س، ج ٣، ص ١٦ – ٢٠.

[36] ينظر عن الخطاط ابن مقلة:

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ/٩٤٧م): أخبار الراضي والمتقي بالله من كتاب الأوراق، مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٤. مسكويه، أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م): تجارب الأمم، مصر، ١٩١٤، ج ١، ص ١٨٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٢١. ابن النديم: م. س، ص ١٤. ←

لثلاثة خلفاء وهم : المقتدر والقاهر والراضي ، بفضل ما لديه من علم بالأدب واللغة العربية والكتابة والخط وتجويد ذلك ، وكان قد درس على كبار علماء اللغة مثل ثعلب وابن دريد ، كما اهتم بتجويد الخط العربي وعرف أشكاله وأنواعه ووضع رسومه وقوانينه وجعله أنواعا ، ورتب الأقلام فجعل أولها قلم الطومار وكانت تكتب به الكتب للحكام والولاة . وقد أعجب المؤرخون بخط ابن مقلة ، فقال الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) عن خطه إنه : (أحسن خطوط الدنيا ، وما رأى الراؤون وما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السحر)[٣٧] . وقال عنه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) : (كان الوزير محمد بن مقلة أوحد الدنيا في كتبه قلم الرقاع والتوقيعات لا ينازعه في ذلك منازع ولا يسمو إلى مساماته ذو

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدرآباد ، ١٣٥٧ هجرية ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١١ .
ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري :
(ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٣٢٦ هجرية .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) : معجم الأدباء ، دار المأمون ، مصر ، ج ٩ ، ص ٢٨ .
ابن خلكان : م . س ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ج ٤ ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٢ . القلقشندي : م . س ، ص ١٧ . الصفدي : صلاح الدين أبو الصفا خليل ابن أيبك (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م) : الوافي بالوفيات ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ـ ١١١ .

(٣٧) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م) : ثمار القلوب ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٦ .

فصل نرع . .)[38] . وقال عنه ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) في الكامل : ما رأينا وزيرا منذ توفي القاسم بن عبد الله أحسن حركة ولا أظرف اشارة ولا أصلح خطا ، ولا أكثر حفظا ، ولا أسلط قلما ولا أقصر بلاغة ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علي ، وله بعد هذا كله علم بالإعراب ، وحفظ باللغة وشعر مليح وتوقيعات حسان)[39] . وقال عنه ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : (انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلثمائة الى الوزير أبي علي محمد بن مقلة وأخيه عبدالله ، ولهما طريقة اخترعاها وتفرد عبد الله بالنسخ والوزير أبو علي بالدرج ، وكان الكمال للوزير وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها . ثم أخذ عن ابن مقلة الخطاط (محمد السمسماني) و (محمد ابن أسد) الذي عنهما أخذ الخطاط علي بن هلال المعروف بابن البواب وهو الذي اكمل قواعد الخط وتممها واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة)[40] . وقد اورد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) معلومات وافية عن خط ابن مقلة منها : حسن تشكيل الحروف ورسمها ، وحسن أوضاع الحروف ، وبيان طريقة وضع النقط على الحروف ، وأدوات ومواد الكتابة ، والقلم وحجمه وشكله وأسماء أجزائه وأنواع الأقلام وأدوات الكتابة التي يحتاج اليها الكاتب والخطاط ، والمداد والحبر وطريقة صناعته ، فضلا عن هندسة الحروف وتركيبها التي وضع لها محمد بن مقلة قواعد

---

(38) ياقوت الحموي : م . ن ، ج ٩ ، ص ٢١ .

(39) ابن الأثير : م . ن ، حوادث سنة ٣٢٦ هجريه .

(40) ابن خلكان : م . ن ، ج ٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .

مفصلة ودقيقة سار على نهجها المعاصرون له واللاحقون ، وكذلك طريقة رسم الحرف وحجمه بالنسبة للقلم الذي يكتب به والأجزاء التي يتكون منها ، وجعل نسبة الحروف الى حرف الألف في قياساتها حيث جعل حرف الألف مقياسا لذلك ، كما تضمن رسم كل حرف وما فيه من استقامة أو انتصاب أو استلقاء ، أو تسطيح أو انكباب أو استدارة وتقوس ، وقد جعل النقطة الناتجة من وضع رأس القلم على الورقة هي وحدة قياس الحروف من حيث حجمها وأبعادها ، كما تطرق الى طريقة مسك القلم عند الكتابة ووضعه على الورقة وجعل الطريقة الصحيحة أن يمسك القلم بثلاثة أصابع هي الوسطى والسبابة والابهام ويكون مكان مسكه فوق قتحته بصورة متساوية حول القلم [41]

وصف مختصر لخط محمد بن مقلة وقواعده[42]

اولا ـ حسن التشكيل ، تحتاج الحروف في تصحيح أشكالها الى خمسة أشياء هي :

١ ـ التوفية ، وهو أن يوفي كل حرف حظه من الخطوط التي يتركب منها ، من مقوس ومنحني ومنسطح .

٢ . الاتمام ، وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب ان يكون عليها من طول أو قصر أودقة أو غلظ .

---

(41) القلقشندي : م . س ، ج ١ ، ص ٤٣٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ ، ج٣ ، ص ٢٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٥ .

(42) القلقشندي : م . س ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٥ .

٣ - الاكمال : وهو أن يؤتى كل حرف خطه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب أو تسطيح أو انكباب أو استلقاء أو تقويس .

٤ - الاشباع : وهو أن يؤتى كل حرف خطه من صدر القلم حتى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض ولا أغلظ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقيه مثل حرف الألف والراء ونحوهما .

٥ - الإرسال : وهو أن يرسل الخطاط يده بالقلم في كل شيء يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه .

ثانيا - حسن وضع الحروف ، ويحتاج الى تصحيحه أربعة أشياء :

١ - الترصيف : وهو وصل كل حرف متصل الى حرف .

٢ - التأليف : وهو جمع كل حرف غير متصل الى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن .

٣ - التسطير : وهو اضافة الكلمة الى الكلمة حتى تصير سطرا منتظم الوضع كالمسطرة .

٤ - التنصيل : وهو مواضع المدات المتحسنة من الحروف المتصلة .

ثالثا - بيان صورة النقط وكيفيته وضعها للنقطة صورتان : إحداهما بشكل مربع ، والأخرى بشكل مستدير . وإذا كانت نقطتان على حرف فإن شئت جعلت واحدة فوق الأخرى ، وإن شئت جعلتها في سطر واحد

بعد . وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرف ينعجم لم يجز أن يكون النقط
لذا اتسعت الا واحدة فوق الأخرى . والعلة في ذلك أن النقط اذا كن
في سطر خرجن عن حروفهن فيكون اللبس في الأشكال .

رابعا ـ هندسة الحروف[43]

وضع محمد بن مُقْلَة لهندسة الحروف وتركيبها قواعد مفصّلة ملخّصها :

حرف الألف ـ وشكله مركّب من خط منتصب ، ويجب ان يكون مستقيما غير مائل الى استلقاء ولا انكباب ، وليس مناسبا لحرف في طول ولا قصر ، واعتباره بأن يخط الى جانبه ثلاثة ألفات أو أربعة ألفات يكون فضاء ما بينهما متساويا .

حرف الباء ـ وشكله مركّب من خطين : منتصب ومنسطح ، ونسبته الى حرف الألف بالمساواة ، واعتبار صحته أن تزيد في أحد سنّيها ألفا فتصير لاما .

حرف التاء وحرف الثاء ـ وهما مثل حرف الباء في الهندسة واعتبار الصحة .

حرف الجيم ـ وشكله مركّب من خطين : منكبّ ونصف دائرة قطرها مساو لحرف الألف ، واعتبار صحته أن يخط عن يمينه وعن شماله خطان فلا تنقص عنهما شيئا يسيرا .

حرف الحاء وحرف الخاء ـ وهما مثل حرف الجيم .

---

(43) القلقشندي : م . ن ، ج ٣ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

حرف الدال ـ وشكله مركب من خطين : منكب ومنسطح مجموعهما مساو لحرف الألف ، واعتبار صحته أن تصل طرفيه بخط فيكون مثلثاً متساوي الأضلاع .

حرف الذال ـ وهو مثل حرف الدال .

حرف الراء ـ وشكله مركب من خط مقوّس هو ربع الدائرة التي قطرها حرف الألف ، وفي رأسه سنّة مقدّرة في الفكر ، واعتبار صحته أن تصله بمثله فتصير نصف دائرة .

حرف الزاي ـ وهو مثل حرف الراء .

حرف السين ـ وشكله مركب من خمسة خطوط : منتصب ومقوس ومنتصب ومقوس ثم مقوّس ، واعتبار صحته أي صحة رأسه أن يمر بأعلاه وأسفله خطّان فلا يخرج عنهما شيء ولا ينقص .

حرف الشين ـ وهو مثل حرف السين .

حرف الصاد ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : مقوس ومنسطح ومقوس ، واعتبار صحته أن تجعله مربعاً فيصير متساوي الزوايا في المقدار .

حرف الضاد ـ وهو مثل حرف الصاد .

حرف الطاء ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : منتصب ومقوس ومنسطح ، ويحدّ أوله بنقطة وآخره بنقطة ، ومساحة صدره

(فتحة) الصاد في الطول تثني حرف الألف في خطه ،
واعتباره كاعتبار حرف الصاد .

حرف الظاء ـ وهو مثل حرف الطاء

حرف العين ـ وشكله مركب من خطين : مقوس ومسطح أحدهما نصف
دائرة ، واعتبار صحته كاعتبار صحة حرف الجيم .

حرف الغين ـ وهو مثل حرف العين

حرف الفاء ـ وشكله مركب من أربعة خطوط : منكب ومستلق ومنتصب
ومنسطح ، واعتبار صحته أن تصل بالخط الثاني منه خطا
فيصير مثلث قائم الزاوية .

حرف القاف ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : منكب ومستلق
ومقوّس ، واعتبار صحته كاعتبار النون .

حرف الكاف ـ وشكله مركب من أربعة خطوط : منكب ومنسطح
ومنتصب ومسطح ، واعتبار صحته أن ينفصل منه باءان ،
ويعني مستقيمة ومقلوبة .

حرف اللام ـ وشكله مركب من خطين : منتصب ومنسطح ، واعتبار
صحته أن تدرج من أوله الى آخره خطا يماس الطرفين
فيصير مثلث قائم الزاوية ، وتكتب على الأنواع الثلاثة التي
تكتب عليها الباء .

حرف الميم ـ وشكله مركب من أربعة خطوط : منكب ومستلق ومنسطح
ومقوس ، واعتبار صحته كاعتبار حرف الهاء.

حرف النون ـ وشكله مركب من خط مقوس ، وهو نصف دائرة وفيه ستة
مقدّرة في الفكر ، واعتبار صحته أن توصل بها مثلها فتكون
دائرة .

حرف الهاء ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : منكب ومنتصب
ومقوّس ، واعتبار صحته أن تجعله مربعا فتتساوى الزاويتان
العليا كتساوي الزاويتين السفلاوين .

حرف الواو ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : مستلق ومنكّب ومقوّس .

اللام ألف ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : منكب ومنسطح مستقيم
ومستلق . ونوع آخر مركب من ثلاثة خطوط : منكب
ومستدير يقارب ألفا ومستلق يقابل طرفه طرف المنكب
واعتبار صحتها أن يكون ثلثيها من أسفلها والثلثان من
أعلاها ، وأن تحط من رأس اللام الى رأس الألف خطا
مستقيما وان تحط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يقصر
عنها ولا يخرج .

حرف الياء ـ وشكله مركب من ثلاثة خطوط : مستلق ومنكب
ومقوس ، واعتباره كاعتبار حرف الواو .

وصف المؤرخين للخط الجيد

قال الصولي (ت ٣٣٦ هـ/ ٩٤٦ م)[٤٤] في وصف الخط الجيد :
(اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره (١) ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ، ونونه ، وأشرق قرطاسه (٢) ، واظلمت انفسه (٣) ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوره ، والى القلوب تثمره ، وقدرت فصوله (٤) ، واندمجت أصوله ، وتناسب دقيقه وجليله ، وتساوت أطنابه (٥) ، واستدارت أهدابه (٦) وصغرت نواجذه (٧) ، وانفتحت محاجره (٨) ، وخرج عن الوراقين (٩) ، وبعد عن تصنع المحررين ، وخيل أنه يتحرك وهو ساكن (١٠) .

((١ . حدوره : انحداره او نزوله عن خط استواء الكتابة . ٢ . قرطاسه : ما يكتب به . ٣ ـ انفسه : جمع نفس وهو المداد أي مداد قاتم .
٤ . فصوله : حرفي الراء والزاي . ٥ . أطنابه : ألفاته . ٦ . أهدابه : أطرافه.
٧ـ نواجذه هي حروف التاء والتاء والثاء ومعناها في حالة التوسط .
٨ . محاجره : حروف الواو والميم والفاء والقاف ، وتعرف احيانا بالعيون .
٩ ـ الوراقين : هم الكتّاب الذين يكتبون على الورق . ١٠ ـ يتحرك وهو ساكن : أي نظرا لما فيه من استدارة ولين)) .

وكتب القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) عن النسبة الفاضلة في كتابة حروف الخط العربي نقلا عن رسائل أخوان الصفا (رسالة الموسيقى)

---

(٤٤) الصولي : م . ن ، ص ٤٥ وما بعدها .

التي كتبت على الأرجح بين سنتي (٢٧٢ - ٣١٢ هجرية) بنسب تناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم . فقال[٤٥] :

حرف الألف - ينبغي لمن يرغب في أن يكون خطه جيدا وما يكتبه صحيح التناسب ، أن يجعل لذلك أصلا يبني عليه حروفه ليكون ذلك قانونا له ، يرجع اليه حروفه لا يجاوزه ولا يقصر دونه ، ومثال ذلك في الخط العربي أن تخط ألفا بأي قلم شئت وتجعل غلظه الذي هو عرضه مناسبا لطوله وهو الثمن ، ليكون الطول مثل العرض ثماني مرات ، ثم تجعل البركار على وسط حرف الألف وتدير دائرة تحيط بحرف الألف لا يخرج دورانها عن طرفيها ، فإن هذا الطريق والمسلك يوصلان الى معرفة مقادير الحروف على النسبة ، ولاتحتاج في مقاييس ما تقصده الى شيء يخرج عن الألف وعن الدائرة التي تحيط به .

الباء وأخواتها (التاء والثاء) - كل واحد منها يجب ان يكون قائمها ومنبسطها مساويين معا لطول حرف الألف ، فان زاد سمج ، وان قصر قبح ، ومقدار ارتفاع سنها وجميع الأسنان التي في حرف السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن حرف الألف .

الجيم واخواتها (الحاء والخاء) - مقدار مدتها في الابتداء لاتقصر عن نصف طول الألف ، وكذلك يجري الأمر في العين والسين والشين

---

[٤٥] القلقشندي : م . ن ، ج٣ ، ص ٤١ . ٤٣ .

وانظر ايضا ، رسائل اخوان الصفا (رسالة الموسيقى) شرح خير الدين الزركلي ، مصر ، ١٩٢٨ .

والصاد والضاد والراء والزاي . كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة .

الدال والذال ـ كل واحدة منها يجب ان يكون مقدارها ، اذا أزيل الانثناء الذي فيها وأعيدت الى التسطيح ، لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

السين والشين ـ كل واحدة منها يجب ان يكون أسنانها الى فوق كل منها مثل مقدار ثمن الألف ، وجملتها في العرض بمقدار نصفها ، وتعريقها الى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

الصاد والضاد ـ مقدار عرض كل منهما في مداها مثل مقدار نصف الألف ، وفتحة البياض فيهما مقدار ثمن الألف أو سدسها ، وتعريقها الى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

الطاء والظاء ـ كل واحدة منها يجب أن تكون جملة أجزائها مثل مقدار طول الألف ، وعرضها مثل نصف الألف .

العين والغين ـ كل واحدة منها مقدار تقويس رأسها في العرض مثل نصف الألف ، وعراقتها مثل نصف محيط الدائرة التي قطرها الالف .

الفاء ـ يجب ان يكون تدويرها ومنبسطها معا مثل طول الألف ، وعرض حلقتها وحلقة الواو والميم مثل سدس الألف .

القاف ـ تقويسها من فوق ينبغي ان يكون مثل سدس طول الألف ، وتعريقها مثل نصف الدائرة

الكاف ـ ينبغي ان يكون الجزء الأعلى منها طول الألف وفتحة الباطن داخله مثل سدس طول الألف وتسطيحها من أسفل مثل أعلاها ، وكسرتها الى فوق مثل نصف طول الألف .

اللام ـ يجب ان يكون مقدارها مثل نصف محيط الدائرة .

الباء ـ ينبغي ان يكون مبدؤها دالا مقلوبة لا تتجاوز مقدار طول الألف ، وتعريقها الى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

ثم يقول القلقشندي : وهذه المقادير وكمية نسبة بعضها الى بعض هو ما توجبه قوانين الهندسة والنسبة الفاضلة ، الا ان ما يتعارفه الناس ويستعمله الكتاب على غير ذلك ، فبعضهم يجعل عرض الألف سبع طولها مما يترتب عليه اختلاف المقادير المقدرة بالنسبة لحرف الألف في بقية الحروف . وضبط المقادير على هذا الحد الذي يقرره اخوان الصفا يرجع الى ماسبق أن قرره في شأنها الوزير محمد بن مقلة الذي نسب جميع الحروف الى حرف الألف من خطها واستخرج قانونه المعروف .

جاء في رسالة أبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) [٢٦] في علم الكتابة عن معاني الخط :

---

[٢٦] ابو حيان التوحيدي ، الشيخ علي بن محمد بن العباس التوحيدي الصوفي البغدادي (ت ٤٠٠ هـ/١٠٠٩م) :

رسالة ابي حيان التوحيدي في علم الكتابة ، مخطوط في مكتبة فينا . وتوجد نسخة منه في مكتبة جامعة القاهرة (رقم ٢٤٠٩٠) . وقد طبع هذا المخطوط في دمشق ، سنة ١٩٥١ ، وتحقيق ابراهيم الكيلاني .

والكاتب يحتاج إلى سبعة معان هي : المجود بالتحقيق ، والمحشي بالتحويق ، والمجمّل بالتحديق ، والمزين بالتخريق ، والمحسّن بالتشقيق ، والمجاد بالتدقيق ، والمميز بالتفريق ، فهذه أصوله وقواعده المتضمنة لفنونه وفروعه فكل قلم يظهر له ايعمل على قدره والورد كفاء صدره ان شاء الله .

أما المجرّد بالتحقيق — فإبانة الحروف كلها مشورها ومنظومها ، مفصلها وموصولها ، بمداتها وقصراتها ، وتفريجاتها وتعريجاتها ، حتى تراها كأنها تبتسم عن ثغور مفلجة ، أوتضحك عن رياض مدبّجة . فهذا ما يعم الحروف كلها عماء فأما ما يختص واحدا واحدا منها فأذكره على أثر هذا .

وأما المراد بالتحديق — فإقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبييض أوساطها ، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها كانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة .

وأما المراد بالتحويق — فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة ، مما يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة

وأما المراد بالتخريق — فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها كيف ما وقعت افرادا وأزواجا بما يدل الحس الضعيف على انضاحها وانفتاحها .

وأما المراد بالتعريق — فإبراز النون والياء وما أشبهها ، مما يقع في اعجاز الكلمة مثل : من وعن وفي ومتى والى وعلى ، بما يكون كالممدوح على مدّ واحد .

وأما المراد بالتشقيق . فتكثف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي فإن الشكل بهما يصح ومعهما يحلو ، والخط في الجملة كما قيل : هندسة روحانية بآلة جسمانية .

وأما المراد بالتنسيق . فتعميم الحروف كلها مفصولها وموصولها بالتصفية ، وحياطتها من التفاوت في التأدية ، وتفحص العناية عليها بالتسوية .

وأما المراد بالتوفيق . فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما تعدها وفاقا لا خلافا .

وأما المراد بالتدقيق . فتحديد أذناب الحروف بإرسال اليد ، وإعمال سن القلم ، وإدارته ، مرة بحسره ، ومرة بسنيه ومرة بالاتكاء ، ومرة بالإرخاء ، بما يضيف إليها بهجة ونورا ورونقا وشذورا .

وأما المراد بالتفريق . فحفظ الحروف من مزاحمة بعضها بعضا ، وملابسة أول منها لآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن مجامعا بالشكل الأحسن .

وهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مواتيا ، وفعله مواطئا ، وقريحته عذبة ، وطينته وطئة . قال :

وملاك الأمر تقويم أعجاز السطور وتسوية هوادي الحروف ، وحفظ التنسيق وقلة العجلة ، وإظهار القدرة في عرض الاسترسال ، مع حمل اليد في طي الاقتدار .

.. انتقلت جودة الخط بعد الخطاط محمد بن مقلة الى تلاميذه ومنهم محمد بن أسد الغافقي (ت ٤١٠ هـ /١٠١٩ م) ومحمد بن علي السمسماني (ت ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م) ، وعن هذين الخطاطين أخذ الخط علي بن هلال المعروف بابن البواب وهو الخطاط البغدادي المشهور الذي أكمل قواعد الخط العربي التي أسسها ابن مقلة وتممها واخترع أقلاماً أخرى وأدخل على طريقة ابن مقلة التهذيب والتنقيح والبهجة[47] .

ولد علي بن هلال المعروف (ابن البواب) في بغداد ونشأ فيها ، وتاريخ ولادته لم تذكره المصادر لكنها ذكرت تاريخ وفاته في سنة (٤١٣هـ / ١٠٢٢ م) على أرجح الأقوال[48] ، وقد أخذ ابن البواب اللغة العربية عن

---

(47) ياقوت الحموي : م . س ، ج ١٥ ، ص١٢١ . ابن خلكان : م . ن ، ج ٤ ، ص ١٦٨ . ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٩ م) : شذرات الذهب ، مصر ، ١٣٥٠ هجرية ، ج٣ ، ص ٩٩

 . سهيل أنور : الخطاط البغدادي علي بن هلال ، ترجمة محمد بهجة الاثري وعزيز سامي ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ، ٤٥ .

(48) ابن الجوزي : م . س ، ج ٨ ، ص . ياقوت الحموي : م . س ، ج ١٥ ، ص ، ١٢٠ - ١٢٣ .

ابن خلكان : م . ن ، ج ٤ ، ص ١٦٨ ، ٢٠١ . ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م) : تلخيص مجمع الآداب ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ج٤ ، ص ٤١ .

ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) : البداية والنهاية في التاريخ مطبعة السعادة ، مصر ، ج ١٢ ، ص ١٤ . ابن تغري بردي ، ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م) : النجوم الزاهرة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

أستاذه الشيخ النحوي أبي الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت. ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) وأنه قرأ القرآن الكريم ونفقه وسمع من العلماء أمثال ابو بكر أحمد بن سليمان النجار وعلي بن محمد بن الزبير الكوفي وجعفر الخلدي وعبد الملك بن الحسن السقطي ، واثنى عليه غير واحد في دينه وأمانته وعفته . وربما كان حافظا للقرآن وذكر عنه أنه نسخ المصحف بيده (٦٤ مرة)[49] . وكانت لابن البواب يد باسطة في الكتابة وكان فصيحا بارعا وشاعرا نظم بعض القصائد . وقيل عنه : إنه مع ما رزقه الله من المعجزات في حسن الخط وجودة ضبطه قد رزق ملاذ الكتاب ومحاسن الآداب والفضل الظاهر والنظم الباهر[50] . وقد صحب ابن البواب الوزير فخر الملك أبا غالب محمد بن علي بن خلف الواسطي الذي أصبح واليا على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة البويهي ، وكان لا يفارقه لفضائله التي اجتمعت فيه من حسن الخط والإنشاء والشعر ، كما انه عمل بمدينة شيراز في خزانة كتب (مكتبة) بهاء الدولة بن عضد الدولة[51] . وذكرت المصادر العربية أن خط ابن البواب متميز وفاق الأوائل

---

[49] ياقوت الحموي : م . س ، ج ١٥ ، ص ١٢٢ . ابن العماد الحنبلي : م . س ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة ابن البواب ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٣٣ ، ج ١ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

[50] ياقوت الحموي : م . س ، ج ٢ ، ص ١٤ . ابن الفوطي : م . س ، ج ٢ ، ص ١٤ .

[51] ياقوت الحموي : م . س ، ج ١٥ ، ص ١٢٢ . ابن العماد الحنبلي : م . س ، ج ٣ ، ص ١٩٩

ابن الفوطي : م . س ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

بالخط الكوفي فأنسى القرن السالف ، وقال " وأما ما رأيت من مؤوجه وتسبيعه وتلعبه بغير ما ذكرت وتنويعه ، فغاية لم يدركها أحد بعده ، ومن جدّ في نقل جيد خطه عرف حدّه [٥٤] . ومما قاله ابن البواب في القلم وشروط جودته : إن كل قلم تقصر جلفته فان الخط يجيء به أوقص والوقص هو قصر العنق ، وإن الأقلام مابين تحريف الى تدوير أي لكل قلم خط صفة ، وقطة قلم الريحاني أشدها تحريفا وقلم الرقاع أقلها تحريفا[٥٥] . هذا وقد نظم ابن البواب قصيدة رائية مشهورة في تعليم الخط والكتابة واتقان ذلك وجعلها في ثلاثة وعشرين بيتا ، جاء فيها[٥٦] :

يا مـــن يريد اجـــادة التحرير — ويروم حسن الخط والتصوير

ان كان عزمك في الكتابة صادقا — فارغب الى مولاك في التيسير

أعــدد من الأقـــلام كل مثقف — صلب يصوغ صناعة التحبير

وإذا عمـــدت لبريـــه ، فتوخه — عند القياس بأوسـط التقديـر

أنظر الى طرفيه ، فاجعل بريه — من جانب التدقيق والتحضير

---

[٥٤] أ. سهيل أنور : م . ن . ص ٤٥ المصرف ، ناجي زين الدين : مصور الخط العربي ، المجمع العلمي العراقي ، مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢٣ .

[٥٥] القلقشندي : م . ن ، ج٢ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٩ .

[٥٦] وردت قصيدة ابن البواب في مقدمة ابن خلدون ، طبعة كاتر مير ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ . ونقلها كل من . الحصري دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ .

أ. سهيل أنور : م . ن . (الخطاط البغدادي علي ابن هلال) . المصرف . م . ن ، ص ٣٧٢ .

واجعل لجلفته قواماً عادلاً ... يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقى بريه ... من جانبيه مشاكل التقدير
حتى اذا اتقنت ذلك كلّه ... اتقان طب بالمواد خبير
فاصرف لرأي القط عزمك كلّه ... فالقط فيه جملة التدبير
لا تطمعنّ في أن أبوح بسرّه ... اني أضن بسرّه المستور
لكن جملة ما أقول بأنه ... ما بين تحريف الى تدوير

ويتناول ابن البواب في هذه القصيدة كذلك صناعة المداد (الحبر) ، كما يعدّ الخط من أفعال الخير المحفوظة للمرء في يوم القيامة .

وقد وصلتنا رسائل منسوبة لأبن البوّاب تتناول تعليم الخط وتفيدنا في معرفة طريقة الخطاط ابن البوّاب في بعض الخطوط التي اشتهر بها ، ومن ذلك رسالة في :

١ـ قلم الثلث ـ طريقة ابن البوّاب ، محفوظة في مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول (رقم ٢١٢٠) .

٢ـ قلم الطومار . طريقة ابن البوّاب . محفوظة في متحف طوب قابو سراي في اسطنبول (رقم ك ن / ٧٠) .

٣ـ قلم المسلسل وقلم الغبار . طريقة الأستاذ ابن البوّاب .

وفضلاً عن ذلك وصلتنا عدة كتب ورسائل تنسب الى الخطاط ابن البواب محفوظة في اسطنبول وبعضاً منها في بغداد ، لكن اهم ما وصلنا من آثار ابن البواب هي المصاحف (القرآن الكريم) التي منها مصحف

كتبه في بغداد سنة (٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م) وهو محفوظ في مكتبة جستر بتي في دبلن (ايرلنده) (رقمه ١٤٣١). وقد قام المستشرق الأنكليزي الأستاذ (د . أس . رايس) بدراسة قيمة لهذا الأثر المهم نشرها بالأنكليزية في سنة (١٩٥٥) وترجمه الى اللغة العربية أحمد الأورفلي في سنة (١٦٧٥). وتأتي الأهمية الفنية لهذا المصحف من كون الخطاط ابن البواب قد أرسى في خط هذا المصحف قواعد جديدة وطوّر جانبا مهما من جوانب الفن الإسلامي وهي فنون الكتب وفن المصاحف بالذات فبدأت بذلك مرحلة فنية متميزة منذ أواخر القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) تمثلت في الخط المتقن والجيد للمصحف وفي حسن اختيار الزخارف النباتية والهندسية ، وفي استعمال التذهيب والألوان المختلفة التي تدل على ذوق رفيع . وفضلاً عن ذلك فقد ترك لنا هذا الخطاط المشهور مصحفا آخر بخط الريحاني محفوظ اليوم في جامع ((لالة لي)) في اسطنبول أهداه الى هذا الجامع السلطان العثماني سليم الأول .

وهكذا كان الخطاط ابن البواب قد وضع المقومات الفنية للخط العربي واهتم بمراعاة النسب بين الحروف فكان ذلك مع الاهتمام بالجمال الفني للخط ، وتميزت طريقته في توضيح الحروف المهملة وتمييزها من الحروف المنقوطة المشابهة لها ولاسيما الحروف السبعة وهي : (ح ، د ، ر ، س ، ص ، ط ، ع) إذ كان يفرق بينها باستخدام علامات تميزها أو حروف صغيرة بأسفلها ليدرك القارئ أن الحرف لم يضع النقاط فيها فيما اذا كانت منقوطة وفضلاً عن ذلك ابتدع ابن البواب أنواعا من الخطوط من أبرزها : المحقق . والريحاني مع اتقانه أنواع أخرى من الخطوط . كما أظهر ابن

البواب في خط المصاحف المتميز بالعناية الفائقة بالكتابة والخط والزخرفة والتذهيب والاهتمام بالغلاف كذلك . مما كان له الأثر الكبير في زيادة اهتمام الخطاطين بالمصاحف خطاً وزخرفة وتذهيباً .

وجاء بعد الخطاط ابن البواب كثير من الخطاطين البارزين منهم [٥٧] :

١- أبو نصر محمد بن السمسماني (ت ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م) الذي يعد من أعلى طبقات الخطاطين بعد ابن البواب في حسن الخط والإجادة والتفنن فيه[٥٨].

٢- الخطاطة فاطمة البغدادية المعروفة بنت الأقرع (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) وكانت تكتب على قاعدة ابن البواب وكان الناس يكتبون على خطها ، وهي التي كتبت كتاب الهدنة الى ملك الروم في خلافة القائم بأمر الله[٥٩]

---

[٥٧] الأعظمي ، وليد عبد الكريم ابراهيم : جمهرة الخطاطين البغداديين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ج ١ ، ٢ ، ص١١٨ وما بعدها .

[٥٨] ينظر عن الخطاط السمسماني : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م) : الوافي بالوفيات ، تحقيق هلموت ريتر ، طهران ، ١٩٦١ ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

[٥٩] ينظر عن الخطاطة فاطمة البغدادية : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج١٠ ، ص ١٣٦ . ياقوت الحموي : م . ن ، ج ١٦ ، ص ١٦٩ . الذهبي ، شمس الدين احمد بن محمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) : ←

٣ـ أبو سعيد بن الموصلايا (ت ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) وهو من الكتاب المعروفين ويضرب المثل بفصاحته وحسن عبارته وكان صاحب ديوان الإنشاء في ببغداد منذ خلافة القائم بأمر الله حتى خلافة المستظهر بالله ، وكان خطه في غاية البراعة والحسن والضبط[٦٠] .

٤ـ فخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج الأبري (ت ٥٧٤ هـ/ ١١٧٨ م) وهي عالمة بغدادية و محدثة ، قرىء عليها الحديث النبوي وسمع عليها خلق كثير ، وقد أخذت الكتابة والخط عن محمد بن منصور بن عبد الملك الذي أخذ الخط عن ابن البوّاب ، وكتبت الخط الحسن ، وكانت صالحة وثقة لها بر ومعروف وصدقات وشيدت رباطا للمتصوفة والزهاد برحبة جامع القصر بمدينة السلام وكانت تقرأ فيه الحديث النبوي ، وأخذت العلم عن زوجها الملقب ثقة الدولة وهو من خواص الخليفة المقتفي لأمر الله والذي بنى المدرسة الثقتية ببغداد وتوفي سنة (٥٤٩ هجرية) ، فضلا عن كونها أخذت العلم عن

العبر في خبر من غبر ، سلسلة التراث العربي ، الكويت ، ١٩٦٠ ، ج٣ ، ص ٢٩٦ . ابن كثير : م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ . ابن الفوطي : م . ن ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٩٤٦ .

[٦٠] ينظر عن ابي سعيد بن الموصلايا :

ابن الأثير : م . ن ، ج١٠ ، ص ٣٧٧ . ياقوت الحموي : م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٩٣ . ابن خلكان : م . ن ، ج ٣ ، ص ١٤٩ . سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م) : مرآة الزمان ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٥١ ، ج ٨ ، ق١ ، ص ١٠ . ابن كثير : م . ن ، ج ١٢ ، ص١٦٤ . ابن تغري بردي : م . ن ، ج ٥ ، ص ١٣٢ .

كبار علماء بغداد ومشايخها ، ولها تلاميذ كثيرون أصبحوا علماء بارزين ، ولما توفيت صلّى عليها الخليفة المستضيء بالله وشهد جنازتها أرباب الدولة[61].

د- أبو طالب الكرخي الفقيه الإمام المبارك بن ابي البركات المبارك بن المبارك البغدادي (ت ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م) وكان محدثاً ببغداد وبرع في تجويد الخط وحسنه وضبطه حتى أصبح يضرب به المثل وقيل كان أوحد زمانه في الخط على طريقة ابن البوّاب ولم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم الثلث ، واشتغل بالخط وتجويده حتى بلغ مرتبة جاورت ابن البواب[62] .

---

[61] ينظر عن شهدة بنت الأبري .

ابن الأثير : م . ن ، ج١٠ ، ص ١٣٦ . ياقوت الحموي : م . ن ، ج١٦ ، ص ١٦٩ . الذهبي : م . ن ، ج٣ ، ص ٢٩٦ . ابن الفوطي : م . ن ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٩٤٦ . ابن كثير : م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ .

[62] ينظر عن ابي طالب الكرخي .

ابن الأثير : م . ن ، ج ١٢ ، ص٤٢ . ياقوت الحموي : م . ن ، ج ١٧ ، ص٦ . المنذري ، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) : التكملة لوفيات النقلة . تحقيق د . بشار عواد معروف ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ١١ . الذهبي : م . ن ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

ابن كثير : م . ن ، ج ١٢ ، ص ٣٢٤ . ابن تغري بردي : م . ن ، ج ٦ ، ص ١١ . ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ . الغساني ، ابو العباس اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م) :

العسجد المسبوك ، تحقيق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الاسلامي ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٩٦ .

٦ـ هبة الله الوزير البغدادي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٦ م) كان محدثا فاضلا ويكتب خطا جيدا حسنا ، قيل عنه له خط رائق وفضل فائق ، اذا كتب أغضى ابن مقلة مقلته حياء وأغلق ابن البواب بابه خجلا ، واذا ترسل كان لفظ عبد الحميد للفظه عبدا غير حميد[٦٣] .

٧ـ الحاجب ابن بقشلان البغدادي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) وهو حاجب الخليفة المستضيء بالله ، وكان خطاطا ماهرا يكتب على قاعدة ابن البواب ويجدّد خطه ويعتني به ولاسيما في قلم المصاحف وقيل عنه لم يكتب أحد مثله في أيامه[٦٤] .

٨ـ ابن المنتجب الكاتب (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) وهو صاحب الخط المنسوب البديع ، ولد ونشأ ببغداد عند ابيه المؤدب والصوفي في احد

---

[٦٣] ينظر عن الوزير هبة الله :

المنذري : م . ن ، ج ٢ ، ٢٢٣ . ابن الساعي : ابو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٦ م) :

الجامع المختصر ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ج٩ ، ص ٣١ .

[٦٤] ينظر عن الحاجب ابن بقشلان :

ياقوت الحموي : م . ن ، ج ١٣ ، ص ٢١١ ـ ٢١٤ . المنذري : م . ن ، ج ٢ ، ص ٤١٣ . ابن الساعي :

م . ن ، ج٩ المقدمة . الذهبي : م . ن ، ج٤ ، ص ٣٠٨ . ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج٤ ، ص٣٤٢ .

اربطة بغداد ، وتعلم الخط الفائق البديع ، وقبل خطه في غاية الحسن والضبط ، وكان يورق للناس وحدم بالبدرية وعلم بها الخط[٦٥] .

٩ـ ابن البرفطي الأنصاري (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) وكن معلما للصبيان فلما جاد خطه صار محرزا وكان كثير المشق على طريقة ابن البواب ، وكان يقتني خطوط ابن البواب بأغلى الأثمان ، وقد سافر الى دمشق وكتب عليه كتّابها وجودوا خطوطهم عليه وتأثروا به ، وأقام في حلب مدة ثم عاد الى بغداد[٦٦] .

١٠ـ عماد الدين الدمشقي (ت ٦٨١ هـ /١٣٨٣ م) كتب على الولي الكاتب وأخذ عنه أصول الخط وبرع فيه وانتهت اليه الإجادة والإفادة في حسن الخط ولا سيما في المحقق والنسخ ، وكان يرتحل للتجارة ويجتمع بالعلماء والخطاطين ، وكان شديد الرغبة في جمع الخطوط واقتناء النفيس منها ، وكان متمكنا من الخط ويجيد قط الأقلام

---

(٦٥) ينظر عن ابن المنتجب الكاتب :

ابن الأثير : م . ن ، ج١٢ ، ص ٩٨ ، ٢٩٩ . ابن الدبيثي ، ابو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩) : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، بغداد ،١٩٧٤، م ٢، الترجمة (٦١٢) . المنذري : م . ن ، ج٣ ، ص ٢٨٦،٢٨٧ . الصفدي . م . ن ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .

(٦٦) ينظر عن ابن البرفطي الأنصاري .

ياقوت الحموي : م . ن ، ج ٧ ، ص ٢١٧ . ابن الفوطي : م . ن ، ج٤ ، ق٢ ، ص ٨٨٠ .

بصورة فريدة دقيقة[٦٧] .

١١- زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب البغدادي (ت٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م) وهو من علماء بغداد الأفاضل ومن اشهر خطاطي بغداد في زمانه ، وكان الخليفة المستعصم بالله معجبا بخطه ورتبه في احدى خزانتي الكتب (المكتبة) اللتين انشأهما في رواق عزيز ببغداد ، وقد اخذ عنه الخطاط البغدادي ياقوت المستعصمي[٦٨].

١٢- صفي الدين الأرموي البغدادي (ت ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤ م) وهو امام عالم محدث أديب ، وخطاط ماهر ، كتب مصحفا بالخط البديع المنسوب ووصل به الى الخليفة المستعصم بالله فتعرّف به اليه ، وكان يكتب المصاحف ويعلم اولاد الخليفة المستعصم بالله وبلغ عنده منزلة عالية ، وكان له الخط الفائق والشعر الرائق واخذ عنه الخط الخطاط ياقوت المستعصمي والخطاط شمس الدين السهروردي ، ورتب

---

[٦٧] ينظر عن عماد الدين الدمشقي :

ابن كثير : م . ن ، ج٣ ، ص ٣٠٢ . الصفدي : م . ن ، ج١ ، ص ٢٠١ . اليونيني . الشيخ قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م) :ذيل مرآة الزمان ، حيدرآباد الدكن ، ١٩٥٥ ، ج٤ ، ص١٩٨ .

ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج٥ ، ص ٣٨٩ .

[٦٨] ينظر عن زكي الدين عبد الله بن حبيب

ابن الساعي : م . ن ، ج ٩ (المقدمة) . العزاوي ، المحامي عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ج ١ ، ص ٣٣٢ . العزاوي : الموسيقى العراقية في عهد المغول ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص ٢٤ .

عقيها في المدرسة المستنصرية في بغداد وبلغ الغاية والمنزلة الرفيعة .
وكانت شهرته في الخط أعلى من شهرته في غيره [٦٩] .

وبعد هؤلاء الخطاطين جاء الخطاط المشهور ياقوت المستعصمي [٧٠] ، وهو ياقوت بن عبد الله الرومي من مماليك الخليفة العباسي المستعصم

---

(٦٩) ينظر عن صفي الدين الأرموي .

ابن الفوطي : م . ن ، ج٤ ، ق٣ ، ص ٧٩ . ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م) : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ج٢ ، ص٣٩ .

العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج١ ، ص٣٦١ . البابي ، اسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠ م) : هديّة العارفين ، طهران ، ١٩٦٧ ، ج١ ، ص٦٣ . معروف ، الدكتور ناجي :

تاريخ علماء المستنصرية ، ج١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

(٧٠) ينظر عن الخطاط ياقوت المستعصمي :

ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، منسوب خطأ لابن الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٣٢ ، ص ٣٠٥ . ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ، ج٤ ، ق٣ ، ص ٧٩ ، ١٢٩ . الصقاعي ، فضل الله ابن أبي الفخر (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م) : تالي كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبله ، دمشق ، ١٩٧٤ ،

ص ١٧٥ . ابن كثير : م . ن ، ج١٤ ، ص٦ . الذهبي : م . ن ، ج٥ ، ص ٣٩ . ابن شاكر الكتبي :

م . ن ، ج٢ ، ص٣٩ - ٤٠ ، ٢٩٥ . السلامي ، محمد بن رافع (ت ٧٧٤ هجرية) : تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، بغداد ، ١٩٣٨ ، حرف الياء ، ص٢٣٣ . القلقشندي : م . ن ، ج٣ ، ص١٤ . ←

بأنه وسنسب اليه ، وقيل ان ياقوت ولد في (أماسيا) بالأناضول سنة(٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) وعاش في بغداد في دار الخلافة العباسية حتى وفاته في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) .

وقد تعلم ياقوت اللغة العربية ودرس الأدب والشعر والعلوم الدينية ، وأصبح اديبا وعالما فاضلا وشاعرا له اشعار مستحسنة فضلا عن شهرته بالخط . وكان ياقوت قد تعلم الخط العربي على أيدي كبار الخطاطين في زمانه ومنهم الخطاطون المذكورون سابقا وهما عبد الله بن حبيب وصفيّ الدين الأرموي ، وارتفعت منزلته في الخط حتى اصبح يعلم فنون الخط لأبناء الأكابر ، ثم تفوق في تحرير الخطوط وتجويدها حتى صار يضرب المثل بحسن خطه ولقب (قبلة الخطاطين) وأصبح مدرسة في الخط العربي استمرت متبعة حتى الوقت الحاضر . وقيل : إنّ أول من نقل الخط الكوفي الى الطريقة العراقية هو الخطاط محمد بن مُقْلة ، ثم جاء ابن

ابن تغري بردي : م . س ، ج٤ ، ص٢٤٠ ، ٢٥٦ . ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج٣ ، ص١٨ ، ج٥ ، ص٤٣٣ . دائرة المعارف الأسلامية ، الترجمة العربية ، حرف الياء ، م٤ ، عدد٩ ، ص٥٦٢ . معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ج٢ ، ص٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٤ . ١١٠ ، ١٨٨ ، ٢٦٥ . ٢٧٤ . العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج١ ، ص٣٦١ . مرزوق . الدكتور محمد عبد العزيز : الفن الأسلامي ، مطبعة اسعد ، بغداد . ١٩٦٥ ، ص ١٧٣ . المصرف : م . س ، ص٦٠ . ٦١ . ٩٩ . الأشكال ١٩٥ ـ ١٩٨ ، ٢٣٠ .

البوّاب غزا في تعريب الخط وابداعه ، ثم جاء ياقوت وختم في الحد وأكمله [٧١] . وذكرت المصادر ان ياقوتا كان بارعا في علم الأدب مليح الشعر والخط [٧٢] ، وانه كان اديبا عالما فاضلا شاعرا بلغ من الخط غاية كما بلغها الخطاط ابن البوّاب[٧٣] ، وانه صاحب الخط البديع وانتهت اليه رياسة الخط المنسوب وكتب ختما (مصاحف) حسانا ، وكتب الناس على يديه في بغداد ، وان ياقوتا كان خطاطا ماهرا مشهورا جاء مكملا لخط ابن البوّاب ، وكان على رأس مدرسة للخط العربي ولقّب قبلة الكتاب[٧٤] .

ويمكننا ان نلمس مزايا خط ياقوت من الآثار التي تركها لنا ، فقد كتب ياقوت عدّة مؤلفات منها[٧٥] :

---

(٧١) ابن شاكر الكتبي : م . ن ، ج٢ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ٢٩٥ . معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ج١ ، ص٩٤ . ٢٦٥ـ ٢٧٤. مرزا سنكلاخ : تذكرة الخطاطين المسمى امتحان الفضلاء ، ايران ، ١٢٩٥ هـ .

(٧٢) السلامي : م . ن ، حرف الياء ، ص٢٣٣ ، معروف : م . ن ، ج٢ ، ص٨٢ ، ١١٠ ، ١٨٨ .

(٧٣) ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج٣ ، ص١٤ ، ٣١٨ .

(٧٤) ابن كثير : م . ن ، ج١٤ ، ص٦ . ابن العماد الحنبلي : م . ن ، ج٣ ، ص٣١٨ . السلامي : م . ن ، حرف الياء ، ص٢٣٣ . دائرة المعارف الأسلامية ، الترجمة العربية ، حرف الياء ، د٤ ، ص٩ ، ٥٦٣ .

الاعظمي : م . ن ، ج٢ ، ص٤٦٢ .

(٧٥) زيدان ، أ . جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، بغداد ، ١٩٣١ ، ج٣ ، ص١٣١ .

١ـ أخبار وشعراء وملح وحكم ونصائح منتخبة ، كتبها ياقوت في ذي الحجة سنة (٦٨٩ هجرية) وقد طبعت في الأستانة سنة (١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) .

٢ـ كتاب أسرار الحكماء ، كتبه ياقوت بخطه في بغداد سنة (٦٨٩ هجرية) ، وتوجد نسخة منه في المركز الوطني للمخطوطات في بغداد ، وقد طبع هذا الكتاب في الأستانة سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢ م) .

اما اهم الكتب والمخطوطات التي وصلت إلينا وكتبت بخط ياقوت فهي [٧٦] :

١ـ كتاب در الحكم ، ومؤلفه ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هجرية) ، وهو مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

٢ـ ديوان شعر الحادرة ، وهو نسخة نفيسة كتبها ياقوت بخطه في سنة (٦٢٨ هجرية) ودوّن ذلك عليها ، وهي بخط الثلث على قواعده التامة ، والمخطوط محفوظ في متحف طوب قابو سراي باسطنبول (خزانة رقم ١٦٤٢) .

٣ـ طيف الخيال ، لمؤلفه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤ م) ، وتوجد نسخة منه في خزانة السلطان

---

[٧٦] معروف : م . ن ، ج٢ ، ص٨٣ . المصرف : م . ن ، ص١٩٩ ، شكل ٣٣ .

العثماني أحمد الثالث في استطنبول كتبها ياقوت في سنة (٦٦٤ هجرية) ببغداد كما هو مدون عليها . وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الأسكوريل في اسبانيا . وهذا المخطوط طبع عدة مرات منها طبعة في مصر سنة (١٩٥٥ م) ثم طبع في بغداد سنة (١٩٥٧ م) .

وهناك مخطوطات منسوبة الى الخطاط ياقوت منها[٧٧] :

- نسخة من مصحف محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة كانت في الأصل موجودة في مدرسة السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسن ابن محمد بن قلاوون بالقاهرة ، وطول الصفحة في هذا المصحف اربعة أشبار وعرضها مايقرب من ذلك ، والجدير بالذكر ان المؤرخ المقريزي (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م) ذكر انه في هذه المدرسة توجد عشر نسخ من المصاحف (القرآن الكريم) بهذه الصفة كانت موجودة في زمانه .
- نسخة من مصحف في خزانة آيا صوفيا في اسطنبول مورخة في سنة (٦٥٤هجرية) .
- وكذلك توجد مصاحف اخرى بخط ياقوت منها : مصحف بخط نسخي كتبه ياقوت في سنة (٦٦٣ هجرية) محفوظ في خزانة الروضة الحسينية في كربلاء . ومصحف اخر بخط نسخي ايضا محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومصحف أخر كتبه ياقوت بخط المحقق الشبيه بالثلث سنة (٦٦١ هجرية) . وهو محفوظ في اسطنبول . ومصحف آخر في خزانة السلطان احمد الثالث (رقم ١١٦) . ومصحف آخر

---

[٧٧] معروف ، م . ن ، ج ٢ ، ص ٨١ .

كتبه ياقوت في سنة (٦٨١ هجرية) محفوظ في متحف طوب قابو سراي [٢٨] .

- ومن الكتب التي وصلتنا بخط ياقوت كتاب " نهج البلاغة " للإمام علي ابن ابي طالب (رض) وهو موجود في المدرسة الإسلامية بالموصل ، ثم نسخة من لامية العرب المشهورة للشاعر الجاهلي (الشنفرى الأزدي) المتوفى قبل الهجرة النبوية ، وهي قصيدة تحث على مكارم الأخلاق ونقلها عبد الصمد سنة (١٠٣٠ هجرية) عن خط ياقوت المستعصمي[١٩]. ويوجد مخطوط اسمه ((دعاء الأسبوع)) محفوظ في المركز الوطني للمخطوطات في بغداد (رقم ٢٧٧٥) وصفحاته مزينة بالزخارف وفي آخر صفحة منه كتابة نصها : (كتبه أضعف عباد الله ياقوت المستعصمي في سنة تسع وثمانين وستمائة حامدا الله على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله) ولكن نسبة خط هذا المخطوط الى ياقوت تحتمل الشك .

- وكذلك توجد في دار الكتب المصرية في القاهرة عدة نماذج من خط ياقوت يتضح فيها حذقه للخط وإتقانه وإجادته وتميزه به مما جعله

---

[١٨] معروف : م . س ، ج٢ ، ص٨٣ . دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، م ٤ ، ص٥٦١ .

المصرف : م . ن ، ص٦٠ ، ٦١ .

[١٩] الجلبي ، داود الجلبي الموصلي : مخطوطات الموصل ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٧ ، ص١٣٤ .

يستحق ما قاله عنه المؤرخون[80] . كما ذكر ان كتابات ونقوش مسجد السلطان حسن في تبريز والمعروف بالمسجد الأزرق أو مسجد جها نشاه هي بخط ياقوت المستعصمي [81] .

كان ياقوت يكتب على طريقة ابن البواب وبرع في تجويد الخط العربي كثيراً ، وهذب أوضاع الحروف وحور في الكتابة واستلقاء بعضها حتى ذاع صيته واشتهر اسمه وانتشرت طريقته في الخط التي عرفت بالطريقة البغدادية ذات الخصائص الفنية التي ميزتها عن خط المدرسة العثمانية التركية التي أعقبتها[82] . وممن كتب على طريقة ياقوت صاحب ديوان الملك ببغداد شرف الدين هرون بن شمس الدين الصاحب محمد الجويني (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م) الذي برع في حسن الخط وصار من الخطاطين الماهرين وتصدر للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد في سنة (٦٧١ هجرية)[83] . وممن سار على نهج ياقوت كذلك الخطاط المسمى (زرين قلم) الذي لازالت كتاباته بخط الثلث منقوشة على جدران المدرسة

---

(80) مرزوق : م . ن ، ص١٧٣

(81) دائرة المعارف الأسلاميه ، الترجمة العربية ، م ٤ ، عدد ٩ ، ص٥٦٢ .

(82) دائرة المعارف الأسلامية ، م ٤ ، عدد ٩ ، ص٥٦٢ . الأعظمي : م . ن ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

(83) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ . حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧ هـ/١٦٥٧ م) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبعة استانبول ، ج١ ، ص ٤٠١ .

العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

المرجانية ببغداد والمشيدة في سنة (٧٥٨هـ / ١٣٥٧ م)[٨٤] ، ثم الشيخ أحمد السهروردي (ت ٧٢١هـ/١٣٢١ م) الذي اشتهر بخط النسخ والجلي ومن آثاره مصحف مؤرخ في سنة (٧١٨هـ /١٣١٨ م)[٨٥] ، وكذلك كتب على طريقة ياقوت محتسب الخطاط شمس الدين بن أبي رقيبة وعنه أخذ محمد بن احمد الزفتاوي (ت ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م) وعنه أخذ نورالدين الوسيمي وعليه كتب عبد الرحمن بن الصايغ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١ م)[٨٦].
ثم انتقلت جودة الخط الى شيخ هذا الفن حمد الله الأماسي (ت ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) الذي اخذ الخط عن خير الدين المرعشي (ت ٨٩٦ هـ/ ١٤٩٠ م) أحد تلاميذ الخطاط عبد الله الصيرفي البغدادي . ومن معاصري الشيخ الأماسي المذكور الخطاط أحمد قره حصاري الملقب (ملاشمسي بير قره حصاري) الذي اخذ الخط عن اسد الله الكرماني الذي سار على طريقة ياقوت وتوفي سنة (٩٦٣هـ/١٥٥٥ م) وترك آثاره على جدران جامع السليمانية في اسطنبول ، وقيل : إن أشهر الخطاطين الذين جاءوا بعده الحاج كامل آقنك ، واسمعيل حقي آلتون بازار ، ثم الخطاط الحافظ

---

(٨٤) لازالت الكتابات التذكارية تحمل اسمه وهي موجودة على مدخل بناية المدرسة المرجانية في بغداد وفي كتابات الوقفية المسجلة على جدران مسجد المدرسة وفيها ذكر لاسم الخطاط زرين قلم (القلم الذهبي) بذكر تاريخ بناء المدرسة في سنه (٧٥٨ هـ / ١٣٥٧م) .

(٨٥) المصرف : م . ن . ص ٣٥٦

(٨٦) القلقشندي : م . ن ، ج٣ ، ص١٣ ، ١٤ . الزبيدي ، محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الزبيدي (ت ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م) : حكمة الأشراق الى كتاب الآفاق ، القاهرة ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٩٥٤ ، ص ٨٤ .

عثمان الذي اشتهر بكتابة المصحف (القرآن الكريم) المعروف باسمه الى اليوم ، وكان قد ولد في استنبول سنة (١٠٥٢هـ /١٦٤٢ م) وتوفي سنة (١١١٠هـ / ١٦٩٨ م) حيث تعلم الخط العربي على الشيخ درويش علي افندي (ت ١٠٨٦هـ /١٦٧٥ م) وأحمد قره حصاري وكان يقلد أشهر خطاطي زمانه الشيخ الأماسي الذي كان تلاميذه يسيرون على قاعدة الخطاط ياقوت المستعصمي [87]. ومن الخطاطين البغداديين محمد رضا وله كتابة لا تزال موجودة على رخامة في قاعدة مئذنة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد وهي مؤرخة في سنة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) ونلمس في خطه اقتداءه بالخطاط ياقوت[88] . وممن ترك أثرا كثيرة في مساجد بغداد الملا مصطفى (ت ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥ م) إمام جامع الفضل الذي كان يكتب على قاعدة ياقوت[89]. ومن الخطاطين الأفاضل الزهاد الملا علي الفضلي (ت ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) الذي ترك آثارا خطية وله كثير من التلاميذ ابرزهم الخطاط صبري والخطاط هاشم محمد البغدادي[90] . ومنهم كذلك الخطاط محمد صبري بن مهدي الهلالي البغدادي (ت١٣٧٢هـ / ١٩٥٢ م) وتميز بخط الثلث البغدادي الياقوتي وعين خطاطا في الديوان الملكي العراقي ودخل الكلية العسكرية وعين خطاطا بوزارة الدفاع[91]. وكان

---

(٨٧) المصرف : م . ن ، ٣٣١ ، ٣٦٢ ، ٣٤٨ .

(٨٨) المصرف : م . ن ، ص ٣٠٦ .

(٨٩) المصرف : م . ن ، ص ٣٠٦

(٩٠) المصرف : م . ن ، ص ٣٥٧

(٩١) المصرف : م . ن ، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

مسك الختام لخطاطي بغداد الخطاط هاشم محمد البغدادي الذي ولد في بغداد في سنة (١٩١٩ م) وتعلم الخط في الكتاتيب منذ صغره على مراحل ، ودرس الخط على الملا عارف والملا علي الدرويش ، وبعدها حصل على اجازة من مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة واتصل بالخطاطين المصريين ثم سافر الى اسطنبول وعرض خطه على مشاهير الخطاطين الترك مثل الخطاط حامد الآمدي من ديار بكر والذي منحه اجازة في سنة (١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) ، واما خطه فانه تبع قاعدة ياقوت في الخط ، ومن اعماله تدريس الخط العربي في معهد الفنون الجميلة ببغداد وطبع كرّاسة لقواعد الخط العربي ، والإشراف على طبع المصحف (القرآن الكريم) في المانيا وهو المكتوب بقلم الخطاط الشهير محمد امين الرشدي (ت ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠ م) والمحفوظ في مكتبة جامع الامام الأعظم وقامت بنشره وزارة الأوقاف العراقية . وآثاره الخطية لا زالت على جدران مساجد بغداد والعراق عامة [92] .

أصول الأقلام والخطوط

ذكر عبد الرحمن الصايغ (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م)[93] أن أصول الأقلام سبعة هي : الطومار ، والثلث ، والتواقيع ، والمحقق ، والنسخ ، والرقاع ، والغبار . وقال في طريقة رسم الحروف ووصفها بان يكون اخراج

---

[92] المصدر : م . ن ، ص ٣٥٢ .

[93] ابن الصايغ ، الشيخ عبد الرحمن بن الصايغ (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م) : تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب ، تحقيق هلال ناجي ، تونس ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ .

الحروف من الدائرة ، وذلك بأن تحط بأي قلم أردت بحيث يكون عرضه مناسبا لطوله وهو الثمن ، يكون الطول مثل العرض ثمان مرات ، ثم تجعل البيكار في وسط حرف الألف وتدير عليها دائرة تحيط بها وبها يعرف مقدار الحرف . وذهب بعضهم الى أن تأخذ أي قلم أردت وتقيم منه تسعا وعشرين نقطة دائرة وتكون النقطة بوجه القلم وبها يعرف مقدار الحروف بالنسبة الى كل قلم على عدد الحروف وموازينها .

حرف الألف ـ منتصب ليس له شبه في الحروف ، وهو متميز في الطول على الف الثلث مقدار نقطة ، وذلك لأن الف خط الثلث في صدرها تحديب ما وفي عجزها كذلك ، وألف خط المحقق ليس فيها تحديب ، وأرباب التقويم قالوا ان الخط المستقيم أقرب من الخط المحدودب فيزاد في الف المحقق بمقدار تفاوت التقويرين في الف خط الثلث فتكون الف خط التحقيق أرشق في الطول ، ومنتهى نقطها بتشعيرة لطيفه ومبدؤها بتوفية القلم ومنتهاها بتحريفة خفيفة .

حرف الباء ـ تكون مقدار حرف الألف ، ورأسها مقدار نقطة ونصف ، ويكون آخر الشمرة أنقص من رأسها بمقدار يسير لا يدرك الا عن عسر ، ويكون بطنها مائلا الى الترطيب مقدار لا يدركه الطرف يكون أجود حتى يخرج من اليبس في البسط .

حرف الجيم ـ مقدار رأسها خمس نقط وبطنها نصف دائرة ولا يزيد منتهاها على رأسها ، ويكون قطرها مقدار حرف الف خطها . حرف الدال ـ تكون مقدار حرف الف اذا اتصل نصفها بالآخر ، وتكون السدلة السفلى أزيد من الأعلى ، وقيل يكون بين رأسها ومنتهى

سمرتها خمس نقط ، وإذا وصلت خطا مستقيما من اسفلها وخطا آخر من أعلاها يكون من الأعلى بالنسبة الى وسطها كثلثي مد الخط السفلي .

حرف الراء - يكون رأسها بمقدار ثلث حرف الف وبسطها ثلثي حرف الف ، وإذا زاد طرفها مقدار نقطة على ثلثي حرف الف فهو مباح .

حرف السين - يكون رأسها مركبا من سبع نقط للبسط : للبسط اربعة . وللأسنان ثلاثة ، ورقبتها من نقطتين ونصف ، كالنون ، ومجموع رقبتها والبسط الف الصاد .

حرف الصاد - تكون كالسين في دائرة رأسها في المقدار ، وحكم رقبتها وتسطيحها وشمرته كالسين وشكل بياضها كشكل قلب اللوز المشقوق .

حرف الطاء - تكون كالصاد الا ان المدة التحتانية مقدار نصف الباء ولا تكون مائلة الى تقوير اصلا بالنسبة الى حرف الألف الكامل المستقيم .

حرف العين - تكون كالصاد المعكوسة ودورة رأسه كالهلال الصغير وقطر بطنها كالجيم .

حرف الفاء - يكون رأسها من خمس نقط ، والبياض بينهم كحبة السفرجل ، وقيل كعين الأوز ، والمد بطول الباء بلا خلاف في الشكل والوضع والزيادة والنقصان .

حرف القاف ـ يكون رأس القاف كرأس الفاء من كل وجه ، ومقدار تعليقها كالسين والصاد والنون ، وموضع اتصال رأسها الى بطنها نقطة ونصف من ابتداء رأسها . حرف الكاف ـ يكون رأسها ثلث حرف الف خطه ، وتسطيحها مقدار الف ، وصدرها ثلث الف ، والبسط الحنائي أزيد من تسطيحها بنقطة ، وبياض بطنها كبياض رأسها ، ومنهم من يجعل مقدار رأسها نصف الف ، ويقول أصلها من ثلاث صادات ، وقيل مركبة من باء مبسوطة وياء راجعة .

حرف اللام ـ وهي مركبة من ألف وياء بغير رأس ويكون بسطها بترطيب يسير بخلاف لام الثلث فانها مركبة من الف ونون ، فان خط الثلث يحسن فيه التقوير (التقويس) .

حرف الميم ـ يكون رأسها كرأس الفاء والقاف والواو ، والمدة كالراء المبسوطة .

حرف النون ـ يكون رأسها مقدار نقطتين ونصف وبتمكين لفتتها ثلاث نقط كالراء ، وبسطها كالسين كما مر ، وشمرتها أنقص من رأسها بنصف نقطة .

حرف الهاء ـ وهي أربعة أنواع : علوي وسفلي ، أما العلوي فلا يزيد على رأس النون وهو من ثلاث نقط ، والسفلي مقدار ست نقط ، ويكون وجهها متساويا بخط مستقيم ، وشبه رأسها العلوي بأذن الفرس والثاني مركب من صادين . والثالث ان يكون شكل بياضها مثلثا وكل واحد من اضلاع المثلث ثلاث نقط ويكون الثلث الأخير رجعة

من ثلثي الأول . الهاء الرابعة تكون نصف دال ورأس فاء بعد قطع وتعمل حلقة الفاء مركبة مع الباء وتخل مقدار شعرة من رأس الفاء في صدر الدال فيحصل المطلوب .

حرف الواو - يكون رأسها كرأس الفاء والقاف وبسطها كالراء وعنقها نقطتين . ومعرفة صحتها ان تخرج واوا أخرى من تحت عنقها مثل أخواتها .

اللام الف - هو ان يكتب ألفين متعاطفين (متقاطعين) من ربع كل واحد منهما ويجمع بينهما بثلاث نقط تحتهما حتى يصير مثلث الشكل من اسفل كالهاء والألفان متفرعان من الهاء .

حرف الياء - يكون رأسها دالا مقلوبة وآخرها نونا بلا رأس ، الا ان الفاصل بين النون والدال المقلوبة ان كان مفردا أضيق من الياء المركبة .

وذكر عبد الله بن علي الهيتي (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م)[٩٤] في رسالته في الخط والقلم المسماة ((العمدة)) فصلا عن الكلام عن الحروف المفردة . وقال عن حرف الألف بأنه منتصب القامة من غير ميل ولا اعوجاج ليس له شبيه بالحروف كالأصل لايزيد ولا ينقص عن تسع نقط ، وقيل عن سبع نقط . وقيل عن خمس نقط ، والأول يحمل على خط المحقق وخط الثلث ، والثاني يحمل على قلم التواقيع الثلثية ، والثالث على قلم الرقاع . ويكتب ابتداء حرف الألف بصدر القلم الى ثلثي الألف ويكتب آخره بسن القلم الأيسر ، فان كتب محققا او ريحانا فلا تمل آخره البتة

---

[٩٤] الهيتي ، عبدالله بن علي بن عبد الله بن محمد (ت ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦ م) : العمدة ، تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ١١ - ٢٢

والثلث والتواقيع يمالان قليلاً الى جهة يسار الكاتب . وألف الثلث كقامة رجل ناظر الى قدميه ، والتوصل الى ذلك انك اذا وصلت الى ثلثي الألف فافتل القلم بالتدريج على السن الأيمن وخفف من الاعتماد على القلم حتى تنتهي الى آخر الألف فتطلق القلم اطلاقا مرطبا وتكون القطة ظاهرة في ابتداء الألف المعرق في جميع الأقلام ، وتكون التسطية في راس الألف المحقق والريحان والمونق والثلث والتواقيع الكبار الشبيهة بالثلث . ومقدار الحروف الأخرى فهي مشابهة لما ذكرناه سابقا مع اختلاف قليل .

ضوابط الحروف والكلمات

(الشكل او الحركات وعلامات الاعراب)

ذكرنا في البداية ما اشار اليه القلقشندي[٩٥] عن رسم علامات الاعراب المهمة في الخط العربي ، وفي الواقع ان الخطاطين الأوائل وضعوا الحركات وأسموها الضوابط و قسموها الى : السكون (الجزم) ، والفتح (النصب) ، والضم (الرفع) ، والجر (الكسر او الخفض) . وذهب بعض النحاة الى ان هذه الحروف مأخوذة من الحركات ، فالألف المضطجعة من الفتحة ، والواو من الضمة ، والياء من الكسرة ، وعلى هذا درج أهل الخط القدماء وسار على نهجهم المعاصرون في رسم صور الحركات لضبط صحة القراءة ولتزيين الخط العربي وهي احدى الطرائق التي وضعها أهل صناعة الخط للتناظر الزخرفي بالأحرف الصغيرة والتوزيع والتجميع المبني على المنطق الهندسي الذي لا يستغنى عنه ولا نقصد بهذه الزخارف تلك الزخارف

---

(٩٥) القلقشندي : م . ن ، ج٣ ، ص ١٥٨ ، ١٦٠ ـ ١٦٣ .

الهندسية والنباتية وانما نقصد الحروف الصغيرة المستعملة للمد والسكون ، والحروف المهملة ، وقد أسرف بعض الخطاطين في اضافة هذه العلامات للخط حتى طغت على بياضات الحروف فاتخذه النقاد ذريعة لانتقاد الكتابة العربية ووصفها بالتعقيد . والطريقة المتبعة في توزيع الحروف الصغيرة هي ما يأتي :

خط الثلث والجلي ـ وفيه ترسم الحركات : الفتحة والكسرة والضمة والسكون ، والتنوين والضمتان ، ويوضع حرف ميم صغيرة تحت حرف الميم ، وكذا الجيم والصاد والعين ورأس السين والهاء ، ويستعمل في كتابتها قلم أدق من القلم الذي كتبت به الكتابة في المتن .

اما المدات فيستعمل لكتابتها قلم الكتابة نفسه . ومن جملة علامات الشكل الاعرابية : الواو المقلوبة و علامة تشبه رقم سبعة ، او ميما صغيرة وفوقها شبه رقم سبعة ايضا ، كما ترسم الدال المطبوقة للزخرفة ، ويرسم الألف المنسطح المقوس قليلا علامة للمدّة القصيرة ، وترسم دائرة صغيرة كرأس الميم وفوقها ألف صغيرة للمد والسكون . وهذه الحركات تكتب في خط النسخ بقلم الكتابة نفسه وبالعرض نفسه . وقد اصطلح الخطاطون الترك على تسمية هذه الحركات بأسماء خاصة ووضعوا قوانين لها قيدوا بها أهل الخط ، لكن بعض الخطاطين لم يتقيدوا بها بل استعملوها للزخرفة ، علما أن هذه الحركات والعلامات لا تكون الا في خط الثلث وخط النسخ وخط الإجازة دون الأقلام الأخرى .

والجدير بالذكر ان المصاحف ما زالت تستعمل فيها الى الآن العلامات والحركات لضبط الكلمات والحروف والآيات القرآنية من اجل النطق بها بصورة صحيحة والابتعاد عن الخطأ أو اللحن أو التصحيف عند قراءة عند قراءة القرآن الكريم وترتيله . وأهمها :

١ـ الدائرة الصغيرة (○) : اذا وضعت فوق حرف علّة فإنَّ ذلك يدل على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف . مثل ـ أولئك ، يتلواْ .

٢ـ الصفر المستطيل القائم (٠) : اذا وضع فوق الف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلا لا وقفا ، مثل ـ أنا خير منه ، لكنّا هو الله ربي ، واهملت الألف التي بعدها ساكن ، مثل ـ أنا النذير .

٣ـ رأس حرف خاء صغيرة بدون نقطة : اذا وضعت فوق اي حرف يدل على السكون وانه مظهر يقرعه اللسان مثل ـ قد سمع ، منْ خيْر ، وخضتْم .

٤ـ تعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدل على ادغام الأول في الثاني ادغاما كاملا ، مثل ـ يلهث ذلك ، وقالت طائفة . واذا لم يشدد الحرف التالي فيكون ادغاما ناقصا أو اخفائه عنده فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ولا هو مدغم حتى يقلب من جنس تاليه ، مثل ـ من تحتها ، ان ربهم بهم .

٥ـ حرف الميم الصغيرة (م) : اذا وضعت بدل الحركة الثانية من الحرف المنوّن او فوق النون الساكنة بدل السكون مع عدم تشديد الباء التالية تدل على قلب التنوين او النون ميما . مثل ـ عليمٌ بذات الصدور ،

خبير بصير ، مثبتا . وإذا كانت الميم (م) صغيرة فوق آخر الكلمة يفيد الوقف اللازم .

٦ ـ وضع حركتين متتاليتين (شرطتين) أو (واو مع أخرى مقلوبة) يدل على اظهار التنوين (ـً / وٌ ، / ـٍ) مثل ـ ولا شرابا إلا ، سميع عليم" ، لطيف بعباده ، ولكل قوم هاد .

٧ ـ وجود حركتين متتاليتين (شرطتين متتاليتين أو حرفي واو) مع تشديد التالي يدل على الادغام كامل . مثل ـ خشب" مسندة" ، غفورا رحيما . وتتابع الحركتين مع عدم التشديد يدل على الادغام ناقص (وو / ـً / ـٍ) مثل ـ رحيم" ودود" ، أو الأخفاء مثل ـ شهاب" ثاقب" ، سراعا ذلك ، بأيدي سفرة كرام .

٨ ـ الحروف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها ، وكان علماء الضبط يجعلون هذه الحروف بلون احمر بقدر حروف الكتابة ولعدم استعمال اللون الأحمر جعلت صغيرة . مثل . ذلك الكتب ، وكذلك نجي المؤمنين . وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لا على البدل . مثل ـ الصلوة ، وفي كلمة بصطة فإن وضعت السين الصغيرة تحت الحرف دلّ على النطق بالحرف الموجود هو الأشهر . مثل . المصيطرون .

٩ ـ وضع علامة الألف المنبطحة (~) فوق الحرف يدل على لزوم مده مدا زائدا على المدّ الأصلي الطبيعي مثل ـ آلمّ ، الطامّة ، قروء .

ولا تستعمل هذه العلامة على حرف الألف المحذوفة بعد ألف مكتوبة ، مثل . (امنوا) ، وانما تكتب هكذا (ءامنوا) .

١٠ ـ وضع نقطة مدورة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية يدل على تسهيلها بين بين ، اي بين الهمزة والألف . مثل . ءاعجمي وعربي .

١١ ـ وضع رأس حرف السين فوق الحرف المضعف (ّ) يفيد تشديده ويسمى ايضا الشدة .

١٢ ـ وضع رأس حرف صاد (ٱ) فوق الألف في بداية الكلمة يفيد الوصل وعدم النطق بالهمزة وتعرف همزة الوصل .

١٣ ـ بالنسبة الى بعض العلامات كالفتحة وتكون بشكل خط أفقي (شرطة) وعلامة الضمة تكون حرف واو صغيرة ، والجز أو الكسر تكون شرطة صغيرة أسفل الحرف ، وعلامة الوصل وهي رأس حرف صاد فوق الألف فهي علامات أصبحت متعارفة و استمر استعمالها حتى الوقت الحاضر .

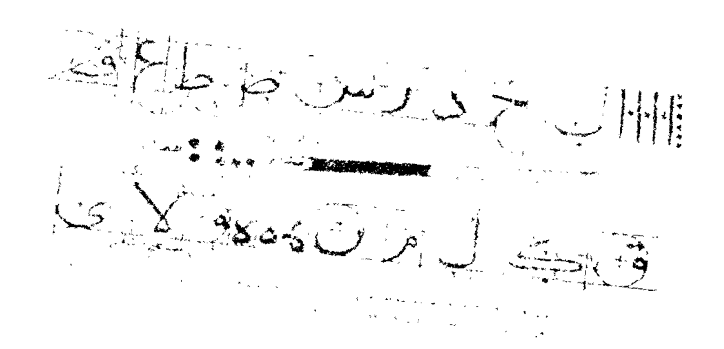
١٤ ـ هناك علامات مستحدثة في المصاحف مثل : حرف ميم بدون عراقة (مـ) تدل على الوقف اللازم ، وحرف (لا) هي علامة الوقف الممنوع ، وحرف (ج) هي علامة الوقف الجائز ، وحروف تكتب هكذا ۖ علامة وقف مع الوصل أولى ، وحروف تكتب هكذا ۗ علامة الوقف الجائز مع الوقف أولى . ووضع علامة معين (◊) تفيد امالة الحرف . مثل . بسم الله مجريها ، ووضع هذه العلامة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة تفيد الأشمام (ضم الشفتين) مثل . مالك لا تأمنا . ووجود حرف (س) فوق الحرف الأخير يدل على

سكتة خفيفة . ووجود حرف ميم (م) فوق بعض الحروف يفيد الاقلاب ، ووجود حرف صغير فوق الحرف المكتوب يفيد النطق بالحرف الصغير ، مثل ـ يبصط ، بصطة ، الصلوة ، الزكوة . واذا كان الحرف الصغير تحت الحرف المكتوب يدل على ان النطق بالحرف المكتوب هو الأشهر . ووجود حرف صغير فوق الحرف المكتوب يفيد النطق بالحرفين معاً . مثل ـ نجي ، يلوۥن السنتهم ، إنّ وليّ الله ، إۦلفهم رحلة الشتاء .

١٥ ـ أضيفت الى طبعات المصحف المتأخرة علامات تميز بداية الأجزاء وأنصافها والأحزاب (الوقفات) . وعلامة توضح السجدة مع استعمال خط افقي فوق آية السجدة ، فضلاً عن ارقام الأيات في كل سورة .

لا يخفى مقدار العناية بالكتابة والخط العربي منذ بداية الإسلام ، فدوّن بالخط العربي القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية وكتبت به السنة النبوية والأحاديث الشريفة والشريعة الأسلامية والمعارف والتراث الإسلامي بصورة عامة ، ونشأت الدراسات اللغوية عند العرب وظهرت علوم القراءات والنحو والصرف والبلاغة والأدب والمعاجم اللغوية ووضعت ضوابط الحروف والكلمات ، والخط العربي بدأ بسيطا ثم تطور بفضل جهود علماء اللغة والخطاطين النابغين ومواهبهم وابداعهم وذوقهم الرفيع ، لذلك كان الخط العربي اعمق الفنون الإسلامية أصالة وأرقاها وامتاز بالقيم الفنية والجمالية . ولم ينل الخط عند الأمم الأخرى مثل ما ناله عند المسلمين من الرعاية والاهتمام والتفنن والتنوع والأزدهار ، وأخذ الخط العربي يتطور عبر القرون المتعاقبة لاسيما في العصر العباسي وفي بغداد بالذات ، فبذلت جهود متواصلة من أجل هندسة الحروف و وضع مقومات فنية للخط تبعث فيه الحيوية والديمومة والتجدد والأناقة والبهجة ، واصبح يبعث على الأعجاب والتأمل في حروفه وكلماته حتى الوقت الحاضر ، وقد ظهر في بغداد العديد من الخطاطين لكن ابرزهم ثلاثة وضعوا الأسس الفنيّة للخط العربي وقواعد رسم حروفه وهم محمد بن مقلة وابن البوّاب وياقوت المستعصمي ، وكان كل واحد منهم مكملا للآخر وأصبح ما وضعوه من هندسة الحروف العربية وأشكالها هو المتّبع حتى الوقت الحاضر ، وسار على نهجهم الخطاطون في العالم الاسلامي . واللغة العربية التي اختارها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه الكريم ولسان الوحي الأمين تستحق ان يفخر بها العرب ؛ لأنها مرادفة

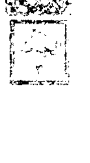
للإسلام وبعد معرفتنا من ذلك ، مما يتطلب المحافظة على اللغة العربية وقواعدها والخط العربي وقيمه الفنية ، وأن نحمي الحروف العربية الجميلة مما قد يطرأ عليها من تطور غريب وأشكال غريبة لا تليق بالخط العربي ومن إضافات تشوه الحروف العربية وتسيء إليها ، بل أصبح من الواجب الاهتمام باللغة العربية وقواعدها والخط العربي وآدابه وأصوله وقيمه الفنية ونشر ذلك في المدارس والجامعات وحث الطلبة على الاهتمام بذلك .





بسم الله الرحمن الرحيم

بأسره على يد العبد
المستغفر من ذنبه
المفتقر إلى رحمة ربه
ياقوت المستعصمي
في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة والحمد لله
وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلامه



وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ملامح من العادات القديمة للعرب وتقاليدهم

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين عبد الرزاق حسين

[illegible] كلية التربية - الجامعة المستنصرية

الملخص :

لكل أمة من الأمم القديمة إرثها الحضاري المميز عن غيرها من الأمم الأخرى ، فهو الذي يحدد شخصيتها ويرسم ملامح إبداعها ويبين درجة تحضرها . ومن ذلك نجد أن العرب قد احتفظوا بالكثير من العادات والتقاليد الحضارية القديمة التي ورثوها عن أسلافهم منذ عصر نبي الله إسماعيل بن إبراهيم (ع) فترسخت عندهم عبر الزمن من جيل إلى آخر . ولما ظهر الإسلام أقر قسما منها وسمح باستمرارها ، بل جعل بعضا منها سنة من سننه ؛ لكونها من العادات الإنسانية الخلاقة ، كإكرام الضيف ، والجود بالنفس وحماية المستجير ورعاية الجار ، والتمسك بالأخلاق الكريمة ، واستخدام السواك ، وقص الشارب ، [illegible] ، وحلق الشعر ، والاستنجاء ، والاغتسال من الجنابة والحيض ، وتحريم الزواج من الأقارب [الأصول] ، وطلاق المرأة بثلاث طلقات حتى تنفصل عن زوجها ، وتباركوا بيوم الجمعة وميزوه من سائر الأيام ، وأظهروا الهيبة والإجلال لبيت الله الحرام ورفدوه بالهدايا والنذور وداوموا على إعماره والعناية بالحفاظ على أنواع الأكسية ، والتزموا بحرمة الأشهر الحرم ، وترقبوا ظهور الأهلة لإقامة شعائر الحج والعمرة ، وقدسوا الحجر الأسود وتباركوا [illegible]

ماء زمزم . وطافوا حول الكعبة سبع مرات في الحج ، ونحروا الأضاحي . وأقاموا الرفادة والسقاية وعمارة البيت ، وصانوا حرمة الميت ، فغسّلوه بالطيوب وكفّنوه وشيّعوه ، وصلّوا وترحموا عليه ، وحفروا له قبرا ولحدا . على وفق مراسيم شبيهة بما جاء به الدين الإسلامي .

المقدمة :

عُرف عند العرب قبل الأسلام جُملة من العادات والتقاليد الأصيلة النابعة من إرثهم الحضاري العتيد والمصقولة في بيئتهم الصحراوية القاسية . ولم تَنأ حضارة العرب عن نفسها وانعزلت ، بل تأثّرت بأفكار الأُمم المعاصرة لها وعاداتها . ولاسيما أنّ بلادهم كانت ممرا آمنا لعبور القوافل التجارية ، التي جلبت مع بضاعتها ، عادات المجتمعات المجاورة وثقافاتها .

يُعدُّ موضوع العادات والتقاليد العربية قبل الاسلام من الموضوعات المهمة في التاريخ العربي والعالمي ؛ لكونها تُسلط الضوء على حياة العرب القديمة بمحاسنها وتفاصيلها ، وبتطرّفها وسذاجتها ، وبنظامها وعفويتها ، التي أُثير الجدل عنها في عدد من المصنّفات العربية والأجنبية ، التي أعطت صورةً مشوّهة عن حياة العرب قبل الإسلام . نتيجة لتعميمها بعض المثالب التي اتصفت بها عدد من القبائل العربية – كالوأد والسبي والسفاح – لتصف بها عموم المجتمع العربي ، على أن هذه المثالب لم تكن غريبة عن حياة المجتمعات المتحضّرة في بلاد الرومان وفارس والهند .

ستعرف في بحثنا هذا ، على أهم العادات والتقاليد العربية ولاسيما تلك التي أقرها الدين الإسلامي وسمح ببقائها ، كما سنحاول الكشف عن أصول ومنابع عدد من العقائد والأعراف العربية القديمة .

أولا : عادات العرب وتقاليدهم في الحياة العامة

للعرب عادات وتقاليد كثيرة شملت جميع مفاصل شؤون الحياة ، منها ما انفردوا بها عن سائر شعوب العالم الأخرى ، ومنها ما اشتركوا فيها مع غيرهم ، ومن بين تلك العادات نجد أنّ العرب كرهوا الأكل والشرب في الطرقات والأسواق وقوفا . وحرصوا على غسل أيديهم قبل تناول الطعام وبعده ، متجنبين النفخ في الطعام الساخن ؛ لأن ذلك يُعد مخالف لآداب المائدة [1] . متفضّلين استخدام يدهم اليمنى في الأكل والشرب ، أما طريقة شربهم للماء ، فكانوا يرتوون بثلاث شربات متقطعة لكي يتسنى لهم التنفس والارتواء بالتناوب[2] متجنّبين البصق او الانتعال أو التدافع في البيت الحرام ، وذلك للمهابة التي احتلتها الكعبة عندهم[3] واعتادوا على أداء التحية

---

[1] الآلوسي ، محمد شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرحه يوسف ابراهيم سلوم ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٩م) ، ج١ ، ص٣٤٧.

[2] النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : حسن نور الدين (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) ج٣ ، ص٣٠٩-٣١٠

[3] المكي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م) ، ج١ ، ص٦٦.

بمصافحة الأيدي ، بدلا ممن هو على حبة سن القدم[4]

أما فيما يخص تراتيب الزعامة والخطابة ، فالعرب كانت تذم الخطباء الذين يكثرون لمس ذقونهم أو شواربهم او لحاهم أو من يتمتم بكلامه[5]؛ لأن ذلك يعد خرقا لأصول الوجاهة والخطابة ، ومن عاداتهم الأخرى في الهندام حمل العصا بصورة شبه دائمة[6] فهي من مكملات لباسهم وزينتهم ، وقد تشكل العصا سلاحا متواضعا لدرء مخاطر الطريق وتصلح متكئا للمريض وعونا للعجوز ؛ لذا اعتز بها العرب وحملوها معهم وأدخلوها في أشعارهم وأدبياتهم ، حالها حال العمامة التي قال فيها أبو الأسود الدؤلي[7] ((جُنّة في الحرب ، ومكنّة في الحرّ والقرّ ، وزيادة في

---

[4] الآلوسي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٥١.

[5] الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين (دار الفكر للجميع ، القاهرة ، ١٩٦٨م) ، ج١ ، ص١٦٥.

[6] الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ) مجمع الأمثال . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٥) ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، (مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٩٣) ج٥ ، ص٤٩٩.

[7] هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني . لغوي معروف ، وراوٍ للحديث ، وحافظ للقرآن الكريم ، ابتكر طريقة التنقيط للمحافظة على النصوص القرآنية من اللحن والتحريف ، شهد معركة الجمل وصفين مع جيش علي بن أبي طالب (ع) ثم مات بالبصرة في مرض الطاعون (للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة) ، حسن محمد نصار وآخرون ، ط٢(المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠١٠) مج١ ص٣٣ .

القمة ، وهي بعد عادة من عادات العرب))[8] وبذلك غدت العمامة من متممات هندام الرجولة والوقار ، وغدت مظهرا من مظاهر الهيبة والاحترام عند قدماء العرب وفي الاسلام .

ومن عادات العرب الاخرى التي عُرفت قبل الإسلام ، التختّم بالأحجار الكريمة كالعقيق والفيروز والزبرجد ، اذ زيّنوا خواتيمهم للتبارك بها . كما رصّعوا بعض خوذهم وعمائمهم بأعلاها ثمنا وأجملها منظرا . ولاسيما أنها كانت محل تقديس واعتزاز كبيرين[9].

واتصف العرب بالمبالغة في الترحيب بالضيف وإكرامه وضيافته ، وإن كان غريبا ، بأحسن ما يكون ، حتى إن العرب سمّت موائد خاصة للضيافة عرفت عندهم بـ (القِرى) أي طعام الضيف ، وهي عادة ما تكون ثلاثة أيام على غرار ما عُرف في الأسلام[10] ، يقوم صاحب الدار بخدمة ضيوفه بنفسه ، تواضعا واحتراما لهم ، ويعطرهم بأزكى أنواع العطور[11] ، وعُرف عن العرب ايقادهم للنيران في أعلى الربايا والتلال ليراها عابر السبيل ليلا فيلتجئ اليها ؛ ليضيّفوه ويكرموه ويرشدوه الى مقصده[12]. أمّا الجار فالعرب

---

[8] ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت) ج٣ ، ص٣٠٠.

[9] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٠٢ ؛ السباعي ، أحمد ، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (الأمانة العامة ، الرياض ، ١٩٩٩) ص٢٤ .

[10] الآلوسي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٨١.

[11] الميداني ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٩٩.

[12] ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد الاندلسي (ت[illegible]) نشوة ◄

قبل الإسلام احترموه ووقروه وساعدوه في السلم والحرب ، ومن عاداتهم الأخرى الإيفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق وإن كلفهم ذلك حياتهم أو مالهم وعادوا من ينكثها[13] ، كما اعتادوا على كتابة (بسمك اللّهم) في بداية مكاتباتهم ورسائلهم[14] وهي سُنَة قد تكون مستمدة من شريعة نبي الله ابراهيم (ع) ولاسيما وأن نبي الله سليمان (ع) قد دونها في كُتبه ورسائله بدليل الآية الكريمة { إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ }[15] .

ورجّح الكرملي[16] ان العرب كانت تكتب بسم الله الرحمن الرحيم كاملة وليس (بسمك اللهم) فقط ، إلا أنّ المصادر التاريخية بينت أنّ المكتوب على صحيفة المقاطعة التي علقت على جدار الكعبة هو (بسمك اللّهم) بعد ان أكلت دودة الأرضة مضمون بنود المقاطعة[17] ، ويبدو ان التغيير قد طرأ على صيغة البسملة بفعل تقادم السنين وطول الزمن .

الطيب ، في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق : بصرت عبد الرحمن (مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨١م) ج١ ، ص٨٠ ؛ الآلوسي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١ .

(١٣) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ) المحبر ، تحقيق ، إيلزه ليختن شتيتر (دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د. ت) ص٣٢٩ .

(١٤) اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي (ت ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : خليل المنصور (مطبعة مهر ، طهران ، ١٤٢٥هـ) ج٢ ، ص٢١

(١٥) سورة النمل ، آية ٣٠ .

(١٦) الأب انستاس ماري ، أديان العرب وخرافاتهم ، تحقيق : وليد محمود خالص ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥) ص٣٩ .

(١٧) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت ٢٧٦هـ) فضل العرب والتنبيه ◄

وعُرِفَ عند العرب سلوكيات قديمة ذات معزى حضاري ، إذ أرشدت المصادر التاريخية أن العرب كانت تفعل عشرة أشياء هي : ((المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، والفرق ، وقص الشارب ، والختان ، وحلق العانة ، ونتف الأبط ، وتقليم الأظفار ، والاستنجاء))[١٨] وهذه من العادات التي من شأنها الحفاظ على نظافة العربي ورعاية صحته وحسن منظره ؛ لذلك نجد أن الإسلام قد أقرها ، وحثّ المسلمين على الاتيان بها ؛ لأنها توافق الشرع السماوي ، وتصون قيمة الانسان .

كما أعتاد العرب القدماء ، الاغتسال من الجنابة ولاسيما في أوقات العبادة وامتنعوا عن الدخول الى الحَرَم وهم جُنُب حتى يتطهروا [١٩]، وكرهوا أكل لحوم الخنازير والقرود والميتة ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي حارثة ابن أوس الكلبي :

على علومهم ، تحقيق : وليد محمود خالص ، ط١(منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٩٩٨م) ص٨٨ ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢١.

(١٨) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص٣٢٩ ، القلقشندي ، أبو العباس احمد (ت ٨٢١هـ) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢ (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠م) ج٢ ، ص٤٥٢ ؛ الدهلوي ، أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم(ت ١١٧٦هـ) حجة الله البالغة ، تحقيق : سيد سابق ، (دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٥م) ج١ ، ص٣٠٨ .

(١٩) ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ) كتاب الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي (الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٤م) ص٣٢ ؛ القلقشندي ، م . س ، ج٢ ، ص٤٥٢ ؛ الحارم ، محمد نعمان ، أديان العرب في الجاهلية ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٢٣م) ص٧٠

لأكل المنية [illegible] ضرب [illegible] نفسي [illegible] أبرح [illegible]

ومنهم من حرم [illegible] الخمر ولاسيما من زعماء القوم وكبارهم كقصي بن كلاب[2] الذي أوصى أبناءه باجتناب الخمر قائلاً: ((اجتنبوا الخمر فإنها تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان))[3]. [illegible] فعل عبدالله بن جدعان[4] وعبد المطلب بن هاشم[5]

---

(1) ابن حبيب، مصدر سابق، ص329؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، [illegible]م)، ص132.

(2) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره ورئيسهم، وهو الجد الرابع للرسول الأعظم محمد (ص) له الفضل في توحيد قريش [illegible] مكة وتنظيمه شؤون الحج والعمرة وتشجيعه الناس على السكن حول الكعبة [illegible] أسس دار الندوة وغيرها من الأعمال التي أرست قواعد الحكم والنظام في مكة. للمزيد ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، ط5 (دار العلم للملايين، بيروت، [illegible]) ج[illegible]، ص198.

(3) الميداني، أبو الفضل [illegible] (ت 518هـ) [illegible]، تحقيق [illegible] (مكتبة الإيمان، القاهرة، 2006م) ج1، ص[illegible]؛ [illegible]، مصدر سابق، ص[illegible].

(4) هو عبدالله بن جدعان [illegible] القرشي، أحد زعماء العرب المشهورين [illegible] والكرم، [illegible] والتجارة [illegible] مع الغنى، أدرك النبي محمداً (ص) في حياته [illegible] النبوة. (للمزيد ينظر: الزركلي، مصدر سابق، ج4، ص76).

(5) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يكنى أبا الحارث [illegible] الرسول محمد (ص) [illegible] عاقلاً [illegible] ←

ونتيجتها [illegible] من العرب [illegible]
ابن صهيب التميمي .

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة ... فأخذت منه خطة المقتال
وعلمت أن الله جاعل عنده ... يوم الحساب بأحسن الأعمال[27]

فقطعوا يد السارق[28] واستدلوا بمسخ ووقوع غضب الله على كل من ينتهك حرمة بيت الحرام[29] كما في مسخ أساف ونائلة وهلاك أصحاب الفيل[30] ومن شدة هيبتهم للكعبة المعظمة ، أنهم امتنعوا عن بناء بيوتهم على نمطها وشكلها ، وتجنبوا إطالة بنائهم خوفاً من أن تعلو مبانيهم بيت الله الحرام[31].

تصبح النمل ذات الحجة [illegible] الذهبية والرقة [illegible] بسنة لوجود [illegible] من الشيب في مقدمة شعر رأسه [illegible] . ينظر : الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك ، (الأميرة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠م) ج١ ، ص٣٣٤-٣٦ .

[27] ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص [illegible] .

[28] الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص [illegible]

[29] ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص [illegible] ؛ الواقدي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤٥٦

[30] وهذا ما حدث لإساف ونائلة [illegible] مكة حجاجاً فقعدوا [illegible] للبيت الحرام ، فمسخهم الله [illegible] الكعبة ليكونا عبرة لمن أراد هتك حرمة [illegible] الحرام [illegible] ص٩ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٢١) .

[31] الطبري ، مصدر سابق ، ج١ ، [illegible] .

[illegible] ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٠٢ .

وقلّد العرب أسلافهم بتقليب كف أيديهم إذا ما أصابتهم مصيبة في موت أو في مرض أو فقدان أموال ، وهذا تعبير عن حالة الحسرة والندم التي لافقل للعربي على تداركها بدليل الآية الكريمة { **وأحيط بثمره فأصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يليتني لم أشرك بربّي أحدا** }[٣١]

وتفاءلت العرب عند سكب الماء وراء المسافر أو الضيف للذهاب والعودة سالما آمنا من أهوال الطريق ، حالها حال رمي الصبي لسنّه نحو قرص الشمس متفائلا بمنحه سنّا قويا بديلا عن السابق[٣٢] ، في حين تشاءمت العرب من الثور الأعضب – أي مكسور القرن– ، ومن الأبتر – أي مقطوع الذنب – ، ومن البومة والغراب[٣٣] ، وهذه من المعتقدات الخرافية القديمة التي أملتها البيئة الصحراوية ورسّخها الكهان للانتفاع من التحكّم في عقول الناس عبر تفسيرهم لأمور الغيب على وفق ما تمليه مصالحهم .

أمّا أهم أيام العرب في الجاهلية ، فهو يوم الجُمعة الذي عُرف قديما بيوم العروبة لاجتماع العرب فيه لحلّ مشكلاتهم وعقد أحلافهم ، كذلك هو يوم استراحتهم ، وغالبا ما استحبّوا الزواج في ليلة أو يوم الجمعة[٣٤]

---

(٣١) سورة الكهف ، آية ٤٢ .

(٣٢) ابن سعيد ، مصدر سابق ، ص٧٨٧ ؛ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١١٢ .

(٣٣) ابن قتيبة ، فضل العرب ، ج٢ ، ص١٤١–١٤٢ ؛ سالم ، سيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية (مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، د.ت) ص١٠ .

(٣٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج٣ ، ص٧١ ؛ المسعودي ، أبي الحسن علي ←

تقدمها ونذرتها [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأحد [illegible] .

ولاتقاء الحسد ، اعتاد العرب على تعليق كعب رجل أنثى الأرنب على صدورهم ، بينما علّقوا على صدور أطفالهم سن الذئب أو سن الهرة ، معتقدين من وراء ذلك أنه تحصنهم من شر السحر وعيون الحساد [٣٦] .

ثانيا : عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المفرحة

كان للعرب قبل الإسلام عدة مناسبات مفرحة ، تختلف نسبة البهجة والسرور فيها تبعاً لحالتها ، فحفلات الزواج أكثرها سرورا وبهجة ، وكسب المال من عمل أو تجارة فرح وسرور ، والنصر في حرب أو غزوة علواً وفخرا وهيبة .

ومن أهم المناسبات المفرحة ما يأتي :

١.الزواج

اعتاد العرب عند شروعهم في الزواج على الارتباط بالنساء الحرائر المعروفات بالحسب والنسب والجمال والعقل [٣٧] ، وفيها يتقدم الزوج مع ذويه

بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (دار [illegible] ، بيروت ، ٢٠٠٢) ج٢ ، ص١٦٣.

[٣٥] الدهلوي ، مصدر سابق ، ج[illegible] ، ص[illegible] .

[٣٦] الآبي ، أبو سعد منصور بن الحسين (ت [illegible]هـ) نثر الدر ، تحقيق : [illegible] الحجي ، (مطبعة وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩٢م) السفر الرابع ، ص١٩٩ ، ٢٠٠ .

[٣٧] علي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص[illegible] .

[illegible] عن [illegible] (الزوجة) لمقابلتهم بموضوع الزواج ، [illegible] أبو طالب عم الرسول [illegible] السيدة خديجة بنت خويلد (رض) للزواج من سيدنا محمد (ص)[1] ، وما ان تتم الموافقة ، تُحدَّد قيمة المهر ويُبرم العقد الذي قد يكون مكتوبا أو شفويا تبعا لمنزلة المتقدمين على الزواج ، [illegible] وفق العرف الاجتماعي السائد[2].

فضّل العرب الزواج من الأقارب أو من القبيلة نفسها ، إلا أن هذا لم يمنع أن يفضّل القسم الآخر منهم الزواج من الغرباء ولاسيما أنهم وجدوه أنجب للنسل وأصلح للبدن وذكاء للفطنة[3].

أحيا العرب ليالي الزفاف عندها بالولائم والتصفيق والرقص ، فنحروا الذبائح وأوقدوا النيران وصمدوا العروسين بالروائح العطرة ، كما اعتادوا على تبخيرهم بالبخور لدفع الأذى والحسد عنهم[4] واشترطوا على عفة البنت المقبلة على الزواج ان تكون بكرا عذراء ، ولم يكن هذا الشرط ملزما على

---

(1) القلقشندي ، مصدر سابق ، [illegible] ، ص٤١ ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، [illegible] ، ص١٤٤ .

(2) [illegible] ، مصدر سابق ، ص ١٥١ ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، ص[illegible]

(3) [illegible] ، أحمد محمد ، المرأة العربية من [illegible] ، ط٢ (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، ١٩٥٦) ص[illegible] ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ الجاهلية (دار العلم للملايين ، بيروت ، [illegible]) ص[illegible]

(4) [illegible] محمد بن [illegible] الإدريسي ، تحفة [illegible] ، تحقيق : [illegible] ، ط٢ (دار الأرقم ، بيروت ، د.ت) ج١ ، ص١٣٣ ؛ [illegible] (المجلس الوطني ، [illegible]) ، ص٦٣ .

الجواري والإماء[42] ، وامتنع العربي عن إتيان زوجته في أثناء الحيض ، ولا يباشرها الا بعد خلاصها منه وغسلها لضرورة طهارتها في أثناء الجماع[43].

ومن التقاليد التي تمسكت بها المرأة الحُرّة ، ستر وجهها بالخمار[44] على ان هذا الخمار لم يكن ملزما لها ، قاصدة من وراء ذلك إخفاء جمال وجهها عن أعين الناظرين والمتجاوزين من الغرباء عليها كما حرصت على إخفاء ملامح جسدها ، ولاسيما أنّ العرب من الأمم المُتشدّدة على نسائها تخاف العار وتصون الشرف ، وهذا ما حمل المتطرفين منهم على وأد بناتهم للخلاص منهُنّ قبل بلوغهنّ[45].

٣. الولادة :

احتفل العرب قبل الإسلام بالولادات الحاصلة عندهم وعند أبنائهم وأحفادهم ، فنحروا الذبائح وأقاموا الولائم احتفاءً بقدوم مولود جديد يزيدهم عددا وقوة[46] ، على أن العرب حالهم حال الأمم الأخرى ، فضّلوا البنين

---

[42] الميداني ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٦٩ ، ١٠١ ؛ السباعي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٩٤ .

[43] القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٢٥٤ ؛ الجارم ، مصدر سابق ، ص١١٠ ؛ العلي ، مصدر سابق ، ص١٦٦.

[44] ابن قتيبة ، فضل العرب ، ج١ ، ص٤٤ ؛ السباعي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٩٤ ؛ الزيات ، حبيب ، المرأة في الجاهلية ، (مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٢م) ص١١-١٨ .

[45] القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٢١ ؛ الحوفي ، مصدر سابق ، ص١٦٤ .

[46] محمود ، محمود عرفة ، العرب قبل الإسلام ، ط١ ، (عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٥) ص٢٧٨ .

على البنات لأنهن لا ينفعن اقتصادياً ، إذ يشبههم القرآن بمثل تشبيه لهذه روحياتهم للبنات ، بقوله الآية الكريمة ((وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهُهُ مُسودًّا وهو كظيم))[7] .

كان العرب يقيمون مراسم خاصة عند الولادة ، منها نحر الذبائح التي عُرفت بالعقيقة ، في اليوم السابع من الولادة والقصد من وراء تلك العقيقة ، دفع الأذى والشر عن المولود الجديد[8] كما يصار إلى حلق شعر رأس المولود والتصدّق بمقداره ذهبًا أو فضة كتقليد سار عليه العرب وأقرّه الدين الإسلامي ، ومن ذلك ما أشار إليه الرسول محمد (ص) قائلاً ((مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى))[9] .

واعتاد العرب على تسمية أبنائهم بأسماء من الأسماء المعروفة عندهم التي تحمل دائماً معاني تدل على القوة من مثل : سيف وأسد وليث وسعد ، بينما أطلقوا أسماء جميلة على عبيدهم كأنس وجميل وورد وقمر ، ويأتي هذا التباين لاعتقادهم أن أسماء أبنائهم تمنحهم الهيبة من لدن أعدائهم وأصدقائهم ، بينما سموا عبيدهم وخدمهم بأسماء جميلة ليستأنسوا هم بها[10] .

---

(7) سورة النحل ، آية ٥٨ .

(8) الدهلوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٢٣ - ٢٢٠ ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، ص٢٦٨ .

(9) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري (دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٢م) ، كتاب العقيقة ، ص١٣٩٣ .

(10) الحوفي ، مصدر سابق ، ص[illegible] .

٣- الختان

يعد ختان الذكور من العادات العربية القديمة [٥١] التي ورثوها عن نبي الله ابراهيم (ع) الذي كان يحضر ابناءه وأحفاده وأولاد قرينته ويُوصي بختان من تصل اليه تعاليمه ، إذ ذُكر في العهد القديم ما نصّه ((في نفس ذلك اليوم ، أخذ أبراهيم ابنه أسماعيل وكل المولودين في بيته وكلّ من أشتراهم بماله كل ذكر في داره ، وختنهم كما امره الله))[٥٢] ، ومن ذلك أخذت العرب هذه العادة وتمسّكت بها ، واختصت قريش بختان ذكورها في دار الندوة[٥٣] خلال أيام معلومة وعلى يدي كاهن له دراية بقطع حشفة الذكر (الغرلة)[٥٤] ويقيمون على أثر ذلك وليمة خاصة بالختان عرفت عندهم وليمة الأعذار للاحتفاء والمباركة بقدوم المولود الجديد[٥٥] .

أمّا ختان الأناث الذي عُرف بالخفض[٥٦] فهو امرٌ لم يكن مألوفاً عند

---

(٥١) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص ١٣
(٥٢) التوراة ، سفر التكوين ، أصحاح ١٧ : ٢٣-٢٤ .
(٥٣) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص [illegible] ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ الساعي ، مصدر سابق ، ص٤٤ .
(٥٤) هي قطعة الجلد التي تغطي حشفة الذكر . (ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) لسان العرب ، تحقيق : عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (دار المعارف ، مصر ، د.ت) مج١ ، ص[illegible]) .
(٥٥) الدهلوي ، مصدر سابق ، ج[illegible] ، ص[illegible] ؛ الالوسي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٥٣ .
(٥٦) الختن للرجال والخفض للنساء . ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، مج١ ، ص[illegible] .

العرب القدماء لدى [illegible] الأمر الأخرى ، وهي عادة [illegible] على المجتمع العربي قدمت من بلاد الحبشة ، وتفاعلت في المجتمعين المصري والحبشي بحكم التقارب الحضاري والجغرافي . وعلى العموم تعد الخفض عادة غير مرغوب فيها في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده ، لذلك انحسر [illegible] في نطاق ضيق ومحدود وليس له أثر يذكر قياساً بختان الذكور[57]

ثالثاً : عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المحزنة

تباينت المآسي والأحزان عند العرب قديماً ، واختلفت بحدتها ومقدار شدتها ، ما بين المرض أو العوز المادي أو الحروب ، إلا أن أشدّها وطأة هو فقدان الزوجة لزوجها ، وفقدان الأب أو الأم لابنهم .

اعتادت المرأة العربية المفجوعة بزوجها على الصياح والنياح عند سماع خبر وفاة زوجها أو مقتله ، فتنزع عنها كل مظاهر الحلي والزينة وتترك الطيب[58] وقد تقصُّ كامل شعرها كدليل على حزنها ونكدها ، وتطالب بالثأر والقصاص من قاتليه إن كان مقتولاً ، أو قد تداعي بالدية[59] ، وتشرع بارتداء الملابس السوداء الداكنة الدالة على الهم والحزن ، وتقعد في بيتها

---

[57] مورست هذه العادة في مجتمعات [illegible] أغلبها أجنبية من أفريقيا وآسيا وأوربا وبصورة [illegible] . للمزيد من المعلومات ، ينظر : أبو سحلية ، سامي عوض الذيب ، ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين دراسة وتحقيقة (دار رياض الريس ، بيروت ، [illegible] م) ص ٢٣)

[58] [illegible] ، مصدر سابق ، ج [illegible] ، ص ١٠٧ ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، ص [illegible]

[59] [illegible] ، مصدر سابق ، ص [illegible] ١١٧ ؛ الزبيدي ، مصدر سابق ، ص [illegible]

[illegible] [illegible] تقدمها [illegible] الكائنة عند [illegible] كامل ، [illegible] [illegible] عند المرأة العربية قبل الإسلام[٦٠] .

أما مراسيم تشييع المتوفى ودفنه ، فهي تشبه نسبياً ما عُمل به بعد ذلك في الإسلام ، اذ تبدأ تلك المراسيم بالإعلان عن خبر المتوفى عبر رجال خيّال يعرف بالناعي ، يذيع الخبر وهو يسير عبر الطرقات وما بين البيوت ؛ ليتمكن من له صلة بالمتوفي الحضور لتقديم العزاء لذويه[٦١] .

غسّل العرب أسلافهم في [illegible] غسل موتاهم بالماء وتطييبهم ببعض الطيوب[٦٢] التي عُرفت بالحنوط وهي متكونة من طحين أعواد الكافور مع أوراق نبات السدر (النبق) ، ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي (٥٠ ق.هـ / ٥٧٠م) :

جاؤوا بماء [illegible] بغسلوني   فيالك من غسل [illegible] [٦٣] .

كما كفّنوا موتاهم بأقمشة مخصصة لهذا الغرض لستر جسد المتوفى ، وحفروا قدر المستطاع في الأرض بمراسيم الدفن خوفاً من تلف الجثة ، متمسكين بمبدأ إكرام الميت دفنه ، ويصار الى تشييع جثمان الميت عند وصول الحاضرين من أقربائه [illegible] لإيصاله الى مثواه الأخير في

---

(٦٠) علي ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص[illegible] ؛ فروخ ، مصدر سابق ، ص١٢٨ .

(٦١) القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص[illegible] ؛ الحلبي ، مصدر سابق ، ص[illegible] .

(٦٢) ابن قتيبة ، فضل العرب ، ج١ ، ص٨٩ ؛ الحارم ، مصدر سابق ، ص٨٥-٨٦ ؛ علي ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص١٠١ .

(٦٣) الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤٤٩ .

بالسرير الخاصة بالصحابة أو القبيلة التي عاشت بين نكتب ... عن حوادث حملها[64].

وقد اعتاد العرب على حمل جسد المتوفى في نعش ، عرف عندهم بالسرير[65] ، وهذا النعش كان على شكل أعواد متراصة فيما بينها متماسكة بالحبال ، مُشكّلةً لوحاً خشبياً مسطّحاً ، يوضع عليه المتوفى مستلقياً على ظهره ، وقد يُغطّى بقماش أو يترك بلا غطاء ، فتكون أكفانه وملامح جسده ظاهرة للعيان[66] ، وهذا ما دفع سيدتنا فاطمة (ع) بنت رسول الله محمد (ص) للسؤال عن نعش يغطّي ويستر جسد المتوفّى ، فأشارت اليها أسماء بنت عميس[67] ، بأن المسيحيين في بلاد الحبشة يحملون موتاهم

---

[64] ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص ٤١٩ و ٤٣٠ ؛ البخاري ، مصدر سابق ، كتاب الجنائز ، ص ٣٠٣-٣٠٦ ؛ الآلوسي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٢٣-٣٢١.

[65] تسمى السرير الخاص بحمل الميت (نعشاً) ، وقد خصصت العرب قديماً النعش للمرأة والسرير للرجل . (ينظر : الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) كتاب العين ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي . (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣) ج٤ ، ص ٢٤٦) .

[66] ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص ٣٢ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ص ... ؛ محمود ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢-٣٢٠.

[67] صحابية جليلة القدر من بني خثعم ، أسلمت مبكراً وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب الى بلاد الحبشة ، اطلعت هناك على مراسيم تشييع الجنائز ونعوش المسيحيين ثم ... (...) ... وبعد استشهاد زوجها في معركة مؤتة عام (٨ هـ) تزوجها أبو بكر الصديق (رض) فأنجبت منه محمداً ، ولما توفى أبو بكر الصديق (رض) تزوجها علي بن أبي طالب (ع) فأنجبت منه ولدين هما : يحيى وعون ، ووصفت بأنها مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . ←

بعضهم على شكل صندوق خشبي مستطيل الشكل ، ووضعت بعض منه عند مقابر لمنع فتحة حفرها عن أعين الناظرين[١٨] .

ومن أحكام العرب قبل الإسلام ، الصلاة على جثة المتوفي بالدعاء له مكررين عبارة (عليك رحمة الله) ويذكرون محاسنه ومآثره ويحفرون له قبراً يشقون له لحداً ليستوي الميت داخله ويهال عليه التراب ثم ينحرون له القرابين ويحرقون البخور طلباً للرحمة والمغفرة[١٩] .

وقد تختلف طرائق دفن الموتى نوعاً ما في المجتمعات العربية القديمة ، إلا أنها عموماً لا تخرج عن نطاق المألوف في غسل الميت وتطيبه وتكفينه وتشييعه ودفنه في التراب والدعاء له بالمغفرة ، هذا ما وافق الدين الإسلامي وسمح به[٢٠] على عكس مجتمعات الهند والاغريق القديمة الذين كانوا يحرقون جثث موتاهم ويجعلونها رماداً ، وعلى خلاف معتقدات بلاد فارس القديمة الذين كانوا يتركون جثثهم على قمم الجبال وفي العراء لتأكلها

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) الاشتقاق ، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون ، ط١ (دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١) ص٣٢٣).

(١٨) ابن رستة ، أبو علي احمد بن عمر ، (توفي بداية القرن الثالث الهجري) كتاب الأعلاق النفيسة ، (مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣) ، ص١٩٣

(١٩) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٦٩ ؛ علي ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص١٥٧

(٢٠) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص٣٢٠ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

(٢١) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ علي ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص١٥٩ .

الطيور والحيوانات المتوحشة ؛ لأنهم لم يجوّزوا ملامسة الجثة لتراب الأرض[٧٢].

رابعا: أحكام العرب وشعائرهم الدينية

كان للعرب القدماء شعائر ومناسك دينية ذات أصل توحيدي أرساها نبي الله إبراهيم الخليل (ع) عند إتمامه لبيت الله الحرام في مكة المكرمة ، وعلى الرغم مما أصاب تلك الشعائر والمناسك من تشويه وانحراف بسبب ما دخل عليها من أفكار ومعتقدات وثنية ، إلا أنها ظلت محتفظة بجوهرها السماوي[٧٣] ، ومن أهم تلك الأحكام والشعائر الدينية ما يأتي :

١. تحريم القتال في الأشهر الحُرُم

عُرِفت عند العرب القدماء أربعة أشهر مُقدّسة حُرّمَ فيها القتال في عموم شبه الجزيرة العربية ، وقد اقرّ الإسلام هذه الأشهر وثبّتَ أحكامها بصريح الآية الكريمة { **إن عِدّةَ الشُهُورِ عِندَ اللهِ اثنَا عَشَرَ شَهرا فِي كِتَبِ اللهِ يَومَ خَلَقَ السَمَوتِ والأرضَ مِنهَا أربَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِينُ القَيِّمُ** }[٧٤] وهذه الأشهر منها ما هو منفرد كشهر رجب ومنها متتالية كأشهر ذي القعدة وذي الحجّة والمحرّم ، ويعود سبب تحريم القتال فيها هو لتأمين الناس وصولهم الى بيت الله الحرام بسلامة ويُسُر من دون التعرض لهم ، لأداء مناسك الحج

---

[٧٢] المسعودي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٤٠ ؛ التاجر ، سليمان (توفي اواسط القرن الثالث الهجري) عجائب الدنيا وقياس البلدان ، تحقيق : سيف شاهين المريخي (مركز زايد للتراث والتاريخ ، دبي ، د.ت) ص٥٥ .

[٧٣] ابن الكلبي ، مصدر سابق ، ص٦ ؛ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

[٧٤] سورة التوبة ، آية ٣٦ .

والعمرة[٧٥] وهذا ما شجع تجار قريش ومن حالفهم على إقامة أسواق عامرة خلال تلك الأشهر ، فربحوا أموالا طائلة نتيجة وصول أعداد غفيرة من الزائرين لمكة المكرمة . ويروى ان العربي كان يرى قاتل أبيه أو أخيه في طريق الحج أو في مكة ، فلا يتعرض له بسوء ، بل يكفّ بوجهه عنه ويتركه لحال سبيله ، لحرمة تلك الشهور[٧٦] وإذا ما تعمّد العرب بفعل خرق في تلك الأصول ونشبت حروب بينهم ، أطلقوا على تلك الحروب ، بحروب الفجّار لفجورهم فيها ؛ لكون القتال فيها محرّما ، وهذا ما جعلهم يبتدعون النسيء لتأخير الأشهر الحُرُم لكي ينتهي القتال أو حتى يدركوا ثأرهم قبل حلولها[٧٧].

٢.تحريم الزواج من الأقارب (الأصول)

حرّم العرب القدماء الزواج من الأقارب (الأصول) ، إذ امتنعوا من الاقتران بالأصول وحلّلوا الفروع ، فلم ينكحوا البنات ولا الأمهات ولا الأخوات ولا العمات ولا الخالات[٧٨] وهذا ما امتاز به العرب القدماء من غيرهم من

---

[٧٥] المسعودي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٦٢ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٤٧ .

[٧٦] اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١١ ، البيروني ، ابو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية (دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٨م) ، ص٣٢٨ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤٠ و ١٥٠ .

[٧٧] ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص٣٣٥ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٤٥ ؛ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٥٢ ؛ السباعي ، مصدر سابق ، ص٤٩ .

[٧٨] ابن قتيبة ، فضل العرب ، ج١ ، ص٨٨ ؛ ابن رسته ، مصدر سابق ، ص١٣٢ .

أحد المتخاصمين بعد ذلك بالتفريق ويسمون القبيلين اللذين كانا المتخاصمين المتجاورة[79].

كما كره العرب النكاح من زوجة الأب بعد وفاته ، إذ مارسته بعض الفئات المحدودة من أهل المدر (البدو) إلا أن عموم العرب عابت هذا الزواج وسموا من يخلف أباه على زوجته بالضيزن ، وأطلقوا على المولود الناتج من هذا الزواج بالمقت[80] أي البغيض المكروه ، وعدوا هذا الزواج من عادات الفرس الدخيلة على المجتمع العربي . وبذلك قال الشاعر أوس بن حجر :

والفارسية فيكم غير منكرة   فكلكم لأبيه ضيزن سلف[81]

ولم يحبذ العرب الجمع بين الأختين كزوجتين لرجل واحد[82] لأنهم عدوه مخلاً بالآداب والأخلاق الإنسانية ، وعاقبت العرب الزانية والزاني من المحصنين بالرجم بعد أن تثبت فعلتهم[83] .

---

(79) القلقشندي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤٥٣ ؛ الآلوسي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٤٥ .

(80) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص٣٢٦ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

(81) ابن قتيبة ، فضل العرب ، ص٨٧ ؛ الجبارة ، مصدر سابق ، ص١٢٥ ؛ سليم ، أحمد أمين ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة (دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ١٩٩١م) ، ص٢٥٦ .

(82) الأدرم ، مصدر سابق ، ص١١٨ .

(83) ابن قتيبة ، فضل العرب ، ج١ ، ص٨٩ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ص١٣٣ ؛ الدهلوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢١٠-٢١٥ .

[illegible] حكم طلاق الزوجة عند العرب القدماء ، فهو مشابه لما جاء به الدين الإسلامي ، إذ كانت المرأة تطلق ثلاث طلقات بأزمنة مختلفة حتى تحرّم على زوجها[81] ولا يحق لزوجها إرجاعها كزوجة له إلاّ اذا تزوجت وتطلّقت من رجل آخر ، ويبدو ان تلك الأحكام استمدت من شريعة نبي الله إبراهيم (ع) ولاسيما أنّ ابنه إسماعيل (ع) أول من طلّق زوجه من العرب القدماء[82]

٣.ادارة الحج والعمرة :

تُعدّ إدارة الحج والعمرة من اهم الأعمال والعادات التي استحدثتها قريش نتيجة لتزايد أعداد الحجاج والمعتمرين القاصدين بيت الله الحرام ، ولاسيما أنّ تلك الأعداد تحتاج الى الماء والطعام والمأوى مدة الزيارة فضلاً عن حاجتها الى التنظيم والترتيب لأداء مناسكها ، ويبدو أن قريش أفلحت في مسعاها لتلك الإدارة بأفضل ما يكون ، بحيث لم تُثبت لنا المصادر التاريخية وجود أي إخفاق أو مثلبة صدرت من إدارة قريش ، بل على العكس من ذلك فقد لاقت جموع الزائرين ترحاباً وضيافة تليقان بسمعة قريش ومكانتها بين العرب ، كيف لا وقد عدّوا أنفسهم جيران بيت الله وحماته قال قصي بن كلاب : ((قد حضر الحج ، وقد سمعت العرب ما صنعتم وهم لكم

---

(81) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص [illegible] ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، ج١ ، ص [illegible] ؛ [illegible] ، مصدر سابق ، ج١ ، ص [illegible] .

(82) الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠ هـ) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك بن [illegible] ، (مكتبة الأسدي ، لا.م ، ٢٠٠٣ م) ج١ ، ص[illegible] ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص [illegible] .

معلومين ، ولا أعلم ماءً بمكة عند العرب أعظم من العطاء فليخرج كل منكم من ماله حرجاً)[76] فجعل من هذا الخرج طعاماً من الخبز واللحم واللبن والماء لضيافة الزائرين . كذلك فعل من جاء بعد قصي وصارت ضيافة الزائرين وتنظيم مناسكهم من الأحكام والأعراف الخاصة بقريش وعليها تقع مسؤولية تنظيمها وادارتها[77] .

ومن أهم وظائف إدارة الحج والعمرة قبل الاسلام ، ما يأتي :

أ. **الإجازة** : هي من الأعمال التي أنيطت الى أحد زعماء قريش من المعروفين بالأمانة والدراية في شعائر الحج ومواقيتها ، ومن مهامه أن يأذن للزائرين في المباشرة بإقامة مناسك الحج والعمرة ، ويجيزهم بالإحرام والطواف ويشرف على تعهدهم حتى ختام زيارتهم[78] .

ب. **الرِّفادة** : تعد الرفادة من الأموال التي تخرجها قريش الى صاحب الرفادة ليصنع منها طعاماً وشراباً للحجيج والمعتمرين القادمين الى مكة ، ولاسيما من عسيري الحال ، وقد أعتاد العرب على إقامة تلك الولائم في منى[79]

---

[76] الطبري ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٥٩ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤٦ .

[77] الأزرقي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١١٢-١١٩ .

[78] اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٠٧ .

[79] الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن اسحاق (من علماء القرن الثالث الهجري) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله ، ط٢(دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤م) ج١ ، ص٢٥٣ .

ج. **الحجابة** : تختص بحجابة بيت الله الحرام الذي بيده مفاتيح سدنته، وهو الذي يأذن للزائرين من عليه القوم وأشراف الناس في دخول الكعبة المشرفة، وتقع عليه مهمة تهيئة البيت للوافدين، وكانت هذه الوظيفة قديماً بيد خزاعة ثم آلت إلى قصي بن كلاب ومن بعده إلى عبد الدار، وقد أبقاها الرسول محمد (ص) بعقب أحفاد عبد الدار بعد أن حسن إسلامهم(90).

د. **عمارة البيت** : هي وظيفة مهمتها إدامة بنيان بيت الله الحرام والمحافظة عليه من التصدع نتيجة لتقادم الزمن ونتيجة للمؤثرات الخارجية كالسيول والأمطار والحرائق التي تؤدي إلى الأضرار في أركان الكعبة وجدرانها(91).

هـ. **السقاية** : هي من الوظائف التي تعنى بإرواء ظمأ الحجاج والمعتمرين القادمين إلى بيت الله الحرام، ونظراً لكثرة أعداد الزائرين مقابل شحة مياه الشرب في مكة المكرمة، فقد أولت قريش عناية خاصة بهذه المهمة، وخولت صاحبها حفر آبار تستوعب إرواء الأعداد المتزايدة ولاسيما في موسم الحج، وهذا ما فعله قصي بن كلاب عندما أمر بإقامة حياض من أدم ووضعت بفناء الكعبة تملأ بواسطة قرب تحملها الرواية(92) كذلك عملوا مثل هذه الحياض في منى مع بلاد الزيادة(93).

---

(90) اليعقوبي، مصدر سابق، ج1، ص201؛ السباعي، مصدر سابق، ج1، ص36.

(91) الأزرقي، مصدر سابق، ج1، ص144؛ السباعي، مصدر سابق، ص48.

(92) اليعقوبي، مصدر سابق، ج1، ص[illegible]؛ الخربوطلي، مصدر سابق، ص[illegible].

(93) [illegible]، مصدر سابق، ص[illegible]؛ [illegible]، مصدر سابق، ص[illegible].

٤. شعائر الحج والعمرة

عرف العرب القدماء شعائر الحج والعمرة منذ زمن نبي الله إبراهيم (ع) الذي أرسى مناسكها بعد إتمامه لبناء بيت الله الحرام مع ابنه إسماعيل (ع) حيث دعا العرب القاطنين في مكة وماجاورها للوفود الى الكعبة المكرمة لإقامة شعائر الله، بدليل الآية الكريمة { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }[94]. وبذلك قلد العرب مناسك الحج والعمرة الإبراهيمية ولاسيما من قبيلة جرهم[95]. إلا أنه مع مرور الزمن وتقادم الأيام دب الضعف في قبيلة جرهم، من جهة، وتسلط قبيلة خزاعة[96] اليمنية على مكة، من جهة أخرى، أدت الى ضعف الديانة

---

[94] سورة الحج، آية ٢٧.

[95] قبيلة عربية قديمة من طبقة العرب البائدة، أصولها من بلاد اليمن، من نسل يعرب بن قحطان، هاجرت جرهم من اليمن لأسباب اقتصادية ومناسبة لتستقر في بلاد الحجاز، ولم يلبث أن تزوج نبي الله اسماعيل (ع) بامرأة منهم حتى انتشر نسلهم وتناسلوا سوية في مدينة المكرمة. (ينظر: اليعقوبي، مصدر سابق، ج١، ص١٩١؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) المسالك والممالك (دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣)، ج١، ص٢٩٦).

[96] من قبائل الأزد العربية القديمة، تعود نسبها الى جد اليمنيين يعرب بن قحطان، تركوا أرض اليمن بسبب سيل العرم وأخذوا يتجولون بينه، لم يلبثوا طويلا حتى سيطروا على مكة وأخذوا زعامتها من جرهم بالحيلة والقوة، ومن أبرز زعمائهم عمرو بن لحي الذي مسخ ديانة بيت الحرام عن دين الحنيفية. (ينظر: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت) ص٦١؛ المسعودي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥).

الوحشية نتيجة شيوع العبادة الوثنية التي حدثت بها حركة عمرو بن لحي ، فاختلطت المناسك الأصيلة التوحيدية بمناسك العبادة الوثنية ، وقد بين ذلك ابن الكلبي[47] بقوله ((وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفة ومزدلفة ، واهداء البدن ، والاهلال بالحج والعمرة ، مع ادخالهم فيه ما ليس منه))

ومن جملة ما اعتاد فيه العرب قبل الإسلام في أداء شعائرهم أنهم يرقبون ولادة القمر لتحديد موعد الحج ، الذي يبدأ مع بداية شهر ذي الحجة بعد توجههم الى مكة المكرمة للحج والابتياع من أسواقها – كسوق عكاظ وذي المجاز – [48] فيكثرون حجهم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة بمنى التي تقام فيها موائد الرفادة والسقاية ، والذي يعرف بيوم التروية – لارتواء الحجاج فيه الماء – ، وبعد ذلك ينتظرون للوقوف الى عرفة ، ثم الى مزدلفة في اليوم التاسع ، ومع حلول اليوم العاشر ينحرون الهدي ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويشرقون اللحوم في اليوم الحادي عشر ، ويرمون الجمرات ، ويحلقون شعر رؤوسهم ، ويطوفون حول البيت الحرام سبع مرات ، ومن ذلك ماقاله قال الشاعر حسان بن تبع :

---

[47] الأصنام ، ص٦ .

[48] هما سوق المجنة من الأسواق المشهورة عند العرب قبل الإسلام ، اذ اعتاد الحجاج حضورها ، ويجتمع فيهما قبائل العرب عند أداء موسم الحج . (ينظر : الأزرقي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٨٠ ؛ ... ، مصدر سابق ، ص٢٥١)

[49] ابن رسته ، مصدر سابق ، ص... و١٩٨ ؛ المسعودي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ ... ، مصدر ... ، ج٢ ، ص٢٤٧ .

ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا   وسجدنا عند المقام سجدوا[١٠٠].

ومن العادات الدينية الأخرى لعرب قبل الإسلام ، أنّهم تباركوا بالحجر الأسود وقبّلوه[١٠١] وعظّموا مقام نبي الله ابراهيم (ع) ، وهم فضلا عن ذلك هابوا الكعبة المشرّفة واعتادوا على القسم بها عند المحَن والشدائد ، ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي :

فأقسِمُ بالذي حَجّت قريشٌ   موقفِ ذي الحجيج على الآلي[١٠٢]

وتسابقوا في تقديم أزكى النفائس كقرابين ونذور لبيت الله الحرام ، وتفاخروا باكسائه بأغلى الأقمشة المطرّزة بخيوط الذهب والفضة والديباج الملوّن[١٠٣] ، كما حرّمت قريش المؤونة المخصّصة لإعمار الكعبة من أموال أهل البغي والربا وقطّاع الطرق[١٠٤]، لأن ذلك يتنافى مع قدسية الكعبة عندهم ، ومن تقاليدهم الأخرى أنّهم تباركوا بالشرب من ماء زمزم وسعوا للتزود به عند السفر والمرض[١٠٥] ، كما اعتاد الحجاج القدماء على

---

(١٠٠) ابن حبيب ، مصدر سابق ، ص٣١١ و٣١٩ ؛ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٥٢ .

(١٠١) الأزرقي ، مصدر سابق ، ج١ ، ٤٥٦ ؛ الفاكهي ، مصدر سابق ، ج١، ص٨١ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ص٣٣ ؛ الدهلوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٠١.

(١٠٢) الشيرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٤٧ .

(١٠٣) الأزرقي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٥١ ؛ المسعودي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢١٩ ؛ المكي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٧ .

(١٠٤) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢١ ؛ الطبري ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤٢٥-٤٢٦ ؛

(١٠٥) الجارم ، مصدر سابق ، ص٣٣ و٧١ ؛ الساعي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٥٠ .

الاغتسال قبل شروعهم بالإحرام ، وان الحوائض من النساء لم يدنين من الكعبة ولم يُطفن[١٠٦]. وكما طاف عرب قبل الإسلام حول الكعبة فإنهم اعتادوا كذلك على إنشاد نداء التلبية في الحج الذي كان على نمط نداء الحج عند المسلمين من ناحية الفكرة ونظم الكلام وسجعه ، باستثناء عقيدة الشرك التي حُشِرت في نداء التلبية[١٠٧]

---

[١٠٦] اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢١٨ ؛ الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٣٦-٤٣٧ .

[١٠٧] يروى ان عمرا بن لحي هو الذي غيّر نداء التلبية في الحج وأدخل فيه ما ليس منه من عقيدة الشرك ، وسار من جاء بعده من الحجيج على وفق ما أحدثه عمرو بن لحي ، فثبت عندهم التحريف مع مرور الزمن وتقادم الأيام ، فضلا عن إدخاله الاصنام والاوثان الى مكة التي عبدت زلفى الى الله عز وجل . (ينظر : ابن الكلبي ، مصدر سابق ، ص٨ ؛ الأزرقي ، مصدر سابق ،ج١ ، ص٢٨٧ ؛ الأصفهاني ، مصدر سابق ، ص١٣) .

الخاتمة

لقد تطرقنا فيما سبق الى جانب مهم من حياة العرب قبل الاسلام ، لنسلط الضوء على جملة من العادات والتقاليد الاجتماعية والعقائدية ، التي أظهرت عدة مزايا وصفات اتسم بها المجتمع العربي في عصر الجاهلية ، كشفت عن المستوى الحضاري من حياتهم الذي لم يكن أقلّ شأناً من المستوى الحضاري للأمم المعاصرة لهم كالفرس والروم والأحباش ، بل يبدو جليا أن العرب قبل الاسلام كان لهم من الصفات والمزايا الانسانية والأخلاقية ، ما فاقوا به عن تلك الأمم ، ومن ذلك نجد اقرار الدين الإسلامي لجملة من العادات والأعراف العربية القديمة التي حافظت على سمو الإنسان . ولا يخفى على القارىء أن جزءا من تلك العادات والأصول تعود إلى عصر نبي الله إسماعيل بن ابراهيم الخليل (ع) ، كالامتناع من زواج الأقارب (المحارم) ، وأحكام الزواج والطلاق ، وإجارة المستجير ونصرة المظلوم والالتزام بآداب التحية وتناول الطعام ، فضلا عن إقامة شعائر الحج والعمرة ، والطواف حول الكعبة ، واستلام الحجر الأسود ، والطهارة ، والسواك ، ومراسيم غسل الميت ودفنه وغيرها من الأحكام والتقاليد القديمة . كما واتضح من البحث أن أغلب العادات والتقاليد المخالفة للأصول والآداب العربية ، انما جاءت من خارج شبه الجزيرة العربية ، كزواج الضيزن وختان الاناث وعبادة الأصنام والأوثان ؛ لأن مكة المكرمة إنما قامت على أسس توحيدية أرساها نبي الله ابراهيم الخليل (ع) وذريته من بعده ، ولم يكن فيها [illegible] من مظاهر الوثنية الا بعد [illegible] وتسلط قبيلة خزاعة عليهم التي نقلت ما ألفته في بلاد اليمن اليهم .

معاني أحرف الزيادة في سورة الأنبياء

المدرس المساعد احمد خلف فريح
جامعة الأنبار / كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

الدكتور محمود خضير
كلية الإمام الأعظم الجامعة

الملخص .

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ، الذي لا تنتهي عجائبه ، وقد أعجز العرب عند نزوله بسحر بيانه ورونق كلماته وتفردها ، فكانت كل كلمة في كتاب الله المجيد دالة على المعنى الذي وجدت لأجله ، والمبنى الذي يتلاءم مع السياق ، من المعلوم ان قاعدة الزيادة في المبنى زيادة في المعنى من القواعد المثبتة علميا في اللغة العربية الغراء ، وانطلاقا من هذه القاعدة التي بحثنا فيها عن جمالية ودقة معاني احرف الزيادة في كلمات هذه السورة المباركة على اختلاف الصيغ التي وردت بها بنية الكلمات الواردة في السورة مع حذف الزيادة .

المقدمة :

القرآن الكريم كتاب الله المعجز المحكم ، وهو الى اليوم مداد الدارسين وعلى راس العلوم التي عكف عليها العلماء قبل كل علم ، كما عني المفسرون بتفسيره وكشف معاني آياته فقد اعتنى اهل اللغة بدراسته من الناحية اللغوية ان كان من الناحية البلاغية او الصرفية او النحوية ، ثم ان

[illegible] مخصوصة [illegible] في معاني الألفاظ فهي تخصص كثيراً من الألفاظ
باستعمالات مشابهة للمعنى في داخل النص القرآني مما يدل على القصد
الواضح في التعبير فقد استعمل (الرياح) حيث وردت في القرآن الكريم في
الخير والرحمة ، واستعمل (الريح) في العذاب والعقوبة ، قال تعالى :
(وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) [الأعراف : ٥٧] وانظر
الفرقان [٤٨] والنمل [٦٣] وقال تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم من رحمته) [الروم : ٤٦] ، في حين قال : (كمثل ريحٍ فيها صرٌّ
أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته) [آل عمران : ١١٧] . وقال :
(ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ) ، [الأحقاف : ٢٤] . وقال : (فأهلكوا بريحٍ
صرصرٍ عاتيةٍ) [الحاقة : ٦] ، وغير ذلك كثير ، فإذا كانت الألفاظ
مقصودة لبنية الكلمة واختيار الصيغة مقصودة ومقدرة أيضاً في المكان
المناسب – كما درسنها في معاني الصيغ التي وردت في السورة وبناء
على ذلك ولطبيعة بحثنا التي هي صرفية دلالية قمنا بتقسيمه على خمسة
أقسام بحسب كثرة الصيغ التي وردت في السورة فكان المبحث الأول معنى
الزيادة والغرض منها وصيغ الثلاثي المزيد ، والثاني لصيغة (أفعل) والقسم
الثالث لصيغة (فعّل) المضعفة والقسم الرابع لصيغة افتعل والقسم الخامس
لصيغة (استفعل) .

معنى الزيادة والغرض منها .

ذكر البصريون أن الزيادة هي إلحاق الكلمة ما ليس فيها وأشاروا الى أن هذه الزيادة هي :

١- إفادة معنى ، والقصد من ذلك الحصول على معنى جديد لم نحصل عليه من المجرد [1] ولذلك عدت الزيادة عملاً مهماً في نماء اللغة العربية .

٢- ضرب من التوسع ، وذلك أن يكون الغرض من الزيادة تكثير الكلمة فتلحق بالرباعي ، لا لإفادة معنى على سبيل التوسع في اللغة أي : أن الغرض من الزيادة لفظي بحت .

٣- زيادة بناء فقط لا يراد منها شيء سوى الكلام ، وقد رفض بعض اللغويين ذلك ، ورأى أن هذا النوع من الزيادة يفيد التأكيد والمبالغة . أما قولهم إن (أقال) بمعنى (قال) فتسامح منهم في العبارة [2].

---

[1] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده ، عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي ، حققهما ، وضبط وشرح الأستاذ محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، كلية اللغة العربية ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م [illegible]

[2] ينظر : شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، بيروت [illegible] / ١٥٠ .

[3] ينظر : شرح الشافية للرضي ، وشرح المفصل [illegible]

١- **معنى التعدية**: عد النحويون أن (أفعل) يفيد هذا المعنى كقولهم: (بركت الإبل وأبركتها وربضت الغنم وأربضتها)[1]، ومن شواهد القرآن الكريم لـ(أفعل) التي للتعدية قوله تعالى: (أذهبتم طيباتكم)[2] وقوله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)[3] وقوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتا)[4]، وقوله تعالى (ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا)[5]، [6]

٢- **معنى الصيرورة**: وتأتي الصيرورة في معاني (أفعل) على أنواع:

أ- **الصيرورة** للشيء منسوبا الى ما اشتق عنه منه الفعل مثل: أغدّ البعير أي: صار ذا غدة، وأنحز أي: صار ذا نحاز[7].

---

[1] الكتاب: أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة / ٤٥٨، ينظر: أوزان الفعل ومعانيها، الدكتور هاشم طه شلاش، بغداد، د.ت: ٥٦

[2] الأحقاف: ٢٠.

[3] غافر: ١١.

[4] نوح: ١٧.

[5] نوح: ١٨.

[6] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق الدكتور مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥ [illegible]

[7] شرح المفصل: [illegible]، شرح مراح الأرواح [illegible] للقاضي سعد الدين التفتازاني، ضمن مجموعة مع المقدمات طبعة [illegible] مصرية: [illegible]، ينظر أوزان الفعل: ٥٦

[illegible] كما تقول [illegible] أي : صار [illegible]، وكذلك قولهم أسمج الرجل أي : صار سمجًا(42)

ج- أفعل الشيء : إذا صار ذلك في عمله وأصحابه وأشباه ذلك(43)، كقولك : أقطف الرجل : صارت دابته قطوفًا وأخبث الرجل أي : صار أصحابه خبثاء وكذلك قولهم : أساف الرجل أي : وقع في ماله السواف أي : الموت

قال الشاعر :

فأبل واسترخى به الخطب بعدما   أساف ولولا سعينا لم يؤبل(44)

٣- **وجود الشيء على صفته**(45) نحو : أحمدته أي : وجدته محمودًا أو وجدته مستحقًا للحمد(46)

٤- **السلب** ، نحو أعجمت الكتاب أي : أزلت عجمته ، وأشكيته أي : أزلت شكايته قال ابن جني : (وأفعلت هذه من غالب أمرها انما تأتي

---

(41) شرح البناء ، محمد الكفوي ، طبعة [illegible] ، [illegible].

(42) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، هاشم طه شلاش : ٧٧.

(43) ديوان الأدب ، معجم لغوي تراثي ، أبي إبراهيم الفارابي ، تحقيق : عادل عبد الجبار الشاطي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ٢٠٠٣م :

(44) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، ط : الثالثة - ١٤١٤هـ : ٩/١٦٥

(45) الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ٢/٦٢

(46) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، هاشم طه شلاش : ٨٥

للثلث والإحداث نحو أكرمت زيداً أي [illegible]

تأتي أفعلت ابصم يراد بها السلب والنفي وذلك نحو أشكيت زيداً إذا زلت له عما يشكوه))[ ]

٥- **المبالغة** : أشغلته أي : بالغت في شغله[ ].

٦- **التعريض للأمر أو الشيء**[ ] : نحو أباع الجارية أي : عرضها للبيع وكذلك أقتلته أي عرضته للقتل .

٧- **وجود ما اشتق منه الفعل في صاحبه**[ ] : نحو : أثمرت الشجرة أي : وجدت فيها الثمر وأبقل الموضع وأعشبت الأرض[ ] .

٨- **الانتقال من التعدية الى اللزوم** :

قال ابن خالويه في شرح الدريدية يقال : أكبه لوجهه أي أسقط وكبه الله وهذا نادر جاء خلاف العربية لأن الواجب أن ((فعل الشيء وأفعله غيره))[ ]

وقد أشار الزوزني الى هذا المعنى في شرحه لقول امرىء القيس :

( ) سر صناعة العرب : ٢٤-٢٤.

( ) أدب الكاتب / ٣٤٣

( ) شرح التصريف للزنجاني التفتازاني : ٦٣.

( ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م : ٢/٣٦.

( ) معاني أوزان الفعل ودلالتها ، محمد طه شلاش : ٦٢.

( ) المزهر : ١/٢٣٨.

فأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل [23]

قال الزوزني : ((وهذا من النوادر لأن أصله متعدٍ الى مفعول به ثم نقل بالهمزة الى باب الأفعال فقصر عن المفعول به وهذا عكس القياس المطرد ؛ لأن مالم يتعدَ الى مفعول به في الأصل يتعدى اليه بالهمزة الى باب الأفعال)) [24].

٩- **ايجاد معنى جديد يختلف عن الأصل المجرد** : جاء في المزهر .

((أصرفت القافية إذا أقويتها)) والإقواء أن يخالف الشاعر بين القافيتين [25].

وقد ذكروا ((انه ليس في كلام العرب أصرفت إلا في موضع واحد وهو قولك اصرفت القوافي إذا أقويتها..... فأما سائر الكلام فصرفت ، قال تعالى . ((ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم)) وصرف ناب البعير والجمل يصرف نابه نشاطا والناقة كلالا واعياء [26]

١٠- **بمعنى جعل** : وقد يأتي هذا المعنى على أنواع :

أ- جعله ذا اصل الفعل [27] نحو : أجداه أي : جعله ذا جدي وأذهبه جعله ذا ذهب .

---

[23] شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد بن حسين الزوزني ، أبو عبد الله ، دار احياء التراث العربي ، ط : الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٤٤ .

[24] شرح المعلقات للزوزني : ٤٤ .

[25] المزهر : ٢/ ٧٩ ، ٨٢ .

[26] ليس في كلام العرب ، ابن خالويه : ٣٠ .

[27] شرح الشافية ١/ ٨١ .

ب- جعل له [illegible] نحو : أقبرته أي : جعلت له قبرا وأوجهته أي : جعلت له وجها عند الناس[٢٨].

ج- جعلته كذا : أطردته أي : جعلته طريدا وأحزنت الرجل[٢٩] : جعلته حزينا قال تعالى : ((ثم أماته فأقبره))[٣٠].

د- جعل الشيء [illegible] في [illegible] جمعا : نحو : أهديت الشيء أي : جعلته هدية[٣١].

١١- **بمعنى حان أو استحق** : أنخل أي : استحق أن تفعل به هذه الأشياء نحو : أصرم النخل وأحصد الزرع وأجرز النخل أي : استحق أن تفعل به هذه الأشياء أو حان أن تفعل به هذه الأشياء وكذلك قولهم : أولدت الغنم حان ولادتها وأركب المهر أي : حان أن يركب[٣٢].

١٢- **معنى التهيؤ** : خفق النجم إذا غاب وأخفق إذا تهيأ للمغيب وكذلك خفق الطائر إذا طار وأخفق إذا ضرب بجناحيه ليطير[٣٣].

١٣- بمعنى وهب : أشفيته وهبت له الشفاء[٣٤].

---

(٢٨) ينظر : أدب الكاتب / ٣٤٧.

(٢٩) ينظر : أدب الكاتب / ٣٤٧ ، وينظر : أوزان الفعل ، الدكتور هاشم طه شلاش / ٤٦.

(٣٠) عبس / ٢١.

(٣١) ينظر : شرح الشافية / ١ / ٨٧.

(٣٢) ينظر : الكتاب لسيبويه / ٢ / ٢٣٣ ، وينظر : أوزان الفعل ، الدكتور هاشم طه شلاش / ٦٥.

(٣٣) ينظر : أدب الكاتب / [illegible].

(٣٤) الكتاب لسيبويه / ٢ / [illegible].

١٤ - للتكثير : [illegible] (أفعل) الشيء إذا كثر [illegible] عنده نحو : ألبن الرجل إذا كثر عنده اللبن وكذلك أثمر الرجل إذا كثر عنده الثمر[٣٥]

١٥ - **التمكن من الشيء** : نحو : أحفرت البئر أي : مكنت من حفرها وكذلك أعرض في الشيء أي : تمكن في عرضه

١٦ - **للدلالة على اتيان الفاعل بأصل الفعل** : أو أتى بذلك كقولك : أخس الرجل أي : أتى بخسيس من الفعل ، وألام أتى بذميم من الفعل أو بما يلام عليه[٣٦]

١٧ - **للدلالة على اتيان الفاعل بالموصوف بأصله** : نحو : أكاس الرجل وأكاست المرأة أي : أتى بولد كيس[٣٧] وكذلك : أفرهت فلانة أي : جاءت بأولاد فرهة أي : ملاح .

١٨ - **معنى اتخذ** : أتلد الرجل أي : اتخذ تلادا من المال ، وأفحل اتخذ فحلا[٣٨] .

١٩ - **الدعاء** : نحو أشقيته دعوت له بالشقاء ، وأسقيته أي : دعوت له بالسقيا[٣٩] .

---

[٣٥] ينظر : لسان العرب : ٢/ ٤٨٤ .

[٣٦] ينظر أدب الكاتب : [illegible]

[٣٧] ينظر : شرح [illegible] : ١٢ .

[٣٨] ينظر : أدب الكاتب : [illegible]

[٣٩] شرح الشافية : ١/ [illegible]

٢٠- **الحمل** [illegible] على الشيء [illegible]

على العدد .

٢١- **الاتيان الى مكان أصل الفعل أو قصد مكان أصل الفعل** : نحو أيمن أي : أتى اليمن ، كذلك أجبل أتى الى الجبل وأشأم الرجل إذا أتى الشام وأعرق إذا أتى العراق وأنجد الرجل أتى نجداً[1] .

٢٢- **معنى الدخول في الشيء** وهو على النحو الآتي :

أ- **دخول الفاعل في المكان المشتق منه الفعل** نحو : أنجد وأغار أي : دخل في النجد والغور[1] قال تعالى : (إذا تصعدون ولا تلوون)[2] وتصعدون : أي : تدخلون في الصعيد[3] .

ب- دخول الفاعل في الوقت المشتق منه الفعل نحو : أمسى ابن السبيل أي : دخل في المساء وأصبح دخل في الصباح وكذلك أفجر دخل في الفجر[4] .

ج- **الدخول في العدد الذي هو أصله نحو** : أعشر وأتسع وألف أي : وصل الى العشرة والتسعة والألف[5] .

٢٣- **معنى الاظهار** : نحو : تأسف أي : أظهرت البأس[6] .

---

[1] ينظر : م . ن : ١٦ .

[2] شرح البناء : ١٢ .

[3] آل عمران : ١٥٣ .

[4] البحر المحيط : [illegible] .

[5] شرح البناء : ١٢ .

[6] شرح الشافية : [illegible] .

[7] ينظر : النوادر : [illegible] ، أوزان الفعل ، الدكتور هاشم طه شلاش : ٨٣ .

المعاني الواردة في سورة الأنبياء لصيغة (أفعل) : وردت في سورة الأنبياء لهذه الصيغة عدة معانٍ وهي :

١ – **معنى المبالغة والتعدية .**

مما جاء في هذا المعنى قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[47] ، من المعلوم أن عنوان الرسولية ملازم له في سائر أحواله ، فصار وجوده رحمة وسائر أكوانه رحمة ، وذلك يفيد المبالغة بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله ، ويدلّ لهذا المعنى ما أشار الى شرحه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (إنما أنا رحمة مهداة)[48] ، وأرى أن معنى صيغة افعل يدل على التعدية ، ولربما الامر الذي جعل صاحب تفسير التحرير والتنوير يدرجه ضمن معنى المبالغة هو ما اشتق من (أرسلناك) وهو الرسول ، وهذه خصوصية له – صلى الله عليه وآله وسلم – وأمر آخر هو سياق النص القرآني إذ جاءت كلمة (رحمة) مع صيغة (أفعل) الأمر الذي أعطى للصيغة من خلال السياق معنى المبالغة ، والله أعلم .

معنى التعدية : عَرّفها الشريف الرضي بقوله : ((ان المعنى الغالب في أَفْعَلَ تعديةُ ما كان ثلاثيا ، وهي أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان ، فمعنى " أذهبت زيدا "

---

[47] الأنبياء : ١٠٧ .

[48] ينظر : تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ : ١٧ / ١٦٦ .

جعلتُه ذاهبًا ، فهو متعدٍّ بمعنى الجعل الذي تضمّن معنى [illegible] الذهاب كما كان في التصيير ، فإن كان الفعل الثلاثي غير متعدٍّ إلى واحد فهو مفعول لمعنى الهمزة – أي : الجعل والتصيير – كأذهبته ، وما أعظمت : أي جعلته عظيمًا في اعتقادي ، بمعنى استعظمته ، وإن كان متعديًا إلى واحد صار بالهمزة متعديًا إلى اثنين أولهما مفعول الجعل والثاني لأصل الفعل ، نحو : أحفرته النهر : أي جعلته حافرًا له ، فالأول مفعول والثاني محفور ، ومرتبة المفعول مقدمة على مرتبة مفعول أصل الفعل ، لأن فيه معنى الفاعلية))[39] ، وقد جاء معنى التعدية في السورة ومن ذلك قوله تعالى : (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)[40] ، أترف فلان : أصرّ على البغي[41] ، قال ابن عرفة : المترف ، كمكرم : المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه ، قال : إنما سمي المنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها مترفًا لأنه مطلق له ، لا يمنع من تنعمه . والمترف : الجبار ، وبه فسر قتادة قوله تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[42] أي : جبابرتها ، وقال غيره : أولي الترفة ، وأراد رؤساءها وقادة الشر منها[43] ، وكذلك قوله تعالى : (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ

---

(39) شرح الشافية ، للرضي : 1/ 86 .

(40) الأنبياء : 13 .

(41) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية : 23/ 53 .

(42) الإسراء : 16 .

(43) ينظر : تاج العروس : 23/ 53 .

الصالحين)[54] ، أفادت معنى التعدية أيضاً وكأنما الرحمة مأوى ومـلاذ يدخل الله فيه من يشاء ، فإذا هو آمن ناعم مرحوم[55] . وكذلك قوله تعالى : (ومـا أرسلنا قبلـك إلا رجـالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[56] ، وقوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[57] ، فقد أفادت الصيغة في الآيتين الكريمتين معنى التعدية ، والهمزة في صيغة (أفعل) تفيد التعدية والنقل معاً[58] ، أما في الآية الكريمة فقد جاءت لفظة (أترفتم) وهي قبل أن تُبنى للمجهول أفادت معنى التعدية ولكن كما أن زيادة الأحرف تعطي زيادة في المعنى أو تغيره الى غير ما كان عليه من معنى فإن تغير حركة الصيغة كذلك تغير المعنى وتحوله إلى غير ما كان عليه فالمعنى الذي أفادته الصيغة عند تحولها الى المبني للمجهول هو التحقير والتصغير لشأنهم وبنيت للمجهول تهكماً واستهزاءً بهم ، قيل لهم ذلك على جهة الاستهزاء بهم[59] ، فهو تهكم بهم وتوبيخ لما كانوا مترفين به في الحياة الدنيا لكونه تافها لايساوي شيئاً من

---

[54] الأنبياء : ٧٥

[55] في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق – بيروت – القاهرة ، ط : السابعة عشرة – ٢٠١٢م ، ج : ٤ / ٢٣٨٩.

[56] الأنبياء : ٧ .

[57] الأنبياء : ٢٥ .

[58] ينظر : الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، عالم الكتب – بيروت ، تحقيق : محمد علي النجار : ١ / [illegible]

[59] ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم الكتب – بيروت ، ط : ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، ٣ / ٣٨٦.

نعيم الاخرة ومعلوم أنَّ نعيم الاخرة في الجنة لا يمكن لبشر أن يدرك كيفيته ، قال تعالى : (فلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [٦٠] ، فكان اسناد الفعل الى المجهول أليق تحقيرا وتصغيرا لما أترفوا به في الحياة الدنيا [٦١] ، لذلك أردفها بقوله : (لعلكم تسألون) ، تسئلون أي : تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات ، وهذا على طريقة التهكم بهم والتوبيخ لهم . وقيل : المعنى : لعلكم تسألون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به [٦٢] .

المعاني الواردة في سورة الأنبياء لصيغة (أفعل)

١ – **معنى الاظهار** : وذلك في قوله تعالى : (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) [٦٣] ، (هلك) الهاء واللام والكاف : يدل على كسر وسقوط . منه الهلاك : السقوط ، ولذلك يقال للميت هلك . واهتلكت القطاة خوف البازي : رمت بنفسها على المهالك[٦٤]. ، يقولون هلك الناس ، أي : استوجبوا النار والخلود فيها لسوء

---

[٦٠] السجدة : ١٧.

[٦١] ينظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : الثالثة – ١٤٢٠ هـ :١٢٦/٢٢.

[٦٢] ينظر : فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت ، ط : الأولى – ١٤١٤ هـ : ٣ / ٤٧٣.

[٦٣] الأنبياء : ٩ .

[٦٤] مقاييس اللغة : ٦ / ٦٢ .

[illegible] ، وقوله تعالى : (أنجيناهم) و (أهلكنا) ، فهذا التفصيل دال على معنى الإظهار ، وقدم الله – عز وجل – إظهار نجاة المؤمنين ، وبعد ذلك ذكر هلاك (المسرفين) وذلك لأنه لما صدر نجاة أهل الإيمان وأظهر نجاتهم استلزم من ذلك أن نجاتهم كانت بإظهاره لهلاك أعدائهم وفي هذا إشارة إلى كيفية إظهار نجاتهم [illegible] وتصديره بالتوكيد القسمي في قوله : (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين)[65] لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه[66] .

٢ – **معنى الصيرورة** : من ذلك قوله تعالى : (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)[67] ، ص ل ح : الصلاح ضد الفساد وبابه دخل وقال الفراء صلح أيضا بالضم وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطلحا وتصالحا واصالحا بتشديد الصاد والإصلاح ضد الإفساد والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح ضد الاستفساد[68] . وفي قوله (أصلحنا) أي : صيرناها له زوجة صالحة ولودا ، لأنها كانت عاقرا لا تحبل فأصلحناها للولادة بعد

---

(٦٥) الأنبياء : ٤٨ .

(٦٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت : ٦ / ٨١ .

(٦٧) الأنبياء : ٩٠ .

(٦٨) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية ، بيروت – صيدا ، ط. الخامسة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م : [illegible] .

خلقها ، لزكريا بتحسين خلقها[69] ، بمعنى الحسن عن ذلك الصلاح فقال جعلها شابة بعد أن كانت عجوزا وصارت ولودا بعد أن كانت عقيمة[70] وكذلك لفظة (أصلحنا) تحمل معنى التعدية ، فالفعل يتعدى بنفسه كما في قوله : (وأصلحنا له زوجه)[71] ، وكذلك قوله تعالى : (وَأَدْخَلْنَاهُمْ في رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ)[72] ، من المعلوم أن السياق يحدد معنى الكلمة لأنها تتعلق بما قبلها وما بعدها فتحكمها السياق بأن تذعن للمعنى الذي أراده فلفظة (أدخلناه) تلبست بمعنى الصيرورة أي : صار في رحمتنا ، والرحمة هنا هي الجنة ، مجاز مرسل علاقته المحلية وهي الجنة محل رحمة الله تعالى يقال : أدخلناهم في الجنة وصاروا فيها لأنهم من الصالحين[73] . بمعنى : ما أنعم الله به عليهم من النبوة ، وما صيّرهم إليه في الجنة من الثواب[74] .

---

(69) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط الأولى - ١٤١٨ هـ : ٤ / ٦٢ .

(70) ينظر : تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ، دار إحياء التراث العربي : ٩ / ٢٢٦ .

(71) ينظر : م . ن : ٨ / ٤٧٤ .

(72) الأنبياء : ٨٦ .

(73) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٣٨ .

(74) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الدكتور أحمد محمد صيرة ، الدكتور أحمد عبد الغني ←

٣ - **الدلالة على إتيان الفاعل بأصل الفعل** : يقال أحصنت المرأة ، فهي محصنة ومحصنة ، وكذلك الرجل ، والمحصن ، بالفتح ، يكون بمعنى الفاعل والمفعول[2] من ذلك قوله تعالى : (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)[3] ، حفظت فرجها ومنعت فرجها وجعلته حصينا مما حرم الله عليها إباحته فيه فأحصنت فرجها إحصانا كليا[4].

- **معاني صيغة (فعّل)** : يُعدُّ التضعيف من عوامل تطور اللغة العربية لكونها لغة اشتقاقية وكان له الأثر الكبير في مدها بالفيض الزاخر من الألفاظ والصيغ الجديدة ، فالصيغة تعدُّ وسيلة من وسائل إثراء اللغة ؛ لذلك قال الدكتور مصطفى جواد : ((إن التضعيف في العربية كان من الأمور الضرورية لتطورها : فلم يكن للغة منه مندوحة ولا بد))[5] ولو تحرينا علاقة المضعف الثلاثي ، نحو زنَّ (فعَّل) بالمضعف الرباعي زلزل (فَعْلَلَ) لوجدنا الميكانيكية السببية التي تكاد تكون تلقائية ، فما ينطق المرء بأحدهما إلا ويتخيل صورة الآخر من نفس حروفه ؛ فتكتسب اللغة صيغة

الجمل ، الدكتور عبد الرحمن عميرة ، تقديم : عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م : ٢/ ٢٥٨.

[2] لسان العرب : ١٣ / ١٢٠.

[3] الأنبياء : ٩١.

[4] ينظر : (جامع البيان (تفسير الطبري) : ١٨ / ٥٢٢ ، مفاتيح الغيب للرازي : ٢٢ / ١٨٣.

[5] أثر التضعيف في تطور العربية (بحث) الدكتور مصطفى جواد ، مجلة مجمع اللغة العربية ج١٩ ، لسنة ١٩٦٥ : ٥٠ .

فعّل . ويُعدّ تكرار أحرف بأعيانها في أصول الكلمات عاملا من عوامل نمو اللغة العربية وذلك هو التضعيف بعينه[٧٩] . وهذه الصيغة من الصيغ التي تكون فيها الزيادة بالتضعيف وقد استقرأ الصرفيون الصيغ المزيدة فوجدوا في هذا الباب ان من الأفعال ما يزاد بحرف واحد ، ومنها ما يُزاد بحرفين ، ومنها ما يزاد بثلاثة أحرف ، وقد استقرؤوا – فضلا عن أبنية الأفعال – بعض ما توصلوا إليه من معانيها الغالبة وما تمكنوا من ضبطه ؛ لأن هذه الأبنية قد تجيء لمعانٍ كثيرةٍ تحتاج إلى استقراءٍ عام لمعجمات اللّغة للوصول إلى معانٍ أخرى لم تُذكر في كتب اللُّغة والصرف . وقد اختلف في الزائد في (فعلّ) فيما : إذا كان الساكن أم المتحرك ، فقد أشار الخليلْ إلى أنَّ زيادة الساكن أولى من زيادة المتحرك ، وقال آخرون إن الزيادة بالمتحرك ، والوجهان جائزان عند سيبويه[٨٠] ، ذكر كثير من علماء اللّغة أن (فعَّل) (يؤاخي أفعل في التّعدية) .، نحو جعل اللّازم متعديا مثل : فرحته ، أي : جعلته فرحا ، وجعل المتعدي إلى مفعول واحد متعديا إلى اثنين ، نحو : لبس الرجلُ الثوب ، تُصبح : ألبستُ الرجلَ الثوب ، لكّنه لا يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل كأفعل إلّا محمولا على أفعل (كحدث ، وخبر)[٨١] . ولكن التّعدية ليست معنى بل هي وظيفة ، صحيح أن الفعل كان لازما ثُم صار متعديا بدخولها عليه ، أو كان متعديا إلى مفعولٍ واحد وصار بها إلى اثنين ، إلّا أن هذه التّعدية ليست معنًى يضافُ إلى الكلمة بل هي وظيفة . ثُم ان كثيرا من معاني التضعيف تصحبها تعدية كالجعل والكثرة

---

[٧٩] ينظر : أثر التضعيف في تطور العربية : ٧٥ .

[٨٠] ينظر : شرح تصريف الزنجاني للتفتازاني : ٧٣ .

[٨١] ينظر : الكتاب ٤/ ٩.

والنسب وغيرها ، فقد لا يصح أن نوصف التعدية على أنها معنى[٨٢] ، ومن معاني زيادة التضعيف ، وذلك من خلال ما تنبه إليه الرضي ، فقال في شرحه : الأولى أن يقال في مقام التعدية – هنا – وهو بمعنى : جعل الشيء ذا أصله ليعد ، نحو : فتحت الفم ، أي : جعلتها ذات فتح ، وشقّقت النعل ؛ أي جعلتها ذات شسع ومن ذلك أيضا ومنه (فسّقته) إنما قال ذلك لأن أهل التصريف جعلوا هذا النوع قسما برأسه ، فقالوا : يجيء فعّل لنسبة المفعول إلى أصل الفعل وتسميته به ، نحو فسّقته : أي نسبته إلى الفسق وسميته فاسقا ، وكذا كفّرته . فقال المصنف : يرجع معناه إلى التعدية ، أي : جعلته فاسقا بأن نسبته إلى الفسق[٨٣] ، وهذا الرأي اقرب الى الصحة من غيره لأن التعدية لا تضيف معنى جديدا انما عملها من الناحية الاعرابية اظهر من كونها تؤدي الى إبراز معنى يختلف عن سابقه اما من الناحية القياسية للتعدية بالتضعيف فقد ورد في مغني اللبيب : أن النقل بالتضعيف سماعي في القاصر وفي المتعدي لواحد نحو : (علّمته الحساب وفهّمته المسألة) ولم يسمع في المتعدي لاثنين وزعم الحريري أنه يجوز في علم المتعدية لاثنين أن ينقل بالتضعيف إلى ثلاثة ولا يشهد له سماع ولا قياس وظاهر قول سيبويه أنه سماعي مطلقا وقيل قياسي في القاصر والمتعدي إلى واحد[٨٤] ، ولنأت الآن إلى أبرز المعاني التي تأتي بها صيغة (فعّل) وهذه المعاني هي :

---

[٨٢] ينظر : اثر التضعيف في تطور العربية : ١٥.

[٨٣] ينظر : شرح الشافية للرضي : ٩٣.

[٨٤] ينظر : مغني اللبيب : ٦٨٠.

١- التكثير : وهذا المعنى مطرد في صيغة (فعّل) المضعفة كما جاء عند سيبويه ((وقالوا : ظلّ يفرسها السبع ويؤكلها ، إذا أكثر ذلك فيها . وقالوا : موّتت وقوّمت ، إذا أردت جماعة الإبل وغيرها . وقالوا : يجوّل أي يكثر الجولان ، ويطوّف أي يكثر التطويف))[85] . وقد ورد هذا الوزن بمعنى التكثير كثيرا الأمر الذي دفع ببعض اللغويين إلى أن يتصور أن هذا الوزن لا يراد به إلّا هذا المعنى: ﴿ فعّلت لا يكون إلّا للتكثير . كقولك أغلقت الباب وغلّقت الأبواب . فإن قلت غلّقت لم يجز إلّا على أن تكون قد أكثرت إغلاقه ﴾[86] . ومثال ذلك قوله تعالى في سورة يوسف - عليه السلام - مع امرأة العزيز : (وغلّقت الأبواب)[87] وكانت سبعة[88] .

٢- تأتي (فعّل) بمعنى الجعل نحو عدّلته ، وأمّرته ، أي : جعلته عدلا وأميرا[89]

من ذلك قوله تعالى : (فتقبّلها ربّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريّا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك

---

(٨٥) الكتاب ٤ / ٦٤ .

(٨٦) النوادر لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق ودراسة : محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق الطبعة : الأولى ١٩٨١م - ١٤٠١هـ : ٢٠٢.

(٨٧) يوسف : ٢٣ .

(٨٨) الكشف والبيان للثعلبي : ٥ / ٢٠٨.

(٨٩) شرح البناء للكفوي : ٣٣ .

هذا قلت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) [٩٠] ، أي جعله كافلا لها [٩١].

٣ بمعنى تفعّل ، كولّى وتولّى وفكّر وتفكّر[٩٢].

من ذلك قوله تعالى : (والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) [٩٣] ، أي : يمسكون به ، يُقال مسّك بالشيء[٩٤] ، وتمسك بمعنى واحد [٩٥].

---

[٩٠] آل عمران : ٣٧.

[٩١] ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١٥ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : الأولى – ١٤١٨ هـ : ٢ / ٣٤.

[٩٢] شذا العرف في فن الصرف ، أحمد بن محمد الحملاوي ، تحقيق : نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد الرياض : ٣٢.

[٩٣] الأعراف : ١٧٠.

[٩٤] ينظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م : ٧/٣١٣ ، تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ٢٠٠٥م ، : ٢ / ٤٥ .

[٩٥] ينظر : تفسير أبي السعود : ٣ / ٢٨٨ ، ينظر : روح البيان : ٥ / ٩٢.

٤- اتخاذ الفعل من الاسم

نحو خيم القوم أي ضربوا خيام ، جاء في لسان العرب ((وصلّب الراهبُ : اتخذ في بيعته صليبا)) [٩٦] ، من ذلك قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام : (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [٩٧] ، أي : أنك اتخذتهم عبيدا لك . يقال منه : عبدت العبيد وأعبدتهم .

٥- إيجاد معنًى جديد يختلفُ عن الأصل المجرد[٩٨].

يقال : كلّمته تكْليما وكِلاما : حدّثته ، مثل : كَذَّبته تكْذيبا وكِذابا ، وتكلّمتُ كَلِمة وبكَلِمة [٩٩] ، ولو رجعنا إلى الجذر (كلم) لوجدناه بمعنى مختلف ، فكَلَمه يكْلِمه كَلْما : جرحه [١٠٠]

من ذلك قوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [١٠١] ، والمقصود بالتكليم هنا من الكلام بمعنى الحديث ، وليس من التَّكليم بمعنى التجريح ، أو معنى آخر ، قال أبو جعفر النّحاس : ((تكليما مؤكد يدلُ على معنى الكلام المعروف لأنّك إذا قلت : كلّمتُ فلانا جاز أن يكون أوصلْتُ إليه كلامك وإذا قلتَ : كلّمه تكْليما لم تكن إلا من الكلام الّذي يعرف)) [١٠٢].

---

(٩٦) لسان العرب : ١ / ٥٢٩

(٩٧) الشعراء : ٢٢ .

(٩٨) ينظر : شرح الشافية للرضي : ١ / ٩٥.

(٩٩) لسان العرب : ١١ / ٦٦٥

(١٠٠) م . ن : ١٢ / ٥٢٤.

(١٠١) النساء : ١٦٤.

(١٠٢) معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد ، محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة . ط : الأولى ، ١٤٠٩هـ : ٢/٢٣٩ .

٦- **بمعنى قصد المكان المشتق منه الفعل** : نحو كوّف ؛ أي : مضى إلى الكوفة ، وفوّز وغوّر : مضى إلى الغور والمفازة ، أو : قصدها ، ويمن : أتى اليمن ، وشرق : أتى الشرق[103] ، ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا فرعون : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)[104] ، قال أبو عبيدة معنى (ننجيك) نلقيك على نجوة من الأرض وقال غيره النجوة والنبوة ما ارتفع من الأرض[105] ، جاء في مفردات الراغب نجيته تركته بنجوة وعلى هذا : (فاليوم ننجيك ببدنك) ونجوت قشر الشجرة وجلد الشاة ولاشتراكهما في ذلك[106]

٧- عمل الشيء في الوقت المشتق منه الفعل

كهجر ؛ أي : سار في الهاجرة ، وصبح ؛ أي : أتى صباحا ، ومسى وغلس ؛ أي : فعل في الوقتين شيئا[107] ، من ذلك قوله تعالى : (ولقدْ

---

[103] شرح الكافية للرضي : ١ /٩٦ اوزان الفعل ومعانيها : ٨٠ .

[104] يونس : ٩٢.

[105] ينظر : معاني القرآن للنحاس ٣ / ٣١٥ . وينظر : زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى - ١٤٢٢ هـ : ٢/ ٣٤٨ .

[106] المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط : الأولى - ١٤١٢ هـ / ٧٩٢.

[107] شرح الشافية للرضي : ١/ ٩٥ . اوزان الفعل ومعانيها : ٨٣ .

صبحهم بكرة عذابٌ مستقرٌ)[١٠٧] ، أي : جاءهم صباحاً عذاب نازل بهم ، حتى هلكوا جميعاً[١٠٨]

٨- نسبة المفعول إلى أصل الفعل ، أو تسميته بالفعل :

ورد المعنى عند سيبويه ، قال : ((فأما خطّأته فإنما أردت سمّيتُه مخطئاً))[١١٠] ، وسمى ابن عصفور هذا المعنى بالتسمية في قوله : ((التسميةُ كقولك : (خطّأته) و (فسّقته) أي : سمّيته مخطئاً وفاسقاً))[١١١] . وجاءت النسبة كما ثبتناها للعنوان عند الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، قال : ((نسبة المفعول إلى أصل الفعل ، نحو (كذّبتُه ، وكفّرتُهُ ، وفسّقتُه) أي : نسبته إلى الكذب والكفر والفسوق)) ، من ذلك قوله تعالى : (قدْ نعْلَمُ إنّهُ ليحْزُنُك الّذي يقُولُون فإنّهُمْ لا يُكذّبُونك ولَكنّ الظّالمين بآيَاتِ اللّه يجْحدُون)[١١٢] ، ومعنى (يكذبونك) ينسبونك الى الكذب[١١٣] ، وقال الراغب : ((كذّبته ، أي : نسبته إلى الكذب صادقاً

---

[١٠٨] القمر ، ٣٨ .

[١٠٩] ينظر : زاد المسير : ٨/ ٩٠ .

[١١٠] الكتاب : ٤ / ٥٨

[١١١] ينظر : دروس التصريف : محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ، سنة النشر : ١٤١٦ – ١٩٩٥ : ٧٣ .

[١١٢] الأنعام : ٣٣ .

[١١٣] ينظر : مختصر تفسير البغوي ، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض ، الأولى ، ١٤١٦هـ : ٢ /٩٤ : تفسير النسفي : ١/ ٣٤٠ .

كذب أو كذاب م)[114] جاء في تفسير البحر المحيط ﴿ وحكى الكسائي أن العرب تقول كذَّبت الرجلَ إذا نسبتَ إليه الكذب ، وأكْذَبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه ... ويكون من نسبة ذلك إلى كُلِّهم على سبيل المجاز والمراد . بعضهم ، لأنه معلوم قطعاً أن بعضهم كان يكذبه)[115].

٩- **معنى الاعطاء** : من ذلك قوله تعالى : (ومتِّعوهُن على المُوسع قدرُهُ وعلى المُقتِرِ قدرُهُ متاعاً بالمعْرُوفِ حقّاً على المُحْسنين)[116] . ومعنى) متّعوهن : (أعطوهن ما يتمتّعن به) ، قال الأزهري : ﴿ المتاع في اللُّغة كلما انتُفع به فهو متاع ، وقوله : (ومتّعوهن على الموسع قدره) ليست بمعنى : زودوهن المتاع إنما معناه أعطوهن ما يستمتعن))[117].

١٠-**الاظهار** :ومن ذلك (بلغ) في قوله تعالى : (يا أيُّها الرّسُولُ بلِّغ ما أُنزِلَ إليْكَ من رَبِّكَ وإن لَمْ تفعلْ فما بلَّغتَ رسالتَهُ واللّهُ يَعْصمُكَ من النّاس إنَّ اللّهَ لا يهْدي القَوْمَ الكافرين)[118] ، معناه : أظهر التبليغ ، لأنّه كان في أول الإسلام يخفيه خوفا من المشركين ثم أُمر بإظهاره في هذه الآية ،فأعلمه

---

(١١٤) المفردات للاصفهاني : ٧٠٤

(١١٥) البحر المحيط : ٤ / ٤٨٨ .

(١١٦) البقرة : ٢٣٦.

(١١٧) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : الأولى ، ٢٠٠١م : ٢ / ٢٩٣.

(١١٨) المائدة : ٦٧ .

والله أنّه يعصمه من النّاس [119] . وجاء في معاني القرآن للنحاس: ((وفي معناه قولان . أحدهما : بلّغ جميع ما أنزل إليك ... والقول الثاني – وعليه أكثر أهل اللُّغة – أن المعنى : أظهر ما أُنزل إليك من ربك أي : بلّغه ظاهرا ودلّ على هذا قوله تعالى) والله يعصمك من الناس(أي : يمنعك من أن ينالوك بسوء)) [120] .

١١ - للدلالة على الكينونة والمجيء في الوقت الذي دلّ عليه الفعل

قال سيبويه : ((وأمّا صبّحنا ومسّينا وسحّرنا ، فيقول : أتيناه صباحاً ومساء وسحرا ومثله بيّتناه : أتيناه بياتاً)) [121] ، وذكر الرضي الاستراباذي أفعالا جاءت على (فعّل) ، لا تدلّ على معنى من المعاني أي ما يكون بمعنى نفسه ، نحو : جرّب وكلّم [122] وورد ما كان دالا على نفسه (حدّث) على (فعّل) ، هي مثل كلّم في قول عمرو بن كلثوم :

وذا البُرة الذي حُدّثت عنه به نَحمي ونَحمي المُلجئينا . [123]

و (حَدَّث) بمعنى : الذي قال الحديث أيّ الخبرُ ، والمحادثة ، والتحدّث ، والتحادُث والتحديث : معروفاتٌ . [124] وذكر ابن قتيبة أن

---

[119] ينظر : تفسير الطبري : [illegible] / [illegible]

[120] معاني القرآن للنحاس : ٢ / ٣٤٢.

[121] الكتاب : ٤ / ٦٣.

[122] ينظر : شرح الشافية للرضي ، م : ١ / ٩٦ .

[123] شرح القصائد التسع المشهورات ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق : احمد خطاب ، وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، العراق – بغداد ، ١٩٧٣ : ٢ / ٦٥٤.

[124] ينظر : الصحاح : ١ / ٢٧٩ .

(فعلت) تأتي مخالفة لـ (فعلت) نحو : (نَمَيْتُ الحديث) نقلته على جهة الإصلاح ، و (نَمّيْتُه) ، نقلته على جهة الفساد و (جاب القميص) قوّر جيبه ، و (جيّبَهُ) جعل له جيبا .[١٢٥]

معاني أحرف الزيادة التي وردت في سورة الانبياء لصيغة (فعَّل) وهي :

١- **التكثيـــر** : كمـا فـي قولـه تعـالى : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)[١٢٦] ، جاءت هنا الصيغة في ذكر صفات الملائكة وكيف انهم كثيروا التسبيح الذي لا يمكن لبني البشر فعل مثل هذا العمل أي : ان سمة كثرة التسبيح ملاصقة لهؤلاء دون غيرهم وذلك بدلالة قوله تعالى (لايفترون) فالإنسان يفتر ويرتاح وينام لكن الملائكة لا يصنعون ذلك فجاءت صيغة التضعيف من (فعّل) مناسبة في ابراز صفات هؤلاء الملائكة ولا يمكن لصيغة غيرها ان تقوم مقامها وهذا هو المعنى الذي جاءت به احرف الزيادة التي في هذه الصيغة ، وجاء في اختصار معنى التكثير في الآية الكريمة ((عن عبد الله بن الحارث ، قال : قلت : لكعب الأحبار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) أما يشغلهم رسالة أو عمل ؟ قال : يا بن أخي إنهم جُعل لهم التسبيح ، كما جُعل لكم النفس ، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفّس؟ قلت : بلى قال : فكذلك جُعل لهم التسبيح))[١٢٧] وكذلك قوله تعالى في ذكر كثرة التسبيح لمخلوقاته

---

[١٢٥] ينظر : أدب الكتاب : ٣٥٥ .

[١٢٦] الانبياء : ٢٠

[١٢٧] تفسير الطبري : ١٨ / ٤٢٤ .

من غير الملائكة وهي الجبال التي هي بالنسبة لنا جماد على الفهم بعيد عن الحمد ، لكن هي من الكثرة بمكان في التسبيح للخالق عز وجل قال تعالى حكاية عن تسخيره جل وعلا للجبال مع داوود – عليه السلام – : (وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)[128] . فجاءت صيغة التكثير في مكانها المناسب وأبرزت المعنى بشكل واضح .

٢ - بمعنى قصد المكان المشتق منه الفعل :

ومن ذلك قوله تعالى (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)[129] ، وقصد التحريق هنا ارادة المكان ودليل ذلك ما ورد في تفسير السمرقندي قوله : ((قالوا : يعني قال ملكهم (حرقوه وانصروا آلهتكم) يعني انتقموا لآلهتكم " ان كنتم فاعلين " به شيئا فافعلوا فأمر النمرود أهل القرى حتى جمعوا له الحطب أياما كثيرة وأمر بأن يبنى بنيان فبنى حائطا مستديرا وجمعوا له الحطب ما شاء الله ثم أضرموا فيه النار فارتفعت النار حتى بلغت السماء في أعين الناظرين وكانت الطير يمر بها فيصيبها حر النار فلا تستطيع أن تجوز فيه فتقع ميتة فلما أرادوا أن يلقوه فيها لم يستطيعوا لشدة حرها ولم يقدر أحد أن يدنو منها فتحيروا وكادوا أن يتركوه حتى جاء إبليس عدو الله لعنه الله فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق صنعت وجاؤوا بإبراهيم فأوثقوا يديه وجعلوه في المنجنيق وروي في الخبر أن السموات والأرض والجبال بكوا عليه وبكت))[130]

---

(١٢٨) الأنبياء : ٧٩.

(١٢٩) الأنبياء : ٦٨.

(١٣٠) تفسير السمرقندي : ١/ ٣٢٠

٣- **الاظهار** : ومما جاء من هذه الصيغ بهذا المعنى في سورة الانبياء قوله تعالى : (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)[١٣١] . (نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)[١٣٢] ، (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)[١٣٣] ، (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)[١٣٤] ، والايات جميعها تدور في سياق قصة نبي الله لوط - عليه السلام - مع قومه المجرمين فتكررت لفظه (نجيناه) وما ذلك الا للدلالة على ان الله ماكان ليظهر اعداء الانبياء على انبيائه - عليهم الصلاة والسلام - بل العكس فجاءت صيغة (فعّل) لتؤدي دورها وهو اظهار نجاة لوط - عليه السلام - وفي الوقت نفسه رسخت في نفس القارئ لهذه الآيات ، تصورا - قبل ان يكمل الآيات التي في السورة ان الظهور والغلبة تحصيل حاصل لنبيه لوط على قومه العتاة الظالمين فأفادت الزيادة بالتضعيف حصول المعنى المراد ترسيخه[١٣٥] ، وكذلك افادت الصيغة معنى التعدية .

٤- **التعدية** :

من ذلك ما جاء في سياق الاية الكريمة في سورة الانبياء قوله تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

---

[١٣١] الانبياء : ٧١.

[١٣٢] الانبياء : ٧٤.

[١٣٣] الانبياء : ٧٦ .

[١٣٤] الانبياء : ٨٨ .

[١٣٥] ينظر : تفسير البيضاوي / ٤ / ٣٦ .

والطَّيْرَ وكُنَّا فاعِلِينَ) [١٣٦] ، فلفظة (فَفَهَّمْنَاهَا) تعدت الى نبي الله سليمان – عليه السلام – (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) ، يعني : ألهمناها سليمان ، وكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وعِلْمًا ، يعني : النبوة والفهم بالحكم ، وهذا هو ما تعدت به الصيغة ، وروي عن الحسن البصري – رحمه الله – أنه قال : لولا هذه الآية ، لم يجرأ أحد منا أن يفتي في الحوادث .[١٣٧] ، اما لفظة (سخرنا) جاءت زيادة في التعدية تعضيدا وتوكيدا له ؛ وأرى أن في الصيغة شيء من معنى الاختصاص ، فقد عُرِفَ عن نبي الله سليمان – عليه السلام – انه اعطي ملكا عظيما لم يعطه الله لاحد قبله قال تعالى حكاية عن نبي الله سليمان : (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [١٣٨] ، يقول الرازي : ولسليمان سخرنا الريح وهو أن يقال معناه ولسليمان الريح كما يقال لزيد الدار وذلك لأن الريح كانت له كالمملوك المختص به يأمرها بما يريد حيث يريد وكذلك الجبال فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان [١٣٩] ، وقد تكون صيغة (فعّل) جاءت هنا بمعنى الجعل ؛ ان فالجبال التي هي أقسى من قلوب قومك فانها أعظم الأراضي صلابة وقوة وعلوا ورفعة ، بأن جعلناها منقادة ذللا كالجمل [١٤٠] .

---

(١٣٦) الأنبياء : ٧٩.

(١٣٧) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٣٤ ، وينظر : تفسير الثعلبي : ٦ / ٢٨٥.

(١٣٨) ص : ٣٥.

(١٣٩) ينظر : مفاتيح الغيب : ١١ / ٢١٣.

(١٤٠) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ٦ / ٣٦٩.

وكذلك في قوله تعالى : (علمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)[141] ، ففي قوله : (علمناه) أفادت صيغة التضعيف معنى التعدية وفيها شيء من معنى الاختصاص اذ اختص الله – عز وجل – داود عليه السلام بهذه الكرامة وهي صناعة الدروع بعد أن اختصه الله بأن ألان له الحديد قال تعالى : (وألنا له الحديد)[142] ، قال قتادة : أول من صنع الدروع داود (عليه السلام) وانما كانت صفائح ، فهو أول من سردها وحلقها[143] ، ومما يزيد في دلالة الصيغة على معنى التخصيص ما جاء عند القرطبي بقوله : ((وعلمناه صنعة لبوس لكم . وقيل : صنعة الكيمياء))[144] ، قوله تعالى : (وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون)[145] ، جاءت صيغة التضعيف (تقطعوا) بصيغة الفعل الماضي والقصد منها المضارع اي : تقطعتم ولا تزالون كذلك لان فائدة الفعل المضارع تفيد الاستمرارية والأصل : وتقطعتم ، إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات ، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله[146].

---

(141) الأنبياء : ٨٠ .

(142) سبأ : ١٠.

(143) ينظر : تفسير الثعلبي : ٦ / ٢٦٦.

(144) تفسير القرطبي : ١٣ / ١٦٣.

(145) الأنبياء : ٩٣.

(146) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٣٤.

- صيغة (افتعل) : الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء . ومعانيه كما يأتي :

١- **الاتخاذ** : تأتي افتعلت بمعنى اتخذت يقال : اشتويت أي : اتخذت شواء واختبزت واذبحت أي : اتخذت خبزا وذبيحة واختشب السيف اتخذ خشبا[١٤٧]

٢- **المبالغة في المعنى**[١٤٨] : نحو : بالغ واضطرب في الكسب وكذلك اقتدر أي : بالغ في القدرة قال سيبويه : ((أما كسبت فإنه يقول : أصبت وأما اكتسب فهو التصرف والطلب والاعتمال بمنزلة الاضطراب)) [١٤٩] ، ويؤكد ابن جني هذا المعنى إذ يقول : ((قال الله سبحانه وتعالى (أخذ عزيز مقتدر) هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ[١٥٠] وعليه عندي قول الله عز وجل (ماكسبت وعليها ما اكتسبت) [١٥١]

٣- ويأتي افتعل **بمعنى** (**المشاركة**) نحو : اشترك والتحم

٤- وتأتي **بمعنى تفاعل** لحدوث صفة (بمعنى صار) نحو : افتقر وافتتن واعتصبوا أي : صاروا عصبة[١٥٢] .

---

[١٤٧] ينظر : أدب الكاتب : ٣٦١.

[١٤٨] شرح المفصل : ٧ / ١٦٠

[١٤٩] البقرة : ٢٨٦.

[١٥٠] الخصائص : ٣/٢٦٤.

[١٥١] البقرة : ٢٨٦.

[١٥٢] فقه اللغة وسر العربية ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ط : الأولى : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م : ٥٥٣ .

٥- **معنى السلب** : نحو : انتصر أي : زال النصرة عنه ومنه انتقم[153]

٦- **الاظهــار** ، نحـو : اعتـذر أي : أظهـر عـذره أو أتـى بعذره وكـذلك اعـتظم أي : أظهـر العظمــة[154] قــال لبيـد : ((ومـن يبـك حـولا كاملا فقد اعتذر)) أي : أتـى بعـذر[155] ، قال تعالـى : ((ورهبانيــة ابتدعوها)) [156] ، ابتدع أي : أتى ببدعة [157].

٧- **للطلب** : نحو : اكتد فلان إذا طلب منه الكد واضطرب خاتما سأل أن يضـرب لــه[158] وفـي الحـديث : ((انــه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم اضطرب خاتما من ذهب أي : أمر أن يضرب له ويصاغ)) [159] قال تعالى : ((اكتسبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)) [160]

٨- **للقبــول** : نحو : انتصـح أي : قبل النصـيحة قال الجوهري : وانتصـح فلان أي:قبل النصيحة[161]

٩- **للتخييــر**: نحـو : انتخـب : أي : اختـار النخبـة واصطفاه أي : اختاره صفيا وأخذ صفوة واستري اختار سرائهم[162]

---

(153) ينظر : شرح البناء للكفوي : ١٦.

(154) شرح البناء للكفوي : ١٦.

(155) المصدر نفسه : ١٦.

(156) سورة الحديد : ٢٧.

(157) لسان العرب : ٨ /٦.

(158) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، الدكتور هاشم طه شلاش: ٩١.

(159) لسان العرب : ١/٥٤٣.

(160) المصدر نفسه : ١/٦٩٨.

(161) ينظر : شرح البناء للكفوي : ١٦ ، ولسان العرب : ٢ /٨٠٣ .

(162) ينظر : البناء للكفوي : ١٦.

١٠- لفعل الفاعل بنفسه : نحو : ارتعش واستأك واكتنس[١٦٣]

١١- لأخذ الشيء الذي اشتق منه الفعل : نحو : امتخ العظم إذا امتصه واستخرج مخه وأطفح القدر : أخذ طفاحتها وهي مايعلوها من الزبد وكذلك افتلذ أخذ فلذة ، وافتلذته المال أي : أخذت من ماله فلذة وقولهم : اعتام الرجل : أي : أخذ العيمة ((وهي من المتاع خيرته)) [١٦٤].

- المعاني التي وردت في السورة لصيغة (افتعل) :

١- المبالغة في المعنى : قوله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) [١٦٥] ، وردت صيغة افتعل بقوله : (اقترب) وافادت هنا المبالغة في المعنى قيل : اللام بمعنى من أي اقترب من الناس حِسَابُهُمْ محاسبة الله [١٦٦] ، اقترب : بمعنى الفعل المجرّد وهو قرب ، وقيل : اقترب أبلغ للزيادة وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ الواو للحال[١٦٧] إنما ذكر تعالى الاقتراب بهذه

---

[١٦٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٦.

[١٦٤] ينظر : مجلة البيان/١٥/مقال بعنوان(اللغة والعصر) ابراهيم اليازجي وينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، الدكتور هاشم طه شلاش : ٩٣.

[١٦٥] الأنبياء : ١

[١٦٦] ينظر : تفسير الثعلبي : ٦ / ٢٦٨ .

[١٦٧] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : الشيخ ، محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، ط : الأولى - ١٤١٨هـ : ٤ / ٧٩.

الصيغة ولم يقل : قرب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون أقرب إلى تلافي الذنوب والتحرر عنها خوفا من ذلك والله أعلم[١٦٨] ، وقوله : (اقترب) أشد تخويفا للمخاطبين ، ثم ان لفظ الناس لفظ لا يُخصُّ به المؤمنون ، حتى لايقال اختص بها المسلمون او المؤمنون إنما يرد حيث يراد عموم المخاطبين ، ويكثر حيث يراد الوعيد والإنذار والتخويف والمبالغة فيه فالأولى الاسراع إلى العبادة والدخول في الإسلام[١٦٩] . وفي إسناد الاقتراب المنبيء عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يُعتبر التوجّه والإقبالُ من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطالبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربُه ودُنوُّه منهم بعد بُعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقربُ إليهم منه في الساعة السابقة هذا وأما الاعتذارُ بأن قربه بالإضافة إلى ما مضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله – عز وجل – أو باعتبار أن كلّ آتٍ قريبٌ فلا تعلّق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه فتمكن معنى المبالغة والتهويل مباشر وواضح[١٧٠]. وكذلك قوله تعالى : (واقْتَرَبَ الوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هي شَاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِين كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)[١٧١]. ففي قوله : (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) اقترب يوم القيامة

---

(١٦٨) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٢ / ١٦٨ .

(١٦٩) ينظر : ملاك التأويل : ٢ / ٣٤٥ .

(١٧٠) ينظر : تفسير ابي السعود : ٦ / ٥٣

(١٧١) الأنبياء : ٩٧.

منهم ، والواو في قوله (واقترب الوعد الحق) مقحمة ، ومعنى الكلام : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذلك نظير قوله (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) معناه : ناديناه ، بغير واو وهذا غاية في المبالغة بالوعيد والانذار[١٧٢].

٢ لإظهار أصل الفعل او الاتيان بأصل الفعل : قوله تعالى : (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)[١٧٣] ، (سمع) السين والميم والعين أصل واحد ، وهو ايناس الشيء بالأذن ، من الناس وكل ذي أذن . تقول : سمعت الشيء سمعا . والسمع : الذكر الجميل . يقال قد ذهب سمعه في الناس ، أي صيته . ويقال سماع بمعنى استمع[١٧٤] ، أي : ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم ، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم فجاءت (استمعوه) لبيان حالهم اثناء تلاوة ما انزل الله عليهم من آيات الذكر الحكيم اعراضا ولهوا وعنادا منهم[١٧٥] ، ويقال : قراءة النبيّ – صلّى الله عليه وآله سلّم – القرآن مرة بعد مرة (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) ، يعني : يستمعون لاعبين ، ويقال : وَهُمْ يَلْعَبُونَ يعني : يهزئون ويسخرون[١٧٦] ، وان هؤلاء مازالوا مستقرين على اصل فعلهم وانه

---

[١٧٢] ينظر : تفسير القرطبي : ١٨ / ١٢٠.

[١٧٣] الأنبياء : ٢.

[١٧٤] ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١٠٢.

[١٧٥] ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٠٩.

[١٧٦] ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤١٩.

ما جدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً ، وكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون ، إلا زادهم ذلك سخرية واستهزاء وثباتاً على فعلهم هذا [177].

٢- **الاتخــاذ** : من ذلك قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ) [178] . ففي الآية الكريمة جاء معنى الاتخاذ باللفظ والمعنى واتخاذهم للآلهة هو بأنهم عبدوها وجعلوها آلهة تعبد من دون الله وإن كان السياق في موضع الإنكار عليهم ولو لم يتخذوا آلهة حقيقة لما كان هناك داعيا للإنكار عليهم[179] . اتخذ من (تخذ) يتخذ ، اجتمع فيه التاء الأصلي وتاء الافتعال فأدغما ، وهذا قول حسن ، لكنَّ الأكثرون على أن أصله من الأخذ ، وأن الكلمة مهموزة ولا يخلو هذا من خلل ، لأنه لو كان كذلك لقالوا في ماضيه ائتخذ بهمزتين ، على قياس ائتمر وائتمن . ومعنى الأخذ والتخذ واحد ، وهو حوز الشيء وتحصيله ، ثم قال : والاتخاذ يعدى إلى مفعولين ويجرى مجرى الجعل[180] ، وتخذ الشيء تخذا ، وتخذا ، الأخيرة عن كراع ، واتخذه : عمله ، وقوله عز وجل : (إن الَّذين اتخذوا

---

[177] ينظر : تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط : الأولى ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م : ١٧ / ٥ .

[178] الأنبياء : ٢٤ .

[179] ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٢٣ .

[180] تاج العروس : ٩ / ٣٧٠.

العِجل)[١٨١] أرادَ : اتَّخِذوه إلهاً ، فحذف الثاني ، لأن الاتخاذ نَبِسُ عَلَيْهِ[١٨٢] . وكذلك قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ)[١٨٣] ، وكذلك قوله تعالى : (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)[١٨٤] ، لو أردنا أن نتخذ ولدا ذا لهو ، أو امرأة ذات لهو ، لاتخذناه من لدنا. وقد أحسن ابن قتيبة في شرح الآية كل الإحسان ، فقال : التفسير أن المرأة والولد في اللهو متقاربان ويُتخذان كذلك ، لأن امرأة الرجل لهوه ، وولده لهوه ، ولذلك يقال: امرأة الرجل وولده ريحانتاه[١٨٥] ، وقوله تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ)[١٨٦] ، الآية كقول بعضهم : (اتَّخذ الملائكة بناتا) ، وكما قالت النَّصارى في عيسى ابن مريم ، واليهود في عزيز فجعلوا كل واحد من هؤلاء الانبياء إلها يعبدونه من دون الله[١٨٧] . ومعنى اتخاذه هزوا أنهم يجعلونه مستهزأ به فهذا من الإخبار وجاء الفعل بصيغة المضارع (يتخذونك) دلالة على عنادهم في اتباع هذا العمل والسير عليه أي جعلوك بحمل أنفسهم على ضد ما يعتقد فيك ما ليس فيك شيء منه ؛ ثم يبين استهزاءهم به بأنهم يقولون إنكارا

---

[١٨١] الأعراف : ١٥٢.

[١٨٢] مقاييس اللغة : ٥ / ٨٤٠.

[١٨٣] الأنبياء : ٢١.

[١٨٤] الأنبياء : ١٧.

[١٨٥] ينظر : التفسير الوسيط للواحدي : ٣ /٢٣٢.

[١٨٦] الأنبياء : ٢٦.

[١٨٧] ينظر . الجواهر الحسان : للثعالبي : ٤/٨٤ .

واستصغارا : (أهذا الذي يذكر) أي : بالسوء المتكلم قال أبو حيان : والذكر يكون بالخير والشر [188] .

- المعاني الواردة في السورة لصيغة (استفعل) :

١- معنى (تفعّل) ومعنى المبالغة :

تأتي صيغة (استفعل) بمعنى (تفعل) يقول سيبويه : ((وقد دخل استفعل ههنا ، قالوا : تعظم واستعظم ، وتكبر واستكبر)) [189] ، ومن ذلك قوله تعالى : (لهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ) [190] ، ورد في الآية الكريمة لصيغة (استفعل) معنيان اما الاول ففي قوله : (يستكبرون) وهو اخبار من الله عز وجل عن ملائكته أنهم لا يتكبرون وان ليس من صفاتهم هذه الصفة الذميمة التي لا تليق بالإنسان المسلم فمن باب اولى ان لايوجد شيء من أدران هذه الصفة في ملائكة الرحمن الذين ورد ذكرهم في قوله : (ومن عنده) والمراد بهم الملائكة بإجماع الأمة ولأنه تعالى وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا وهذه العندية عندية الشرف والرتبة لاعندية المكان والجهة فكأنه تعالى قال الملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن

---

[188] ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٦٦ ، نظم الدرر : ٥ /٨٣ .
[189] الكتاب : ٤ / ٧١
[190] الأنبياء : ١٩

طاعته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته ، منتب التكبر في الارض[١٩١] .

أما المعنى الثاني الذي وردت به صيغة (استفعل) معنى المبالغة في الطلب فهي في قوله : (ولا يستحسرون) ففي الآية الكريمة معنى المبالغة في الطلب بنفي هذه الصفة عنهم اخبارا من الله عنهم قال الزجاج ولا يستحسرون ولا يتعبون ولا يعيون قال صاحب (الكشاف) فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى اشارة على مثلبهم الراحة التي هي من صفات البشر وفي الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الشاقة بأن يستحسروا فيما يفعلون[١٩٢] ، وارى ان الصيغة ، هنا افادت معنى التكثير وذلك من خلال ما ذُكر من صفات للملائكة من كثرة التسبيح والسجود وذلك بدلالة قوله (لايفترون) ، والاستحسار : الكلال والتعب . يقال : حسر البصر يحسر حسورا – من باب قعد – إذا تعب من طول النظر ، ومنه قوله – تعالى : (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)[١٩٣] أي : كليل متعب[١٩٤] .

---

(١٩١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٢ / ١٢٨ .

(١٩٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٢ / ١٢٦ .

(١٩٣) الملك : ٤ .

(١٩٤) ينظر : التفسير الوسيط : ٩ / ١٩٥ .

٢- بمعنى (أفعل) :

وردت صيغة (استفعل) بمعنى (أفعل) في السورة في اكثر من آية وذلك في قوله تعالى في الآيات الكريمات : (ونُوحاً إذْ نادى مِن قبْلُ فاسْتَجبْنا لَهُ فَنَجّيْنَاهُ وأَهْلَهُ من الْكَرب الْعَظيم) [١٩٥] وفي قوله : (فاسْتجبْنا لَهُ فكشفْنا ما به من ضُرٍّ وآتيْناهُ أهْلَهُ ومثْلَهُم معَهُمْ رحْمةً مّنْ عندنا وذكْرى للعابدين) [١٩٦] ، وفي قوله : (فاسْتَجبْنا لهُ ونجّيْناهُ من الْغَمّ وكذلِك نُنجي الْمُؤْمنينَ) [١٩٧] . واخيرا في قوله : (اسْتَجبْنا لهُ ووهَبْنا لَهُ يحْيى وأصْلَحْنا لهُ زوْجهُ إنّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ في الْخيْراتِ ويَدْعُوننا رغباً ورَهباً وكانُوا لنا خاشعين) [١٩٨] ، في الآيات الكريمات أعلاه وردت صيغة (استفعل) ، وكما هو معلوم فإنّ لفظة (نجيناه) تختصُّ بنبي من انبياء الله – عليهم السلام – فالأولى لنبي الله نوح – عليه السلام – والثانية لنبي الله أيوب عليه السلام والثالثة لنبي الله يونس – عليه السلام – والآية الرابعة في حق نبي الله زكريا – عليه السلام– والملاحظ في سياق الايات الكريمات انفة الذكر ان هنالك كلمة مشتركة بين هده الآيات التي هي (نادى) وهنا يتجلى معنى الطلب من هذه الكلمة على الرغم من اختلاف سياق الطلب في كل اية ففي طلب نوح – عليه السلام – الذي هو انزال العذاب بقومه للانتقام منهم واهلاكهم اما في ايتي نبي الله أيوب ويونس – عليهما السلام – فهو

---

[١٩٥] الأنبياء : ٧٦ .

[١٩٦] الأنبياء : ٨٤ .

[١٩٧] الأنبياء . ٨٨ .

[١٩٨] الانبياء : ٩٠ .

شدة الطلب والمبالغة فيه في كشف الضر لأن نبي الله ايوب عليه السلام - كان شدة وضنك – كما هو معروف في قصته – وكذلك نبي الله يونس - عليه السلام – وإن كان ضنك يونس أشد – والله أعلم – لأنه كان في بطن الحوت وفي ظلمات ثلاث – ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت لذلك قال الله : (فنادى في الظلمات) بجمع الظلمات أي : ان ذا النون كان في اكثر من ظلمة وأما في الآية الكريمة الاخيرة فهو طلب الذرية من قبل زكريا. قال ابن فارس : ((جوب) الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ خَرْقُ الشَّيْءِ . يُقَالُ جُبْتُ الأَرْضَ جوبا ، فأنا جَائِبٌ وجَوَّابٌ))[199] اما المعاني التي جاءت بصيغة (استفعل) في الأيات الكريمات ففيه قولان : أما الاول فإن هذه الصيغة أفادت معنى الطلب وهذا كثير في هذه الصيغة فيكون معنى الصيغة على ضوء هذا القول أنهم يطلبون من الله - عز وجل – أن يستجيب دعاءهم إن كان بكشف الضر عنهم او باهلاك اعدائهم ، على ما تقدم تكون صيغة استفعل جاءت بمعنى الطلب أما الثاني فإن صيغة استفعل هنا جاءت بمعنى (أفعل) لأن استعمال صيغة استفعل بمعنى أفعل كثير في القرآن الكريم كما ذُكر سابقا فضلا عن أن صيغة (استفعل) توافق أفعل في التعدي واللزوم[200] .

٣- **بمعنى (فعل)** :

وردت صيغة استفعل في السورة بمعنى الثلاثي المجرد(فعل) وقد

---

[199] مقاييس اللغة : ١/ ٤٩١.

[200] ينظر : تفسير البحر المحيط : ٢ / ٥٤ .

أغنت استفعل عن مجيء الصيغة (فعل) وذلك في قوله تعالى : (ولقد استُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [٢٠١] ، ففي الآية الكريمة استفعل بمعنى (فعل) المجرد ، و (هزأ) الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة . يقال : هزئ واستهزأ ، إذا سخر[٢٠٢] . هزأ (به ، كمنع وسمع) يتعدى بمن تارة وبالباء أخرى[٢٠٣] ، واستفعل بمعنى فعل تقول هزأت به واستهزأت بمعنى كاستعجب وعجب ، وذكر الغزالي أن الاستهزاء الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحكمنه[٢٠٤] ، ففي بداية الآية الكريمة جاءت صيغة استفعل بصيغة المبني للمجهول بقوله (استُهزئ) ومجيئها بصيغة المبني للمجهول لقصدية وغرض وهو التحقير والتقليل من شأن الذين استهزأوا برسله – عليهم السلام – إذ إن هؤلاء لا يستحقون أن يُذكروا حتى في سياق الآية الكريمة بذكرهم بصيغة المعلوم بل الأولى أن يذكروا بالمجهول زيادة في تحقيرهم وازدرائهم من قبل الباري سبحانه[٢٠٥] ومعلوم أن من أغراض المبني للمجهول هو **التحقير** وهو أن يهمل المرسل ذكر الفاعل إهمالا مقصودًا ، أو تحقيرا له

---

[٢٠١] الأنبياء : ٤١.

[٢٠٢] لسان العرب : ٦ / ٥٢.

[٢٠٣] تاج العروس : ١ / ٥٠٩.

[٢٠٤] ينظر : روح المعاني : ١ / ١٦٠.

[٢٠٥] ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل / الدكتور فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م : ٨٣٢ .

ومراعاة مشاعر المرسل إليه الذي يكره سماع لفظ الفاعل[٢٠٦] . ومن الأمثلة على ذلك قولهم : (قُتِلَ الحسين) ، (وأُوذي بلال) ومما يؤوّل هذا التأويل قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئِلَ موسى من قبل)[٢٠٧] ، فأفادت الصيغة – وإن كانت مبنية للمجهول – معنى (فعل) المجرد .

---

[٢٠٦] حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م : ٦ / ٧٨ .

[٢٠٧] سورة البقرة : ١٠٨.

الخاتمة :

في ختام البحث في معاني احرف الزيادة في سورة الانبياء توصلت الى الاتي :

١- ان قاعدة الزيادة في المبنى زيادة في المعنى هي قاعدة رصينة ووضعت بعد الاستقراء الصحيح من قبل علمائنا الافذاذ .

٢- هناك في الصيغة الواحدة اكثر من معنى كما في صيغة (أفعل) فإن الغالب في معناها التعدية اضافة الى ما تأتي به من معنى اخر في الكلمة الواحدة .

٣ - أن أكثر الصيغ ورودا في سورة الانبياء هي صيغة (افعل) .

٤- تنوع المعاني التي خرجت اليها الصيغ الواردة في السورة بحسب السياق .

٥- ان معاني الصيغ في النص القرآني افادت المفسرين وأعانتهم على تأويل آيات القرآن الكريم وهنا تتجلى اهمية استقراء علماء اللغة لمعاني الصيغ في العربية .

المصادر :

- القرآن الكريم

١. التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) : الدكتور فاضل صالح السامرائي .
٢. ادب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة .
٣. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
٤. الاصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
٥. انوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
٦. اوزان الفعل ومعانيها ، الدكتور هاشم طه شلاش ، بغداد ، د.ت.
٧. بحر العلوم ، ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق : الدكتور محمود مطرجي ، دار النشر : دار الفكر بيروت .

٨. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر والتوزيع .

٩. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .

١٠. تفسير الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق ودراسة : الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني – ، كلية الآداب – جامعة طنطا . (الطبعة الأولى : ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م) ، عادل بن علي الشّدي (دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى : ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)، هند بنت محمد بن زاهد سردار كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى الطبعة الأولى : ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١١. تفسير البحر المحيط ـ ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

١٢. تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦ م .

١٣. تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار ، دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥م.

١٤. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي . أبو منصور ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١م .

١٥. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .

١٦. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية – الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة : الأولى – ١٤١٨ هـ .

١٨. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، محمد بن علي الصبان الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان – الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م .

١٩. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : الرابعة . د.ت .

٢٠. دروس التصريف ، محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ، سنة النشر : ١٤١٦ – ١٩٩٥.

٢١. ديوان الأدب معجم لغوي تراثي ، لأبي إبراهيم الفارابي ، تحقيق : عادل عبد الجبار الشاطي ، مكتبة لبنان ناشرون تاريخ النشر : ٢٠٠٣م.
٢٢. روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت .
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – : أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان .
٢٤. زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
٢٥. شذا العرف في فن الصرف ، أحمد بن محمد الحملاوي ، تحقيق : نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد الرياض .
٢٦. شرح البناء ، محمد الكفوي ، طبعة ١٣٠١هـ .
٢٧. شرح القصائد التسع المشهورات ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق : أحمد خطاب ، وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، العراق – بغداد ، ١٩٧٣م .
٢٨. شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني ، أبو عبد الله ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٢٩. شرح المفصل- موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، بيروت – لبنان .

٣٠. شرح تصريف الزنجاني : للقاضي سعد الدين التفتازاني ، ضمن كتاب جامع المقدمات طهران – طبعة حجرية .
٣١. شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده ، عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي ، حققهما ، وضبط وشرح الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، كلية اللغة العربية ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .
٣٢. فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت / الطبعة : الأولى – ١٤١٤ هـ .
٣٣. الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر .
٣٤. في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق – بيروت – القاهرة ، الطبعة : السابعة عشر – ١٤١٢ هـ .
٣٥. الكتاب – عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي ، القاهرة – الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٣٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق :

الأستاذ نطير السعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الاولى ١٤٢٢ ، هـ – ٢٠٠٢م .

٣٧. الكناش في النحو والتصريف ، لأبي الفداء ت٧٣٢هـ ، تحقيق : جودة مبروك محمد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م .

٣٨. لسان العرب لابن منظور تحقيق عبدالله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف – جمهورية مصر العربية – القاهرة - كورنيش النيل .

٣٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل / الدكتور فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي / دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن / الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

٤٠. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت ، لبنان .

٤١. مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية ، بيروت – صيدا .

٤٢. المخصص / لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : خليل إبراهم جفال : الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٤٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها . عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق . فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٤٤. المفتاح في الصرف ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، حققه وقدم له : الدكتور علي توفيق الحمد ، كلية الآداب – جامعة اليرموك – إربد – عمان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : الأولى (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م).

٤٥. معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة المرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٤٦. معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

٤٧. معجم مقاييس اللغة . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر – دمشق . ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٤٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد ، جمال الدين ، ابن هشام ، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق الطبعة : السادسة ، ١٩٨٥م .

٤٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب (بفخر الدين الرازي) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة : الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٥٠. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل / لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٥١. المهذب في علم التصريف ، هاشم طه شلاش ، الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي ، الدكتور عبد الجليل العاني ، بغداد ، د.ت .

٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٥٣. النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

٥٤. النوادر لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق ودراسة : محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق الطبعة : الأولى ١٩٨٠م – ١٤٠١هـ .

٥٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي / المكتبة التوفيقية – مصر .

٥٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي ، تحقيق وتعليق : الشيخ

عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الدكتور أحمد محمد صيرة ، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل ، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه : الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

الدوريات والمجلات :

١- مجلة البيان ، مقال بعنوان (اللغة والعصر) ، الدكتور ابراهيم اليازجي ، العدد ١٥ .

٢- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة بحث بعنوان (أثر التضعيف في تطور اللغة العربية) ، الدكتور مصطفى جواد الخالصي ، عدد ١٩، ١٩٦٥م .

التعالق بين البنية والدلالة
ـ دراسة في بعض الأفعال القرآنية ـ

الأستاذة الدكتورة لطيفة عبد الرسول عبد
كلية الآداب / الجامعة المستنصريه

الملخص :

لقد جاء هذا البحث ليقف على صور التحولات التي تقع في صيغ الأفعال (قضى ، وذاق ، وقدر) في السياق القرآني ، وذلك بالتحول من الفعل الماضي إلى المضارع أو العكس ، وكذلك التحول من الماضي إلى الأمر ومن الأمر إلى الماضي ، وهكذا في السياق نفسه .

وهذه التحولات للأفعال في السياق القرآني الواحد لها أبعاد بلاغية ، ومقاصد دلالية يعمد إليها النظم القرآني ، وتكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

وقد تتبع البحث أشكال هذه التحولات في الأفعال كاشفا عن دلالات هذه التحولات ومحللا لهذه المواضع في الآيات القرآنية .

ولم يقف الباحث عند حدود التعليل النحوي فقط بل تجاوز إلى التعليل البلاغي والتحليل الدلالي ، محاولا في كل ذلك ربط التركيب بالمعنى والوقوف على دلالات أزمنة الأفعال من خلال السياق القرآني ، وعدم الاقتصار على الدلالة الصرفية للأفعال خارج السياق .

يوجد تصوران يحكمان طبيعة التعالق بين البنية والدلالة :

١. تصور يرى أن عدّ اللغة العربية أشكالا وبنى إعرابية لا تتأثر بدلالة المادة المعجمية .

٢. تصور مغاير يذهب إلى التعالق المّستقى من ارتباط الدلالة بالبنية ومن ثم تشكيل المسارات التي تتصل بهذه العلاقة اختزالا أو تفريعاً .

والأفعال التي سيقف عندها البحث هي : قضى ، وداق ، وقدر .

الفعل (قضى) بناء . وأساليبه

إنّ أساليب هذا الفعل على نوعين من حيث ارتباطهما بالدلالة أو عدم ارتباطهما .

فالنوع الأول : هو الذي يربط الدلالة أي إذا كانت دلالة الفعل في بنية كذا ، فإن أسلوبه يكون كذا ... باطراد ، فالنوع الآخر لا يرتبط هذا الارتباط ، وإنما تكون العلاقة بين البنية والدلالة حرة وليست لازمة ولا مقيدة وبعد فإن هذه الدراسة تجمع بين البنية والدلالة .. والعلاقة في طرفي المعادلة – الدلالة والبنية – علاقة في الأغلب الأعم لذلك لكل دلالة من دلالاته أساليبها المتصلة بها اتصالا يكاد يكون لازما كما سيتضح في أثناء الدراسة والمعادلة تجمع بين الطرفين عند دراسة الأساليب هي معادلة الدلالة والأسلوب .

دلالات الفعل وأساليبه :

إن دلالات الفعل (قضى) (نقضي) (اقض) في القرآن الكريم هي :

١. قضى : بمعنى أنهى عملا ما أو أتمه (١) . وقد جاء في القرآن قوله تعالى : (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) الحج / ٢٩ .

وكلمة (تفث) تعني - كما قال كبار اللغويين والمفسرين - القذارة وما يلتصق بالجسم وزوائده كالأظافر والشعر ، ويقول البعض : إنّ أصلها يعني القذارة التي تحت الأظافر وأمثالها . وبالرغم من وجود هذا الاشتقاق في كلام العرب ، فقد أنكره بعض اللغويين . والمفسرين في معنى التفث وانقسموا إلى فريقين : **الفريق الأول :** يذهب إلى أن هذه الكلمة لم تكن معروفة قبل بيان معناها من قبل المفسرين ، ومن هؤلاء : أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) ، والزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) ، والقاضي الإمام أبو الطيّب الطبري (ت ٤٥٠ هـ) حيث قال : (هذه لفظة عربية عربية لم يجد أهل المعرفة فيها شعرا ، ولا أحاطوا بها خبرا) . [١]

الفريق الثاني : ذهب إلى بيان المعنى اللغوي لكلمة (تفث) وكأنها من الكلمات المعروفة في اللغة عندهم ومنهم :

المبرد الذي قال : (إنّ أصل التفث في كلام العرب : كل قاذورة تلحق الإنسان ، فيجب عليه نقضها) . [٢]

---

[١] أحكام القرآن : ابن العربي : ٣ / ٢٨٤ .

[٢] مفاتيح الغيب : الرازي : ٢٣ / ٣٠ .

ويرى بعض الفقهاء والمفسّرين أن مفهوم الطواف عام هنا ؛ لأن الآية لم تتضمن

قيوداً أو شرطاً ما ، فهي تضمّ طواف الحجّ وطواف النساء ، حتّى أنّها تشمل طواف العمرة أيضاً .

٣ - احتمل بعض المفسرين القصد من النذور القيام بمشاعر الحجّ ، إلاّ أنّه بمراجعة حالات استعمال كلمة النذر في القرآن المجيد ، يتّضح لنا أنّه يقصد المعنى المتداول من كلمة النذر ، لهذا فإن استخدامها في مناسك الحجّ دون دليل ، خلافاً لمعناها الظاهر .

في وقت يرى مفسّرون آخرون أنّ الآية تقصد طواف الزيارة فقط ، الذي يجب على الحاج بعد إحلاله من إحرام الحجّ .

إلاّ أنّ الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) تفيد أنّ القصد هنا طواف النساء ، ففي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير (وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) قال : (طواف النساء) [٣].

كما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حديث بهذا المعنى[٤] وهذا الطواف يسمّى عند أهل السنّة طواف الوداع .

ومع ملاحظة هذه الأحاديث يبدو التفسير الأخير هو الأقوى ، خاصّة إذا عبّر بهذا المعنى أيضاً في تفسير (ثمّ ليقضوا تفثهم) حيث يجب

---

[٣] كنز العرفان ، المجلّد الأوّل ، ٢٧١ .

[٤] تفسير الطبري : ١٢ / ١٧٢ ، وينظر / ابن كثير : ٧ / ٣٩٤ ، وفي قول الإمام (عليه السلام) ينظر : مسند الإمام الرضا / الشيخ عزيز الله عطاردي : ١ / ٣٥٧ .

إضافة الى تطهير البدن من القذارة والشعر الزائد ، استعمال العطر ايضا . ومن المعلوم أنّه لا يجوز استعمال العطور في الحجّ إلاّ بعد إتمام الطواف والسعي ، أو عندما لا يكون طواف بذمّة الحاج إلاّ طواف النساء .

وأشارت الآية الأخيرة إلى خلاصة ما بحثته الآيات السالفة الذكر ، حيث تبدأ بكلمة (ذلك) التي لها جملة محذوفة تقديرها (كذلك أمر الحج والمناسك) ثم تضيف تأكيدا لأهمية الواجبات التي شُرحت (ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه)

يراد إليها احترام الكعبة خاصة والحرم المكّي عامّة . وعلى هذا فإنّ تفسير هذه الآية باختصاصها بالمحرمات ـ أي كلّ ما نهى الله عنه ـ أو جميع الواجبات ، مخالف لظاهر الآية . كما يجب الانتباه إلى أنّ (حُرمات) جمع (حُرمة) وهي في الأصل الشيء الذي يجب أن تحفظ حرمته ، وألاّ تنتهك هذه الحرمة أبدا .

ولعلّ من دمجوا بين الحقيقة اللغوية ، والحقيقة الشرعية أخذوا هذا من قول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : (من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلا ، أو نهارا ، فقد تمّ حجه ، وقضى تفثه) .[٥]

وفي هذا الحديث الشّريف غاير بين إتمام الحج ، وقضاء التفث ، فلم يجعلهما شيئا واحدا مما يدلّ أن للتفث معنى غير المناسك ، وهو الوسخ ، والقذر كما ذكره غير واحد من ائمة اللغة .

---

[٥] وسائل الشيعة المجلّد التاسع الصفحة ٣٩٠ (أبواب الطواف الباب الثّاني.)

وكذلك قوله : (فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) الجمعة / ١٠

ولكن ما أساليب هذه المعنى ؟

جاء منه :

* **الأسلوب الأول : الأصلي** : ويتكون من : الفعل ، الفاعل ، المفعول به كما في الآية الأولى أعني : (ليقضوا تفثهم) .

وكذلك قوله سبحانه : (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطُّور نارا) القصص/٢٩

المراد بقضائه الأجل إتمامه مدة خدمته لشعيب (عليه السلام) والمروي أنه قضى أطول الأجلين ، والإيناس الإبصار والرؤية ، والجذوة من النار القطعة منها ، والاصطلاء الاستدفاء [٦] . والسياق يشهد أن الأمر كان بالليل وكانت ليلة شديدة البرد وقد ضلوا الطريق فرأى من جانب الطور وقد أشرفوا عليه نارا فأمر أهله أن يمكثوا ليذهب إلى ما آنسه لعله يجد هناك من يخبره بالطريق أو يأخذ قطعة من النار فيصطلوا بها ، وقد وقع في القصة من سورة طه موضع قوله : (لعلي آتيكم منها بخبر) إلخ قوله : (لعلّيَ آتيكم منها بقبسٍ أو أجدُ على النار هدى) (طه : ١٠) وهو أدل على كونهم ضلوا الطريق ، و كذا في قوله خطابا لأهله : (امكثوا) إلخ ، شهادة على أنه كان معها من يصح معه خطاب الجمع[٧] . * **الأسلوب الثاني : تحويلي** : لم يبقَ منه إلا العنصر الفعلي ومن ذلك ما ورد في قوله

---

[٦] أخرجه أحمد بن حنبل : ١٥ / ٢١٦ ، ٢٦٢ .

[٧] تفسير الميزان : /٤٣٤ ، ٣٢٥ .

تعالى (فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) الأحقاف / ٢٦ .

٢. قضى : بمعنى أمر . ومنه قولة تعالى : (وقضى ربُّكَ ألا تعبدوا إلا إيّاه) الإسراء/٢٣.

قال الطبري : وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله : (وَقَضَى رَبُّكَ) وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا .

عن عليَ عن ابن عبّاس : (وقضى ربُّكَ ألا تعبُدوا إلاّ إيّاه) ، يقول : أمر . [٨]

وجاء منه أسلوب واحد من العناصر الآتية :

١. الفعل ٢. الفاعل ٣. جملة (إن) التفسيرية

٣. قضى إليه بمعنى كتب إليه : ومنه قوله سبحانه :

(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنَّ في الأرض مرتين ولتعلُنَّ عُلُوّا كبيرا) الإسراء / ٤ .

قال الزمخشري :

(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وأوحينا إليهم وحيا مقضيا ، أي : مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة ، ويعلون ، أي : يتعظمون ويبغون فِي الْكِتَابِ في التوراة ، ولَتُفْسِدُنَّ جواب قسم محذوف . ويجوز أن يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم ، فيكون لَتُفْسِدُنّ جوابا له ، كأنه قال : وأقسمنا لتفسدن . وقرئ : لتفسدن ، على البناء للمفعول . ولتفسدن ، بفتح التاء من فسد مرّتيْن أولاهما : قتل زكريا وحُبِس أرميا حين

---

[٨] تفسير الطبري : ٢ / ٢٨٤ .

أنذرهم سخط الله ، والآخر . قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم عِبادا لنا ... وأكثر ما يقال .

عباد الله وعبيد الناس : سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر . وعن ابن عباس : جالوت . قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة ، وخربوا المسجد ، وسبوا منهم سبعين ألفا . فإن قلت : كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه . قلت : معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم ، على أنّ الله عزّ وعلا أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه ، فهو كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالمين بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُون) وكقول الداعي . وخالف بين كلمهم . وأسند الجوس وهو التردّد خلال الديار بالفساد إليهم ، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم ... وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل ثُمّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ أي : الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو. قيل : هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم ، وقيل : هي قتل داود جالوت أَكْثَرَ نَفِيرا مما كنتم ...) [9].

وقال الراغب الأصفهاني ((فهذا قضاء بالإعلام)) ، والفصل في الحكم ((أعلمناهم وأوحينا اليهم وحيا جزما)) [10]

وله أسلوب (انزياحي) واحد مكون من :

الفعل ، الفاعل ، المفعول غير المباشر ، المفعول

---

[9] الكشاف للزمخشري : ٢ / ٦٠٦ ، و ينظر : التفسير الكبير ٣١/٢٣.

[10] ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ٦٧٤.

٤. قضى : بمعنى (أوحى إليه) ولذلك جاء مقترناً بحرف الجر (إلى) وشاهده قوله تعالى : (وقضينا إليه ذلك الأمرَ أنّ دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين) قضينا : قدّرنا ، وضُمن معنى : أوحينا ، فعُدي بـ (إلى) (ذلك الأمر) ، وأوحينا اليه أي : إلى لوط (عليه السلام) ، أي : أوحينا بما قضينا ، و (ذلك الأمر) إبهام للتهويل ، وإشارة للتعظيم ، أي : الأمر العظيم ، و (أنّ دابر هؤلاء مقطوع) جملة مفسرة لـ (ذلك الأمر) ، وهي المناسبة للفعل المُضمّن ، وهو (أوحينا) فصار التقدير : وقضينا الأمر ، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، فنظم الكلام هذا النظم البديع الوافر المعنى بما في قوله : ذلك الأمر ، ومن الإبهام والتعظيم ، ومجيء جملة (دابر) مفسرة مع صلوحيه (أن) ؛ لبيان كلّ من إبهام الإشارة من الفعل (أوحينا) المقدّر المضمن ، فتم بذلك إيجاز بديع معجز ، والدابر الآخر : أي آخر شخص ، فقطعه : إزالته ، وهو كناية عن استئصالهم كلهم ، كما تقدّم عند قوله تعالى : (فقُطِع دابر القوم الذين ظلموا) الأنعام / ٤٥ .

وإشارة هؤلاء إلى قومه مصبحين : داخلين في الصباح ، أي في أول وقته ، وهو حال لاسم الإشارة . [١١]

وهؤلاء قوم لوط ومنه أسلوب انزياحي واحد مكون من

ذلك الأمر	+	إليه	+	نا	+	الفعل
المفعول المباشر		م. غير المباشر		الفاعل		وقضى

---

[١١] ينظر تفسير ابن عاشور : ١٥ / ١٦٥ .

إذا اقترن بحرف الإضافة (نا) دلّ على أن الأمر لم يقع بعد

د. قضي في الأمر : فصل

ومن شواهده القرآنية قوله :

١.) إنّ ربّك يقْضِي بينهم بحُكمه) النمل/٧٨

٢. وقوله : (إنّ ربّكَ يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الجاثية / ١٧ ، ويونس / ٩٣

٣. وقوله : (والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقْضُون بشيء) غافر/٢٠ ولهذه الدلالة في القران عدة أساليب هي :

الأسلوب الأول : يتكون من :

الفعل +	الفاعل +	الظرف +	المفعول غير المباشر
قضى	هو	بينهم	فيما كانوا يختلفون

والذي نلاحظه هنا في هذه البنية أن الظرف (بينهم) جاء مقترنا بالفعل في جميع الموضوعات التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز

الأسلوب الثاني : ويتكون من :

الفعل + الفاعل (ضمير مستتر) + الظرف + نوع القضاء

يقضي هو :

الأسلوب الثالث ويتكون من العناصر الآتية

الفعل +	الفاعل +	الباء +	نوع القضاء
يقضي	ضمير مستتر		

فأساليبه كلها تحويلية .. هذا من وجهة نظر بصرية إذ لا يجوز عندهم أن يتقدم الفاعل على فعله . أما من وجهة نظر كوفية فالأساليب كلها انزياحية تحويلية

ومنه **اسلوبان تحويليان** : إذا يُبنى فيها الفعل المجهول وهما :

الأسلوب الأول : ورد في قوله تعالى : (فاذا جاء رسولهم قُضيَ بينهم بالقسط) يونس/٤٧.

الأسلوب الثاني : في قوله تعالى : (ولولا كلمةٌ سبقت من ربّكَ لقُضيَ بينهم فيما فيه يختلفون) يونس / ١٩ .

٦. تقضي بمعنى : أراد إرادة قطعية ، وهنا يأتي الفعل متعديا لمفعول واحد ورد فيه أسلوبان :

الأول : أصلي ..... والآخر .... تحويلي

ويتكون الأصلي من ثلاثة عناصر على النحو الآتي

الفعل + الفاعل + المفعول به

ومثاله قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة) الأحزاب / ٣٦ .

قوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ . . . الخ ، يشهد السياق على أن المراد بالقضاء هو القضاء التشريعي دون التكويني فقضاء الله تعالى حكمه التشريعي في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه في شأن من شؤونهم بواسطة رسول من رسله ، وقضاء رسوله هو الثاني من القسمين وهو

للتصرف في شيء من شؤون الناس [illegible] [illegible] [illegible]
قوله : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾

فقضاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) قضاء منه بولايته وقضاء من الله سبحانه لأنه الجاعل لولايته المنفذ أمره، ويشهد سياق قوله : ﴿ إذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ حيث جعل الأمر الواحد متعلق قضاء الله ورسوله معا ، على أن المراد بالقضاء التصرف في شؤون الناس دون الجعل التشريعي المختص بالله .

وقوله : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ أي ما صح ولا يحق لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يثبت لهم الاختيار من أمرهم بحيث يختارون ما شاؤوا وقوله : ﴿ إذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ ظرف لنفي الاختيار .

وضميرا الجمع في قوله : ﴿ لهم الخيرة من أمرهم ﴾ للمؤمن والمؤمنة المراد بهما جميع المؤمنين والمؤمنات لوقوعهما في حيز النفي ، ووضع الظاهر موضع المضمر حيث قيل : ﴿ من أمرهم ﴾ ولم يقل : أن يكون لهم الخيرة فيه للدلالة على منشأ توهم الخيرة وهو انتساب الأمر إليهم.

والمعنى : ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله ورسوله بالتصرف في أمر من أمورهم أن يثبت لهم الاختيار من جهة انتسابه إليهم وكونه أمرا من أمورهم فيختاروا منه غير ما قضى الله ورسوله بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله ورسوله [12].

---

(12) ينظر : أنوار التنزيل ٣/٥ .

وأما الأسلوب التحويلي فقد حذف فيه عنصر الفاعل وجاء في أربعة مواضع هي :

١ . (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون) البقرة/١١٧

٢ . (إذا قضى الله أمراً) آل عمران/٤٧

٣ . (إذا قضى أمراً) غافر/٦٨

٤ . (وإذا قضى أمراً) مريم/٣٥

٧. قضى : عمل عملاً غير متمكن ، ويأتي متعدياً لمفعول واحد وقد ورد في بنية خالية من حروف الجر في موضعين في آية واحدة في قوله تعالى : (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) .

وأما الأسلوب الثاني فهو تحويلي .... إذا حذفت الفاعل في البنية الأصلية ؛ لأن من سنن العربية حذفه في الأغلب إذا كان الفعل المفرد المخاطب المذكور وقد ورد بصيغة الأمر (وهو رأي البصريين) .

٨. قضي : انتهى نهاية لا رجعة فيها ولم ترد في الكتاب العزيز إلا بصيغة المبني للمجهول وذلك في قوله : (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر) مريم / ٣٩ .

وكان أمراً مقضياً : إشارة إلى حتمية القضاء في أمر هذا الغلام الزكي فلا يرد بإباء ، أو نحوه [١٣]

وقوله تعالى : (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) يوسف / ٤١

وقوله سبحانه : (وغيض الماء وقضي الأمر) هود/٤٤

---

(١٣) تفسير الميزان : ١٦ / ٣٦١ .

٩. قضي [١٤] بمعنى القضاء والقدر والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء : الخلق [١٥].

ولم يأت منه أسلوب انزياحي فضلا عن أن الآيات الواردة في هذا المعنى نادرة والفعل جاء متعديا لمفعول واحد .

وأما أسلوبه الأصلي قد جاء مرة واحدة في قول الحق تبارك وتعالى :

(وإذ يُريكمُوهُمْ اذا التقيتم في أعينكم قليلا ويُقللكُم في أعينهم ليَقضِي الله أمرا كان مفعولا) الأنفال/٤٤

والأسلوب التحويلي ورد في قوله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتُم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليَقضِيَ أجلٌ مُسمَى) الأنعام /٦٠ .

وجاء منه اسم مفعول بالمعنى نفسه في قوله سبحانه : (ولِنجعلهُ آية للناس ورحمةٍ مِنا وكان أمرا مقْضيا) مريم/٢١

وقوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها كان على ربِّك حتما مقضيا) مريم/٧١

قال الراغب الأصفهاني ((أي فصل تنبيها انه صار بحيث لا يمكن تلافيه)) [١٦] وإن منكم إلا واردُها كان على ربك حتما مقضيا) .

١٠. **قضى بمعنى مات** وقد ورد لازما ومتعديا وقد جاء بهذه الدلالة في ثلاث بنى واقترن فيها الفعل بحرف الجر (على) متصلا بضمير

---

[١٤] ينظر التفسير الكبير : ٢٤٠٧/٢٤ والجامع لأحكام القرآن : ٤١/٩

[١٥] ينظر التفسير الكبير ٢٠١/٢١ وأنوار التنزيل : ٥/٤.

[١٦] مفردات ألفاظ القرآن ٦٧٦

المفعول غير المباشر دائما ويبدو أن البنية التركيبية للفعل المذكور قد تطورت على ثلاث مراحل كل مرحلة مقترنة بأسلوب معين وها هي :

أسلوب المرحلة الأولى ويتكون من :

الفعل + الفاعل + المفعول غير مباشر + المفعول المباشر

وشاهده قول الحق : (فلما قضينا عليه الموتَ ما دلهم على موته إلا دابةُ الأرض تأكلُ منسأته) سبأ / ١٤

ويبدو أن هذه البنية هي الأصل في هذا الأسلوب ؛ لأنه لو تأخر الجار والمجرور عليه لحدث لبس ؛ لأن المراد من الآية والله اعلم (قضينا على سليمان بالموت) وليس نفذنا الموت عليه .[17].

أمّا الأسلوب الاخر فيتكون من ثلاثة عناصر هي :

الفعل + الجار والمجرور + الفاعل + المفعول المباشر

(وقد حذف) وشاهده قول الحق تبارك وتعالى : (ونادوا يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّكَ) الزخرف / ٧٧ .

والمحذوف هنا ((بالموت)) ؛ لان المراد من الآية هنا :

(ليقضِ علينا ربُّك)

وخطابهم مالكا بما يسألونه من الله سبحانه ؛ لكونهم محجوبين عنه كما قال تعالى : (كلا إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون) : المطففين / ١٥

وقال : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) : المؤمنون : ١٠٨ .

فالمعنى : إنهم يسألون مالكا أن يسأل الله أن يقضي عليهم ، والمراد بالقضاء عليهم إماتتهم ، ويريدون بالموت الانعدام والبطلان ؛ لينجوا بذلك عمّا هم فيه

---

[17] ينظر أنوار التنزيل : ٥/٦٤.

من الشقوة وأليم العذاب ، وهذا من ظهور ملكاتهم الدنيوية فإنهم كانوا يرون في الدنيا أن الموت انعدام وفوت لا انتقال من دار إلى دار فيسألون الموت بالمعنى الذي ارتكز في نفوسهم وإلا فهم قد ماتوا وشاهدوا ما هي حقيقته .[18]

وهو – كما أرى – عنصر ضروري في هذه البنية وقد حذف لأنه معلوم أولا ولتعظيم شأنه ثانيا – والله اعلم –

أسلوب **المرحلة الثالثة** ويتكون من الفعل الجار والمجرور وشاهده قوله جلّ شأنه : (والذين كفروا لهم نارُ جهنم لا يُقْضى عليهم فيموتوا ولا يُخففُ عنهم من عذابها كذلك نجزي كلَّ كفور) فاطر/٣٦

مقابلة الأقسام الثلاثة للذين أورثوا الكتاب بذكر الكافرين يزيدنا يقينا بأن تلك الأقسام أقسام المؤمنين ، ومقابلة جزاء الكافرين بنار جهنم يوضح أن الجنة دار للأقسام الثلاثة على تفاوت في الزمان والمكان .

وفي قوله تعالى في الكفار (ولا يخفف عنهم من عذابها) إيماء إلى أن نار عقاب المؤمنين خفية عن نار المشركين .

فجملة (والذين كفروا) معطوفة على جملة (جنات عدن يدخلونها) . ووقع الإخبار عن نار جهنم بأنها (لهم) بلام الاستحقاق للدلالة على انها أُعدت لجزاء أعمالهم كقوله تعالى : (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) في سورة البقرة وقوله : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) في سورة آل عمران ، فنار عقاب عصاة المؤمنين نار مخالفة أو أنها أعدت للكافرين .

---

[18] الميزان : ١٨ / ١٢٧ .

وإنما دخل فيها من أدخل من المؤمنين الذين ظلموا أنفسهم ، لاقترافهم الأعمال السيئة التي شأنها أن تكون للكافرين . وقدّم المجرور في (لهم نار جهنم) على المسند إليه حتى إذا سمعه السامعون تمكن من نفوسهم تمام التمكن . وجملة (لا يُقضى عليهم) بدل اشتمال من جملة (لهم نار جهنم) والقضاء : حقيقته الحكم ، ومنه قضاء الله حكمه وما أوجده في مخلوقاته . وقد يستعمل بمعنى أماته كقوله تعالى : (فوكزه موسى فقضى عليه) ، وهو هنا محتمل للحقيقة ، أي لا يقدر الله موتهم ، فقوله فيموتوا مسبب على القضاء . والمعنى . لا يُقضى عليهم بالموت فيموتوا ، ومحتمل للمجاز وهو الموت . وتفريع فيموتوا على هذا الوجه أنهم لا يموتون إلا الإماتة التي يتسبب عليها الموت الحقيقي الذي يزول عنده الإحساس ، فيفيد أنهم يموتون موتا ليس فيه من الموت إلا آلامه دون راحته ، قال تعالى : (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) وقال تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وضمير (عذابها) عائد إلى جهنم ليشمل ما ورد من أن المعذبين يعذبون بالنار ويعذبون بالزمهرير وهو شدة البرد وكل ذلك من عذاب جهنم[19] . ووقع كذلك موقع المفعول المطلق لقوله (نجزي) أي نجزيهم جزاء كذلك الجزاء ، وتقدم عند قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) البقرة / ١٤٣(وقضى عليه) بمعنى أهلكه وأنهى دوره .

---

[19] ينظر : تفسير الميزان : ١٨ / ٨٢ .

استعمل القرآن المجيد الفعل (ذاق) متعديا إلى مفعول واحد ظاهرا كثيرا ولم يحذف هذا المفعول إلا في حالات قليلة

ومن ذلك قوله سبحانه : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم بجلودٍ غيرها ليذوقوا العذاب) النساء / ٥٦ .

(كلما نضجت جلودهم) سرابيلهم ، بدلناهم سرابيل من قطران غيرها . فجعلت السرابيل القطران لهم جلودا ، كما يقال للشيء الخاص بالإنسان : هو جلدة ما بين عينيه ووجهه لخصوصه به . قالوا : فكذلك سرابيل القطران التي قال الله في كتابه : (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) لما صارت لهم لباسا لا تفارق أجسامهم جعلت لهم جلودا ، فقيل : كلما اشتعل القطران في أجسامهم واحترق بدلوا سرابيل من قطران أُخر . قالوا : وأما جلود أهل الكفر من أهل النار فإنها لا تحرق ؛ لأن في احتراقها إلى حال إعادتها فناءها ، وفي فنائها راحتها . قالوا : وقد أخبرنا الله تعالى ذكره عنها أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها . قالوا : وجلود الكفار أحد أجزاء أجسامهم ، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار ، جاز ذلك في جميع أجزائها ، وإذا جاز ذلك وجب أن يكون جائزا عليهم الفناء ثم الإعادة والموت ثم الإحياء ، وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون . قالوا : وفي خبره عنهم أنهم لا يموتون دليل واضح أنه لا يموت شيء من أجزاء أجسامهم ، والجلود أحد تلك الأجزاء ، وأما معنى قوله : (ليذوقوا العذاب) فإنه يقول : فعلنا ذلك بهم ليجدوا ألم العذاب وكربه

وشدته بما كانوا في الدنيا يكذبون آيات الله ويجحدونها[20] . هذه الآية تشير إلى أن مواقع الإحساس بالألم ، وألم الحريق بالذات موجودةٌ في الجلد ، فمن أجل أن يذوقوا العذاب ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها .

أما الأمعاء قال تعالى

﴿ وَسُقُوا ماءً حَميما فَقَطَّعِ امْعَاءهُمْ ﴾ محمّد / ١٥ .

ليس هناك إحساس بالحرارة ولا بالألم في الأمعاء ، ولكنه إحساس بالضغط فإذا جاء الضغط كافيا تقطعت الأمعاء، وهذا من الإعجاز القرآني

واستعمل مزيدا بهمزة التعدية فصار متعديا مفعولين نجد ذلك في قوله تعالى : هود/١١٢

(فأذاقها الله مع لباس الجوع والخوف) فيقول الراغب الأصفهاني ((من أجل انه لا يريد به التجربة والاختيار ، أي : فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ...) [21]

وقد تطورت بنى الفعل سواء أكان مجردا أم مزيدا بهمزة التعدية وقد لحق التطور الأصل والزيادة وسنفصل القول في كل منهما :

أولا : بنية الأصل

فتكون من ثلاثة عناصر هي :

الفعل + الفاعل + المفعول به

ومما ورد من ذلك في التنزيل العزيز : (فلما ذاقا الشّجرة بدت لهما سوءاتهما) الأعراف/ ٢٢

---

[20] ينظر : تفسير الطبري : ٤ / ٨٧ .

[21] مفردات ألفاظ القرآن : ٣٣٣ .

وقوله تعالى ((ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)) الأنعام/ ٣٠

وقوله تعالى ((كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا)) الأنعام/ ١٤٨ ، وغيرها .

في الآيات الكريمة نجد أن الله جلّ وعلا قد استعمل الفعل (ذاق) مع العذاب . ولعل النظم الذي أصاب بناء الأصل كان في حذف المفعول به بسبب من أسباب الحذف المختلفة كالتحقير[22] أو التهويل والتعظيم[23] وغير ذلك ومما ورد في كتاب الله العزيز قوله سبحانه : السجدة / ١٤

والتقدير فذوقوا العذاب ، وقول الحق في سياق منكري البعث إذ تتحدث الآيات قبلها عن حال هؤلاء يوم القيامة)) ... ((ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)) السجدة / ١٢

فكان في قوله هذا رد مناسب على عنادهم وموقفهم في هذا اليوم العصيب إذ جعل الله عقوبته الخزي والغم ونكس الرؤوس توبيخا على عنادهم وإنكارهم ليوم البعث وعدم استعدادهم لليوم الآخر وقد عبّر المولى سبحانه ((بالذوق عما يطرأ على النفس ، وإن لم يكن مطعوما ، لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم))[24]

أما التوسع في بنية الفعل فيتمثل بزيادة همزة التعدية لتصيّر الفعل متعديا بها إلى مفعولين كما في قوله تعالى ((ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور)) هود/ ٩ والذي نجده هنا أن

---

(22) ينظر التوبة / ٣٥ ، والقمر / ٤٨ ، والنحل / ٥٦ ، والسجدة / ٢٠ .

(23) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٣٤ .

(24) ينظر حاشية الكشاف : ٢ / ٢٢٠ .

التعبير القرآني أتى بالفعل ذاق في موضعه خلاف ما جاء من الإحسان والعمل ومن ذلك قوله سبحانه (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور) هود/ ١٠ . ويعبر الفعل (ذاق) عن الاختبار فالعرب تقول / أذقه ، ويقال فلان ذاق كذا وأنا أكلته أي خبرته الناس وأكلتهم ووزنتهم وكلتهم . فما استطاعت طعومهم ولا استرجحت حلومهم [1]

الاصل أن عناصر الجملة مسحت تتألف من أربعة عناصر هي :

الفعل + الفاعل + المفعول الأول + المفعول الثاني

كما ورد في قوله سبحانه . الشورى/ ٤٨

وقد استعمل الفعل (ذاق) مع الرحمة واستعمل الرحمة في الإذاقة وفي مقابلتها الإصابة فقال (وإن تصبهم سيئة) الشورى/٤٨ وذلك (تنبيها على ان الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر اشارة إلى قوله [2] (كلا إن الإنسان ليطغى إن راه استغنى) العلق / ٦ .

وقد يأتي الفاعل ضميرا في هذه البنية كما وجدنا في قوله تعالى : (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) هود / ١٠ أو قوله : (إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) الإسراء / ٧٥ ، فتكون البنية عندئذ على النحو الآتي :

الفعل + الفاعل (ضمير) + المفعول الأول+ المفعول الثاني . والفاعل كما نرى في الآيتين الكريمتين يعود على لفظ الجلالة وتقديره (نحن) ولا نقول إن الفاعل هنا محذوف . لأن الفعل (ذاق) لم يرد في التنزيل

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٩٨

(2) أساس البلاغة : ١٤١ .

العزيز مبنيا للمجهول بل ورد مبنيا للمعلوم في القرآن الكريم والسبب في ذلك والله اعلم أن الإذاقة يراد بها إذاقة الكفار العذاب فيكون في إظهار الفعل مواجهة لعنت الكفار وعنادهم والبلاغة والحكمة تقتضي إظهار الفعل لا تحويله إلى صيغة أخرى ونرى أن في ذلك تأثير أبلغ وأشد ابلاغا على المجرمين.[٢٧]

وهناك بنية أخرى نجدها في القرآن الكريم لهذا الفعل وهي حذف المفعول الثاني للفعل (أذاق) ولكنه لا يخلو من دليل يدل عليه ومن ذلك قول الحق : (لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) السجدة/٢١.

والمفعول الأول هنا الضمير (هم) أما المفعول الثاني فمحذوف وتقديره – والله اعلم – العذاب ، وقد دلّ عليه قوله (من العذاب الأدنى)

فتكون البنية حينئذ على النحو الآتي : الفعل + مع استتارة المفعول الأول .

أما الأسلوب الانزياحي لهذا الفعل فلم يأت من الثلاثي إلا في موضوعين وجاءت عناصره مرتبة على النحو الآتي :

الفعل + الفاعل + الجار والمجرور + المفعول به

قال تعالى : (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) الدخان/٥٦

وقال أيضا : (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا) النبأ /٢٤-٢٦

---

[٢٧] ينظر : تفسير الطبري ٢٠ / ٥٣٦ .

على أن هنالك فرقا بيّنا بين الهاء والضمير في آية الدخان والضمير في آية النبأ ، فالأول يعود على الجنة أما الآخر فيعود على النار نعوذ بالله منها .

الفعل " قدر " بناه ، وأساليبه

١. قدر بمعنى ضيّق[٢٨] ورد في اثنتي عشرة آية من القرآن الكريم[٢٩] ومنها قوله تعالى: الرعد /٢٦ وقوله : القصص/٨٢ .

ونلاحظ على الآيات الكريمة الواردة بهذا المعنى ما يأتي :

إن المولى عزّ وجلّ قابل في كل آية وردت فيها لفظة (يقدر) مع لفظة (يبسط) ليدل على أن الرزق بيد الله تعالى يوسعه على من يشاء من عباده ويقدره ؛ لان مشيئة المولى في بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة .

٢. ورد الفعل (قدر) بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال أي : استمرارية الحدث وتكراره في كل زمان ومكان باستثناء آيتي سورة النحل ٧٦/٧٥ في قوله تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدِر على شيء) ، وقوله في الآية الأخرى : (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدرُ على شيء وهو كلّ على مولاه) . فقد دلّ الفعل في الآيتين على معنى من فقد القدرة والقوة واتصف بالفقر والعجز[٣٠]

---

[٢٨] ينظر جامع البيان : ٣٠/١١٥ ، وتفسير التبيان : ٢٤٧ - ٢٣٨ والكاشف : ٥٢٧/١

[٢٩] ينظر : سورة الإسراء/٣٠ والزمر ٥٢ والشورى /١٢ والأنبياء /٨٧ وغيرها .

[٣٠] ينظر : الكشاف : ٣ / ٦٢٣ .

٣. أرى أن الفاعل هنا قد استتر ويفسره الضمير (هو) العائد على الله تعالى ؛ لان تقدير الرزق وبسطه من عمل الله سبحانه وحده لا شريك له . والشيء الآخر إن الحذف يناسب عظمة الخالق ؛ لان الأمور لاتكون إلا لجلاله يؤيده لفظ تقدير الجلالة لتأكيد هذه الخصوصية وشمول رحمته لمن يشاء من عباده في اية نوح (عليه السلام)[٣١]

قال : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) هود/٤٣

٤. حذف المفعول به في بعض هذه الآيات ومنها قوله تعالى : (اللهُ يبسطُ الرِّزْقَ لمن يشاء ويقْدِر) الرعد/٢٦. وغيرها من الآيات الكريمة .

وأما دلالة الحذف هنا فنرجع إلى إن المذكور يدلّ على المحذوف حين قال إن الله يبسط الرزق لمن يشاء وكذا يقدر لمن يشاء هذا الشيء فالبنية الأصلية للفعل هي : الفعل + الفاعل المستتر + حذف المفعول به (الذي حذف لدلالة المذكور عليه) ومن ذلك قوله سبحانه : (إنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقْدِر) الإسراء/٣٠ وقد طرأ تغيير على البنية الأصلية يكمن في زيادة الجار والمجرور فصار متعديا على النحو الآتي :

الفعل + الفاعل المستتر + الجار والمجرور

ومن قوله تعالى : العنكبوت /٦٠ (وَكَأَيِّن من دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

٥. وقد ورد بصيغة الماضي المخفف واريد به القدرة والقوة غالبا من ذلك قوله سبحانه : الفجر/١٦. وجاء الفعل متعديا بحرف الجر (على)

الفعل بصيغة الماضي المبني للمعلوم + الفاعل المستتر + الجار والمجرور + المفعول به .

---

[٣١] ينظر الكشاف : ٣/٥٢٧.

المصادر :

- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ، الإمام الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، دار الكتب العلميّة ، بيروت .
- التبيان في إعراب القرآن ، عبد الله بن أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) تح : عليّ محمّد البجاوي ، ط البابيّ الحلبيّ .
- تفسير التبيان ، للطبرسي (ت ٤٦٠هـ) ، دار الأندلس ، بيروت .
- تفسير ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، محمّد بن الطاهر بن محمّد عاشور التونسي ١٣٩٢، ١٩٨٤م .
- تفسير القرآن العظيم ، الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، بيروت ، ١٩٧٠ م
- التفسير الكبير ، للإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، ط ٣ ، بيروت .
- تفسير الميزان ، العلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط١ ، ١٩٧٩م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمّد بن جرير الطّبريّ (ت ٣١٠هـ) مصر ، ١٣٢٣ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) صححه : أحمد عبد العليم البردوني ، ط٣ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٧ م .

- حاشية الطيبيّ على تفسير الكشّاف ، فتوح الغيب في الكشف عن متاع الريب .
- كنز العرفان في فقه القرآن ، مقداد بن عبد الله السيوري الحلي (ت ٨٢٦ هـ) ، المكتبة المرتضوية .
- مسند أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله محمد بن هلال (ت ٢٤١ هـ) تح : شعيب الأرناؤوط ، وعادل مرشد ، وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ .
- مسند الامام الرضا (عليه السّلام) ، جمعه ، ورتبه الشيخ عزيز الله عطاردي ، الناشر : المؤتمر العالمي للأمام الرضا .
- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت بعد ٢٠٥ هـ) تح : صفوان داوودي ، دار العلم ، دمشق ، ١٩٦٦م .

The Relationship Between Structure and Semantics
- A Study in Some of The Quran's Verbs -

Prof. Dr. Latifa Abd Al Rasool Abd
College of Arts / University of Almustansiriyah

Abstract:

This research is based on the images of transformations that occur in the formulations of verbs (executed, tasted, estimated) in the context of the Quran, by shifting from the past to the present or the opposite, as well as the transition from the past to the imperative and from the imperative to the past, in the same context.

These transformations of verbs in the context of the Quran have rhetorical dimension, and a reference to the Quran system, and reveal the phase of the miraculous graphic in the Quran.

The research has followed the forms of these transformations in the acts, revealing the meanings of these transformations and analyzing these positions in the Quran verses.

The researcher did not stop at the limits of grammatical reasoning only, but went beyond it to rhetorical reasoning and semantic analysis, trying to connect the structure with the sense and to identify the meanings of the tenses through the context of the Quran and not only to the semantic significance of the verbs outside the context.

The Meanings of The Increased Letters of Surat Al - Anbiya

Ahmed Khalaf Fraiyeh
College of Education / University of Baghdad

Dr. Mahmood Khudhair
College of Alimam Aladham University

Abstract:

The Holy Quran is the eternal book of God, whose wonders are endless. It has magic in its statement and glamour in its words and uniqueness. Every word in the Book of God is a signifier of the meaning that was found for it and the structure that suited the context.

It is known that the rule of increase in the structure increase in the meaning is one of the rules that is scientifically proven in the Arabic language, and from this rule we discussed the aesthetic and accuracy of the meanings of the increased letters in the words of this blessed Sura in different formulas that contained the structure of the words in the Sura with the increased letters.

Features of The Old Habits of Arab and Their Traditions

Hassanein Abdul Razzak Hassan
College of Education / University of Almustansiriyah

Abstract:

Each of the ancient nations has its own particularity and distinctive character from other nations. This peculiarity emerging from the ancient cultural heritage that might our nation share with other nations, or it might differ from it.

From this, we notice that Arabs have retained many old habits and traditions which they inherited from their predecessors since the era of Prophet Ismail Ibn Ibrahim until they established throughout the generations till Islam emerged. some of these traditions were admitted and allowed to continue, and even made some of it "Sunna" of its enactments, because it is from creative human habits, such as hospitality, self-sacrifice. protection of refugees, neighbor care, wear a ring of precious stones. cleaning teeth with (Swak), male circumcision. offering animals as sacrifice. hair shaving, the purification. ritual ablution from impurity and menstruation, and the prohibition of marriage from first degree relatives, divorce of women three times until she get separating from her husband. Arabs were blessed on Friday and glorified it from all other days.

and showed prestige and reverence to Makkah and give gifts and vows.

They continued the reconstruction of the Kabba and cover it with the best types of covers, and adhered to the sanctity of the sacred months, and waited for the dates of the crescent to hold the rituals of Hajj and Umrah.

They sanctified the black stone and they were blessed with drinking Zamzam water, and circling around the Kabba seven times during the Hajj, and they sacrificed the sacrifices. They worked on feeding the pilgrims and get drinking water for them and building the Kaaba.

They took care of the sanctity of the dead. They washed and shroud the dead. They dug the grave and prayed for the dead according to ritual similar to the Islamic religion.

The Role of Baghdad in The Development of The Arabic Calligraphy

Dr. Khalid Khaleel Hamoodi

Abstract:

Reading and writing are two important aspects of civilization that are important to humanity. Islam has taking care of learning to read and write and teach them. The Quranic verses and the Hadiths have urged to pay attention to this, because reading and writing attest to religious goals and record the cultural and scientific development and preserve the nation's history, heritage and cultural achievements

Children and Their Games in

Ancient Arabic Poetry

Dr. Abdul Razzak Khalifa Mahmood
College of Arts / University of Baghdad

Abstract:

It is not possible to determine the time or place for the existence of childhood since it exists with the existence of creation. The creation will not continue without the existence of childhood since it is closely coincided with motherhood. Dealing with childhood, and its source motherhood, differs from one civilization to another. Each civilization has its own laws, ideas and beliefs that are related with its social and humanitarian aspect, which has played an important role in the life of different societies. The social aspect means the games related to childhood of different people and Arabs in ancient times, and then how the poets dealt with these games in their poems. This is what the researcher leaves for this study to monitor, take it and extract some results from it.

From Arabic Geography
– Geography of The Earth at Abu Al-Fida -

Dr. Abid Ali Al-Khafaf

Abstract:

This paper presents a systematic definition of one of the Arab geographers who is known by his outstanding contributions in Arab geo-scientific heritage.

The paper is based on the ideas contained in the introduction of his book entitled "Taqwim Albuldan". It is considered one of the late Arabic references which Abu Al-Fida has completed its drafts in 1321.

- He believed in the globular of the earth.
- Wrote about 5 thermal zones.
- Wrote about the surrounding sea and the subterranean seas.
- Described the great rivers and their estuaries.
- Wrote about some mountains and valleys.

Arab Genealogy ... A Historical Approach

Prof. Dr. Jawad M. R. Almosawi
College of Arts / University of Baghdad

Abstract:

The genealogy study is part of the social history which examines the past of changing populations and their movements in the community of nations or geographical area, the statement of transformations and cultural construction in general, the invocation of the basic, secondary and marginal forces, the search for the layman and his contribution to the development of society. A fast-growing bio that has an overlap with sociology is intended to formulate generalizations of the collective mind at a precisely defined historical stage. The research dealt with a number of topics, including:

1- Genealogy in Arabic dictionaries.
2- The importance of genealogy among Arab historians and writers.
3 - Relationship of clothes with genealogy.
4 - The foundations and principles of Arab genealogy.
5- Is Arab genealogy a science or art and has a clear method?
6 - Who are the judges of descent, their qualities, and how are their decisions?
7- Who are the most famous genealogists before Islam?
8. What is the importance of descent among Muslims?

The research ends up with many results, the most important of it are:

A- The Arab genealogy is a science that is part of social history, and it examines the past of the demographics of the population to show the descent of children to their fathers and grandfathers, which is the science that the Arabs took care of and controlled, and distinguished them from other nations.

B- The Arab community before Islam was a tribal society, the tribe represented the political unity, the Arab tribes' origin: (Adnan) and (Qahtan) and some add (Qathaa), and from them the Arab tribes were subdivided.

C- When Islam came, it paid a great attention to the issue of the Arab genealogy, and many books were written about it. The first is Al-Ubaidali and his book (The Followers of The Sons of Ameer Almu'mineen).

D- The Arab genealogists put rules that are equal to the requirements of the judges, including: faith in God, impartiality, neutrality, impartiality, honesty and insight of things ... The list of genealogy includes the keepers of genealogists, the heirs of its writings and the narrators of the chains of its founders.

E- Arab genealogy is a science that has a special approach that enables the researcher to form a systematic and organized collection of relative facts, archaeological data, miscellaneous documents and investigating in it.

JOURNAL OF THE ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)